وليد طوغان

قصص من برزخ الأموات

الذين اقتربوا من الموت وعادوا

أسرار ومشاهدات من العالم الآخر



دمشق - القاهرة

الذين إقتربوا

من الموت وعادوا

اسم الكتاب : الذين إقتربوا من الموت وعادوا

اسم المؤلف : وليد طوغان

المراجعة اللغوية والتدقيق : طه عبدالرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٩/٢٠٤٧٢

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 978 - 977 - 376 - 503 -3

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا :

حلب : دار الكتاب العربى ـ الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين ـ ت: ٢٢٥٦٨٧٠

دمشق : مكتبة رياض العلبى ـ خلف البريد ـ ت : ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى ـ أمام البريد ت : ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة ـ جسر فيكتوريا ت : ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبه الفتال ـ فرع أول ـ ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثانى ـ ت : ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى

٢٠١٠



سوريا ـ دمشق ـ الحجاز ـ شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص. ب ٣٤٨٢٥ فاكس : ٢٢٤٧٢٩٧

مصر ـ القاهرة ـ ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت ـ شقة ١١ تلفاكس : ٢٣٩١٦١٢٢

لبنان ـ تلفاكس : ٤٣٤١٨٦ / ٠٥ ـ تليفون : ٦٥٢٢٤١ / ٠٣ ـ ص. ب ٣٠٤٣ الشويفات

darelkitab-nassif@hotmail:com

www.darketab.com - info@darketab.com

الذين إقتربوا من الموت وعادوا

◆

وليد طوغان

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

الإهداء

للذين ماتوا وعادوا.. وحكوا

ربما نحن...

الذين لم نستطيع ان نفهم بعد!!

وليد طوغان

الحقيقة الوحيدة فى هذا العالم.
أن الإنسان عندما يموت،
لايعى أنه مات!!

جان بول سارتر

مقدمة

لم يمت أحدنا ثم قام ليحكى ماذا رأى وما الذى أعجبه وما الذى لم يعجبه فى القبر (!!).

لذلك ظل الموت بابا مغلقا لم يستطع أحد حتى الآن فتحه.

أو ربما لم يفتحه إلا القليلون الذين زعموا انهم فعلوا فقلبوا العالم على رؤسنا ورؤوس المعامل والمختبرات.

لم يتوقع أحد أن يصلوا بتلك السرعة لتلك النتائج، أو ربما لم يتوقع العلماء أن يصل الآخرون قبلهم، لذلك تفرغ كل منهم لشتيمة الآخر.. ووقفنا نحن فى المنتصف لا نعرف من نصدق، ولا أى كلام هو الصحيح.

عالم النفس الشهير كارل يونج أكد أن ما لم يحدث لك من قبل، لا يمكن أن تشعر أبدا بأعراضه وأى شعور بأحاسيس عن مرض لم يصيبك من قبل فالخلل ليس فى جهاز مناعتك، إنما.. فى عقلك.

يونج كان يقصد أنه «لا يوجد من مات وعاد ليحكى» بعدها يشعر أنه قد حانت ساعة موته مرة أخرى، وفقا للأعراض التى شعر بها أول مرة.

يونج كان من الحرس القديم.

فالعالم وقتها وضع الموت إما فى خانة الدين، والكتب المقدسة، وإما فى خانة «المادية» التى تؤكد أنه «عندما يموت الإنسان فهو لا يعى أنه مات». وإما «الروحانيات» التى قدمت أفكارا خرافية عن الموت فعقدت الموضوع بدلاً من حله.

حتى سنوات قليلة مضت كان الصوت الأعلى «للماديين»، الذين حاولوا «إغلاق الملف».

فقد رأوا أنه من العبث أن تظل قضية لا حجم ولا وزن ولا أبعاد لها مفتوحة. فكما لم يكن لدى هؤلاء تفسير للروح، لم يكن لديهم أيضا تفسير لموت الجسد

حتى الستينيات من القرن قبل الماضى كانت أوروبا تميل للمادية فقط، الصناعة فى كل مكان والثورة الصناعية تعنى ميكنة وآلات. تروسا صغيرة وكبيرة تدور فى وقت واحد بدقة لتحقيق هدف واحد. لذلك ليس هناك مكان للكلام عن روحيات لا يعلم أحد عنها شيئاً، إضافة إلى أنه ليس هناك وقت للاهتمام بالقبور ولا بأحاسيس أصحابها الذى هم تحت الثرى. فالميت شخص أو أشخاص فقدوا وظائفهم، ولم يعودوا قادرين على ممارسة أدوارهم فى ترس الحركة الذى ابتدعته الثورة الصناعية.

ثورة الصناعة كانت كالقمقم الذى حبس الإنسان نفسه داخله فترة طويلة، ولم يستطع أن يخرج خلالها ليقول لنفسه شبيك لبيك.. تطلب إيه.

لكنه اكتشف فجأة أن له مطالب أخرى غير البناء والتروس وزيت الماكينات والسيارات.

كان يريد أفكار أخرى غير «الوقت» و«الخطة» والاختراع. أو بالأحرى كان بنو آدم فى حاجة إلى معادلة جبرية، توازن بين الآلة وبين «روح» العامل الواقف خلف تروسها.

لذلك بدأت أصوات الجمعيات «الروحانية» فى أوروبا تتعالى تدريجيا حتى تحولت لنفير لا يمكن لأحد إسكاته بعد الحرب العالمية الثانية. فقد اكتشف الإنسان أن العلم هو الذى أوصله لصناعة الديناميت الذى يقتل عشرات النساء والأطفال بأصبع واحد مصنوع جيداً!!

وأن العلم هو الذى افقد البعض الثقة بالدين. وان كثيرون كفروا، لأن العقيدة التى تسمح للأقوى بأن يقتل الأضعف ويمثل بجثته حفاظا على الإنسانية.. ليست عقيدة وليست ديناً.

وأن رجال الدين الذين لم يخلوا ثيابهم ويخرجوا من دور عبادتهم واقفين فى وجه كل طاغية مرغمينه على السكوت وإحناء الرأس أمام صوت الإنسانية ليسوا «شيوخاً» وليسوا رجالا من الأساس.

معاناة الإنسان المادية هى التى حولته للروحانية المفتعلة. وهى التى علقت فكرة البحث عن المدينة الفاضلة التى لا يجوع فيها البشر ولا يشقون.

فإذا كان الذئب يأكل الغنم بلا سبب ولا ذنب فى دنيانا، فإنه لن يستطيع أن يفعل ذلك فى عالم أكثر عدلا وأكثر فهماً.

وإذا كان بنو آدم لم يستطيعوا أن يحققوا العدل فى حياتهم، فالأكيد أنه سوف يتحقق غصبا عنهم بعد مماتهم.

فعادت لأفكار الاخرافية، وطغت الحيل الأسطورية.. وبدأ الإنسان يبحث عن الموت.. والنصر بعد الموت ثم فكر فيما يمكن ان يحدث له بعد الموت.

المجتمع الهندى القديم حوى ثلاثة أصناف من البشر، آخرهم طبقة العبيد، هؤلاء (حسب ما يعتقد الهنود) يعانون فى الدنيا لذنب اقترفوه فى حياتهم السابقة. هؤلاء اقتص منهم الذى خلقهم بأن حولهم لعبيد بعدما كانوا أسياداً يأمرون فيطاعون.

والبوذى يعتقد أنه كان يحيا فى دنيا أخرى قبل حياته، لكن ربه أتى به إلى هذه الدنيا لكى يعذبه على ما فعله من آثام فى دنياه الأولى، والهندى ليس غبيا ولا كسولا، فقد أقام حضارة من أقدم الحضارات التى عرفها الإنسان على وجه الأرض. ولأنه عرف الحياة جيدا، أو تمرس فيها، وجرَّب، وقَتل، وقُتل.. أراد أن يعرف ماذا بعد.

كل الحضارات القديمة بحثت فى الموت، وما بعد الحياة الدنيا. ولما ظهر بوذا، وماهافيرا، وكونفوشيوس لم يبدأوا بميلاد الإنسان ليعلموا البشر الحكمة، إنما بدأوا من النهاية.. معظمهم قالوا إن الموت هو الحقيقة الوحيدة فى الحياة، فإذا كنت لا تصدق فجرب ومت وأنت تعرف.

عند كونفوشيوس «الصينى» الحياة زائفة، والحقيقة فى الدنيا ليست مطلقة، ولا يوجد شىء اسمه صح مائة بالمائة، ولا يوجد خطأ على الإطلاق.. وهو نفس كلام الفلاسفة الأوروبيون نيتشه وليبتز وهيوم وديكارت بعد آلاف السنين من موت «كونفوشيوس».

فإذا كنا فى دنيانا لا نعرف الحقيقة، فسوف نموت قبل أن نعرفها ومادمنا نعرف أننا لابد أن نموت، فالموت هو الحقيقة الوحيدة.

عند اليونان القدماء أن الذى يموت هو البطل، فإذا مت فى الحرب فأنت قديس، لأنك تدافع عن حقوقك وحقوق أهلك ومواطنيك وتدافع عن وطنك، وموتك هو مكافأة القديسين.

لذلك عند اليونان القدماء أكثر من تسعة آلهة ترعى الموت وتحرس العالم السفلى، أو الأرض التى تدفن فيها الموتى.

وفى عقيدة «الشانتو» اليابانية الإمبراطور مقدس لأنه بطل تنتقل روحه من جسد لجسد دون أن تموت.

ورغم تقدم اليابان تقدما مذهلا بعد أقل من أربعين عاما من سقوط القنبلة الذرية على أراضيهم فى الحرب العالمية الثانية، إلا أن اليابانيين مازالوا يؤمنون بروح الإمبراطور المقدسة التى لا تموت ولا تفنى.. و«الشانتو» الحقيقى هو الذى يعمل فى دنياه ما يجعل روحه كروح الإمبراطور.. حية لا تموت.

فكرة البحث فى الموت ارتجاج اجتماعى من نوع مًّا.

لكنها- فيما يبدو- الفكرة الحديثة الوحيدة التى تذكر الإنسان «فجأة» أنه إنسان. وأن ما يفعله بالإنسانية ليس إنسانيا بالمرة.

بعد حرب فيتنام، وما حدث للجنود الأمريكيين فى «سايجون» تذكر المجتمع الأمريكى (فجأة أيضا) أن ساسته لعبوا بالنار ورموا بأعواد الكبريت على قش المواطن الأمريكى.

وأن علم السياسة الذى ابتدعه الإنسان لم يخلق إلا كى يجعل البشر ينسون أنهم بنو آدم.. وينسون أنهم لا شىء يعيش على كوكب، او انهم مثل الكرة.. ممكن أن تتوقف أو تتدحرج فتضطرب حركتها أى وقت.. ودون سابق إنذار.

السياسى الأمريكى بدأ يعيد حساباته، بينما الشباب الأمريكى فكر فى أن يعيد تفكيره كله.

بعد كارثة فيتنام، ظهرت الجماعات التى أطلقوا عليها اسم «الحركات العدمية» يلبسون أى شىء، ويأكلون أى حاجة أى وقت. يشربون الخمر صباحا، والمخدرات مساء. يرفضون البروتوكول والإتيكيت ويرفضون أن يطيعوا أية قوانين أو قواعد وضعها الإنسان بنفسه.

لماذا سموهم عدميين؟!

لأن معظمهم فقدوا الإيمان بكل شىء. بالأخلاق، والقيم، والدين، وفقدوا الأمل ايضا فى الوصول لأية حقيقة حقيقية على ظهر هذا الكوكب.

وبدأوا يفكرون فى الموت.. وبعضهم انتحر بإرادته، شرب سم، أو ضرب نفسه بالنار استعجالا لتجربة الموت التى لابد أن تكون أفضل من حياته.

منذ السبعينيات وحتى اليوم ظهرت أكثر من جماعة تنتظر يوم القيامة بفارغ الصبر. صحيح لم يأت، لكن رغبتهم بالتأكيد لها دلالة.. الموت عندهم أفضل من الحياة، ولما ظهر مسرح «صموئيل بيكيت»، أكد أن الحياة عبث، وأنه لا جدال فى أى شىء، لأن أى شىء ليس له أى معنى. وبعد «بيكيت» بدأ الجمهور الفرنسى والألمانى والإنجليزى يتفرج على مسرحيات لا قصة لها، ولا أول ولا آخر، ولا أحداث ولا مواقف ولا حقائق، ولا أى شىء.. فقط، أبطال تصارع أحداثا مضطربة قالوا إنها نحن فى الدنيا، لم يعلم أحد فينا عنها أى شىء.

وفى النهاية نموت.

فإذا كنا نلهث وراء حياتنا التى ليس فيها حقيقة واحدة ولا يحزنون، أليس من المنطقى أن نحول طاقاتنا وخبراتنا وذكاءنا وكل ما أوتينا من قدرات وتسخيرها لمعرفة سر الموت؟!

■■■

«كارل يونج» قال أيضا إن الارتجاج الاجتماعى يشبه إلى حد كبير الارتجاج فى المخ. الأزمة الاجتماعية تشبه مرض الإنسان بالبرد، عندما يتملكه الفيروس ويتحكم فى جسده، ويجعل كل وظائفه معطلة. فبالرغم من أن الثورة «البلشفية» فى روسيا عام ١٩١٧ حولت البنى آدم لآلة سعيا للخلاص من عبودية الإنسان لأخيه الإنسان.

ورغم أن الحزب الشيوعى الروسى حاول استقطاب كل الزعماء والثوريين داخل أى بلد فى العالم واستمالتهم لتخليص المطحونين من المواطنين الشرفاء فى كل أرجاء الأرض، إلا أن الشيوعيين أنفسهم لم يفلحوا فى أن يجعلوا حياتهم جيدة.

الأطباء الشيوعيون رفضوا أن يرفعوا خراطيم الأوكسجين عن الزعيم الروسى «بيريجنيف» عندما مات «إكلينيكيا» وظل فترة طويلة على جهاز تنفس صناعى.

خافوا أن يعود «بيريجنيف» للحياة بأى شكل، فيتعرض الأطباء وعائلاتهم وأبناؤهم لعقاب قاس.

نفس الأطباء هم الذين أغلقوا عليهم أبواب معامل أبحاثهم ليجربوا كيفية استدعاء أصوات الذين عاشوا على أرض هذا الكوكب قبل آلاف السنين!!

العلماء الروس قالوا إن الأصوات لا تتلاشى. وأن كل كلمة قيلت فى أى مكان فى العالم عبارة عن موجات تقل ترددياتها لكنها لا تتلاشى ولا تندثر.

قالوا أيضاً إنه من الممكن تجميع أصوات الأنبياء الذين ألقوا مواعظهم ولقنوا أصحابهم وتلاميذهم شريعتهم التى نزلت عليهم من السماء!!

ولو نجحوا فربما عرفوا سر الكون وسر الحياة، والأكيد أنهم سوف يعرفون سر الموت أيضا.

بعد فترة وصل الروس إلى أن الأجساد الإنسانية لا تفنى، وأن انتقالك من مكان لمكان لا يعنى أن صورتك قد غادرت المكان الأول، وصمموا جهاز أشعة تحت حمراء اكتشفوا به أن كل جسم له موجات كهربائية، أو هالة ضوئية تحيط به، وبعد مغادرتك مكان مًّا وبعد عشر ساعات يمكن تجميع صورتك، وعرض ما كنت تقوم به قبل مغادرتك المكان!!

لكن حلول مشاكل العالم لم تكن قاصرة على تلك المعلومات. ولا كانت تلك البحوث هى الحل للفراغ الوجدانى الذى يشعر به العالم. لكن الفراغ هو الذى طير أخبار تلك البحوث، وطورها وجعل الكثيرين يؤمنون بأن العلم يمكن أن يلعب فى الغيب ويهزم المنطق ثم يهزم الموت!!

لم يكن أحد يفكر فعلا فى طريقة يظل بها حيا للأبد. ولا يمكن أن يكون هناك من أراد ألا يموت طوال حياته. لكن كما لو أنهم «اتلهوا» بفعل تطلعات الإنسان، ونتيجة صدمات كثيرة ألمت بالإنسانية.

بعد وصول العباسيين للخلافة، صُدم الفرس صدمة أكبر من صدمة الأمريكى بعد هزيمة فيتنام. فالعباسيون قتلوا الزعيم الإيرانى «أبومسلم الخراسانى» الذى ساعدهم فى هزيمة الدولة الأموية.

«أبومسلم» كان رمزاً لا يضاهيه رمز فى فارس. صدمة موته شلت تفكيرهم، ولخبطت أفكاراً ربما كانت مرتبة فى أذهانهم من قبل.

الصدمة تحولت لارتجاج. وظهر عشرات يؤكدون أن «أبومسلم» لم يمت، أو أنه مات وعاد للحياة من جديد!!

وحتى الآن توجد جماعات فى فارس وفى العالم لم تتخلص من تلك الصدمة.

الإنسان حول العالم مصاب «بالبرد»، والجماعات والأفراد الذين ظهروا

فى أوروبا يبحثون فى سر الموت أكثرنا إصابة بالفيروس. فى الوقت الذى يقف فيه الآخرون حائرين أمام تجاريهم وخبراتهم وأبحاثهم التى أكدتها- فيما بعد تيارات علمية.

هل هم مرضى، أم ضحايا الارتجاج الاجتماعى؟! أم نحن الذين كنا ضحايا ارتجاج المخ فأثر على تفكيرنا وقدرتنا على الاستيعاب، وقبول أدلة يقذفها هؤلاء كل يوم فى وجوهنا؟!

هل الموت لا زال مجهولاً؟ أما إننا نحن الذين صنعنا هذا المجهول، وصممناه ثم جلسنا أمامه خائفين لا نستطيع أن نقترب، ولا نود أن نفعل ذلك. ثم نسينا إننا نحن الذين طرحنا الفكرة.. ونحن الذين صدقناها؟!

الدين لم يشرح الموت، ولا قال لنا رجال الدين ماذا يعنى. الدين أكد أن الموت هو بداية النهاية، لكنه لم يعط أية تفسيرات أو تفاصيل لشكل تلك البداية.

بعض رجال الدين اهتموا بالحياة الأخرى وارتدوا الملابس الرياضية من أفخر الماركات ونزلوا سباقاً فى حلبة استاد يبعد عما نريد ان نعرفه عن الموت آلاف الأميال.

ربما بحث بعضنا فى الموت الغامض يزيده غموضاً. ويزيده تعقيداً، فتزيد رغبتنا فى الحياة.

الأمل فى الحياة مرة أخرى بعد الموت.. تمسك بالحياة، ورغبة فى عدم المغادرة، تماما كالذى يسخر من آخر ويتهمه بالفلسفة، فهو دون أن يدرى يتفلسف، لأن رفض وجهة نظر الآخر تعنى أن لك وجهة نظر انت الآخر.. ووجهة النظر فلسفة!

وبحثك فى المجهول يعنى أنه لا يزال مجهولا.. حتى تكف عن البحث عنه!!

وليد طوغان

١- «باترشيا»
التى شهد لها طفل ميت!!

﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ② الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ③ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ④﴾. صدق الله العظيم (الملك ١ - ٤)

«فرناندو كالى» حاول اكتشاف سر الموت والحياة الأخرى الذى لم يستطع الهندى ولا البوذى ولا الصينى القديم تقديم تفاصيل مقنعة عنها.

«فنرنادو كالى» مكسيكى الأصل، هاجر أبوه وأمه لبريطانيا طمعا فى حياة سعيدة، لكنهما ماتا واحداً تلو الآخر.. فجأة عام ١٩٣٧.

يقول «فرناندو» إنه عندما دخل غرفتهما وهما ميتان سمع حواراً بينهما. ووصف تفاصيل هذه الحوارات فى كتابه «هناك عودة أخرى» وقال إنه سمع أباه يضحك، وأمه تعنفه على الذى يضحكه وهما ميتان. أو هى تعنفه على ضحكه لأنهما ميتان، وتتوعده بأنها لن تغفر له استخفافه بالمواقف الصعبة أبداً (!!)

يقول «فرناندو» فى كتابه الذى حقق عام ١٩٣٩ أعلى نسبة مبيعات من تلك النوعية من الكتب فى السوق الإنجليزية، إنه توقف عند كلمات أمه خصوصاً كلمة «أبداً» فقد كان حديث عهد بالفكرة، ولم يكن يملك وقتها تفسير تلك الجملة.

معلومات الأحياء أن الدهر ينتهى بموتهم، وأن الحياة تتوقف بعد «عدم حياتهم».. فماذا كانت أمه تعنى إذا «بأبداً» التى قالتها لأبيه؟!!

عرض «فرناندو» نفسه على أكثر من طبيب نفسى، قال معظمهم إن لديه هلاوس مسموعة ومرئية هى المسؤولة عما يعانيه، وهى السبب الرئيسى فيما يسمعه من أصوات وحوارات. بينما توقف الآخرون عن إعطاء أى تفسير لحالته، خصوصاً بعدما تمادى «فرناندو» الذى بدأ يحكى أن أمه تأمره بأشياء ليفعلها لم تكن توافق على أن يفعلها فى حياتها. وعندما شرع فى تأليف كتابه الثانى «عودة الأرواح»، بدأت أمه تأمره ليلا بأن يلملم أوراقه ويكتب خارج المنزل لأن إلقاءه مزيدا من الأوراق فى المدفأة يزيد من رائحة ثانى أكسيد الكربون الذى يضايقها هى وأباه.

والتقى «فرناندو» صدفة «بتلمان دو» الطبيب النفسى الذى يعتبره البعض تلميذا لفرويد عالم النفس الشهير وأبًا التحليل النفسى فى العالم. كان فرناندو قد يئس من حالته، وعجز كل الأطباء الذين كلمهم وكلموه فى أن يجدوا له حلا، أو وصفة لراحته.

ولما حكى «فرناندو» للدكتور «دو» نبذة عما يعانيه، طلب إليه الدكتور أن يجلس ويهدأ ويقص عليه تفاصيل طفولته، وما الذى كان يعاون فيه أمه من الأعمال غير التقليدية، وظل الطبيب ومريضه على هذا الوضع. المريض يجلس ليحكى، بينما الطبيب يجلس ليسمع.. حتى جاءت التفصيلة الضائعة.

اكتشف الطبيب «بتلمان دو» اعتياد أم «فرناندو» على تدريبات «الهازوجرا».

و«الهازوجرا» علم قديم أمريكى جنوبى يقال إنه يساعد الروح على أن تتحرر من جسدها المادى بطرق مختلفة!!

ولما يحدث ذلك، لا تتأثر الروح بالزمن الإنسانى، ولا بالزمن الكونى. ويقال إن الصينيين القدماء هم الذين اكتشفوا «الهازوجرا»، وولع به المصريون القدماء ونفذته بعض الراهبات المسيحيات فى القرن السابع عشر الميلادى. ولم يعد إلا القليلون الذين يعرفون قواعد «الهازوجرا» أو تقنياته.

انتهى الطبيب «بتلمان دو» مع فرناندو إلى مفاجأة. أن الأم والأب حيان

بالرغم من أنهما ميتان!!

كيف؟!

لم يكن الطبيب يعلم. كل ما أكده «لفرناندو» أن حياة أمه وأبيه غير مرئية، وأن روحيهما هائمة، وأن كل ما يسمعه «فرناندو» ويشعر به ويشاهده ويحاول أن ينقله للآخرين ولا يصدقه أحد.. ليست هواجس.

صحيح لم يصل العلم بعد لتفسير تلك الظواهر. لكن ذلك لا يمنع أن تكون لتلك الظواهر قوانين خاصة. وعندما أسس «فرناندو» جمعيته التى أطلق عليها «الحياة الأخرى» شرق لندن عام ١٩٤٩، انضم له ١٨ شخصا لهم تجارب مماثلة، واستطاعوا جمع أموال كثيرة للبحث عن متخصصين يستطيعون أن يتفهموا الوضع، وربما يقدموا تفسيرا واضحا لكل حالة على حدة.

عام ١٩٥٥ نشرت الجمعية نفسها خلاصة اجتهاداتها فيما يتعلق بعالم الأرواح، مؤكدة أن الروح من الممكن أن تخرج من الجسد بطرق مختلفة وبتنمية قدرات معينة لم يسمع عنها أغلبنا شيئا حتى الآن.

وإنها إذا خرجت مرة واحدة فقط فى حياة الإنسان. فإن هذه المرة الواحدة تكون قد حررت الجزء الروحى من الجزء المادى من الجسد البشرى. ولما يموت هؤلاء الأشخاص الذين استطاعوا أن يخرجوا أرواحهم من أجسادهم فى حياتهم، فإنهم رغم موتهم يظلون أحياء حسب قانون عودة الروح الذى توصل له «فرناندو» وجمعيته.. هكذا قالوا!!

قانون «عودة الروح» الذى نسب لجمعية «فرناندو» عام ١٩٥٥ دخلته تعديلات عديدة، لكن المبدأ ظل واحداً.. وهو إمكانية خروج روح الإنسان من جسده، وأن هناك علاقة ما بين عالم الأرواح وعالم الأحياء غير تلك التى يعرفها معظم الناس.

مثل قصة جمعية «فرناندو» المكسيكى. كان الشارع الإنجليزى يتكلم عن عودة الأديب الإنجليزى «توماس هاردى» للحياة رغم أنه توفى عام ١٩٢٨.

هاردى ولد عام ١٨٤٠، ويقال إنه مات ثلاث مرات فى حياته.

الأولى بعد ولادته بسبع ساعات، والثانية عندما بلغ العاشرة. أما المرة الثالثة فعندما ماتت زوجته الأولى. والمرات الثلاث لوفاة «توماس هاردى» كانت كلها قبل وفاته الأخيرة عام ١٩٢٨!!!.

بعض الإنجليز قالوا أيضا أن هاردى وجد فى نفسه القدرة على دخول قبر زوجته الأولى وتوديعها الوداع الأخير.

لكن شخصاً اسمه «دوكان» كان أحد أعضاء جمعية «عودة الموتى» اهتم جدا بتفاصيل الموضوع. ولم يرد الوقوف فقط على كلام «شوارع» كان كثيرا إلى حد كبير ذلك الوقت فى بلاد الإنجليز.

بعد بحث «دوكان» فى الأمر، وصل لابن عامل مشرحة المستشفى الذى ولد فيه توماس هاردى عام ١٨٤٠. ففى الشارع- كما كان شائعا- إن لدى عامل المشرحة الكثير من تفاصيل الموضوع. وحكى ابن عامل المشرحة قصة أبيه مع «توماس هاردى».. قال إن أباه مات وهو مهتم جدا بتفاصيلها.. وبحث كثيرا عمن يمكن أن يفسرها له.

يقول ابن عامل المشرحة إن أباه كان يعمل فى شتاء قارس عام ١٨٤٠ بالنوبة المسائية. عندما سمع فجأة صراخ طفل أثناء وقوفه على باب المشرحة. ففتح الباب، ليجد طفلا رضيعا ملقياً على الأرض بجوار الجثث. ولما دنا منه عامل المشرحة، بدأت نغمات الطفل تتزايد، ثم بدأ الطفل ينغم صرخاته. ولما صرخ العامل فى الطفل كى يكف متسائلا فى نفسه ما الذى أتى بذلك الوليد إلى هنا. كانت المفاجأة أن سمع عامل المشرحة الطفل يقول: لم يأت بى أحد.. لكن «باترشيا» ليست سيئة.

قال ابن عامل المشرحة إن أباه قال: سمعت فجأة دوى الجرس اليدوى الذى كانوا يطلبوننى منه. ما يعنى أن هناك وفاة جديدة علىَّ أن أجهزها حتى يتسلمها أهلها فى الصباح.

قال ابن عامل المشرحة إن أباه قال إنه ذهب فور سماعه الجرس: ودخل المستشفى فقالوا له إن الوفاة فى قسم الولادة. هناك قابلته سيدة تتحدث بلهجة روسية وقالت له: «طفل مات» ولم تتبس بكلمة أخرى.. وسارت فسار وراءها، ولما دخلت إحدى الغرف دخل وراءها فأشارت لطفل مسجى على ظهره.. فبدأ هو فى العمل.

قال الأب لابنه: عندما انتهيت، طلبت منها التوقيع على ورقة حفظ الجثة فى المشرحة فوقعت تحت اسم «باترشيا»!!

يحكى الابن أن أباه كانت تصيبه القشعريرة كلما وصل لتلك اللحظة وكان دائما ما يقول: «لا أعرف لماذا شعرت بذلك الإحساس؟ هل لأننى سمعت هذا الاسم منذ لحظات.. ومن طفل رضيع يستطيع أن يتكلم وبطلاقة أم لأن أول ما شعرت به تجاه تلك السيدة التى تسمى باترشيا أنها سيئة. بينما قال لى الطفل إنها ليست كذلك.. قبل أن أراها، وقبل أن تنادينى هى.

من خلال قصة عامل المشرحة، توصل «دوكان» عضو جمعية «عودة الموتى» إلى شىء غريب.. فالطفل الذى أخذه عامل المشرحة لم يكن ميتا. فقد عاد للصراخ قبل صباح اليوم التالى. الأمر الذى دفع إدارة المستشفى للتحقيق مع «باترشيا» فى قسم الولادة، ورفع أمرها لمدير المستشفى الذى أصدر قراره بأن تترك عملها فوراً دون أى مستحقات مالية لأنها «ممرضة سيئة».

لماذا؟!

لأنها سلمت طفلا حيا لعامل المشرحة بدلا من الطفل الميت، فماذا لو كان أهله قد تسلموه ودفنوه وهو حى؟!

لكن أين الطفل الميت؟!

توصل «دوكان» إلى أن إدارة المستشفى لم تسجل طفلا آخر ميتاً فى تلك الليلة. وأن الطفل الذى اتهمت «باترشيا» بتسليمه وهو حى على أنه ميت، قد تسلمه أهله، وأنه عاش وبعد هذه الواقعة أكثر من ٨٥ عاما. وأنه أصبح أكثر

الأدباء شهرة فى بلاد الإنجليز.

أما عامل المشرحة- كما يقول ابنه- فقد ظل مقتنعا بأن فى الأمر شيئاً ما غريباً. وأن «باترشيا» لم تكن سيئة.

أما «دوكان» عضو جمعية الموتى، فقد دارت فى رأسه عدة أسئلة حول الذى حدث للأديب «هاردى».. أو الطفل الذى اكتشفوا فى الصباح أنه حى، بعدما كانوا متأكدين من وفاته ليلا.

اشترى «دوكان» قصصا كثيرة، وكتبا أكثر ضمت كثيرا من مقالات وخواطر الأديب «توماس هاردى». وكلما زادت قراءته زادت صدماته.

أول لغز واجه «دوكان» كما نشر عدة مرات فى كتب «تجربتى فى ذلك العالم» اسم «باترشيا» الذى عادة ما يختاره «هاردى» لبطلات قصصه، اللاتى عادة ما يكن نساء جميلات، كما يجب أن يصفهن.

لفت نظر «دوكان» جملة فى إحدى قصص الأديب «توماس هاردى» يقول فيها، طفل صغير لإحدى بطلات القصة (اسمها باترشيا أيضا): «لا تخافى الموت يا سيدتى.. إنه راحة وسعادة. لن تصدقنى إلا إذا تم لك ذلك، أما لو حدث أكثر من مرة فأنت فى نادينا».

عام ١٩٦٠ استطاع «دوكان» الوصول لابنة «باترشيا» التى كانت تبلغ من العمر وقتها ٦٦ عاما. وبعد معاناة قالت الابنة إن لها وجهة نظر فى الموضوع، وإن أمها حتى وفاتها كانت تنفى تماما عن نفسها تهمة التقصير.

أو إنها قصدت تبديل طفل ميت بآخر حى. أو أى مما أشيع عن القصة بعد حدوثها.

قالت ابنة «باترشيا» إن أمها دخلت الغرفة (يوم ولادة هاردى) فوجدته موضوعا على سرير بمفرده، ومغطى بملاءة صفراء (على عادة المستشفى تجاه الأطفال الموتى). وعلى الترابيزة المجاورة وجدت تقريرا للطبيب (روزن هيمر)

يؤكد أن الطفل مات نتيجة مضاعفات الولادة، وإنه يصرح لقسم التمريض بتحويله للحفظ حتى يدفن.

المهم هو ما حكته البنت على لسان أمها التى ماتت دون أن تفهم له سبباً. فقد قالت «باترشيا» لابنتها: «لما وضعت أذنى على صدر الطفل الميت، وجدت أن هناك أصواتا تشبه هديل الحمام، لكن نبضه لم يكن يعمل، إضافة إلى أن حدقة عينه لم تستجب للضوء. لذلك طلبت عامل المشرحة».

سأل «دوكان» ابنة «باترشيا» عما كانت تعنيه أمها بأن صدر الطفل كانت داخله أصوات تشبه هديل الحمام؟!! قالت الابنة: إن أمها مقتنعة أنه «لا يوجد طبيب مّا يجعلها أو يجعل آخرين قادرين على تفسير ذلك، لكن هذا ما سمعته»!!

توقف دوكان وقتها عند تلك النقطة.. فالسبب فى انضمامه لجماعة «عودة الموتى» كان محاولة بحثه عن تفسير لصوت هديل الحمام الذى يسمعه على سرير أخيه المتوفى كلما نام فى غرفته المغلقة منذ وفاته قبل عشر سنوات.

«دوكان» كان يسمع هو الآخر صوت أخيه.. الذى يطلب منه أشياء مختلفة.. ولم يكن يعرف هل هو «وهم» أم أن هناك ما لا يعرفه أكثر عن الموت.

ولما سمع قصة هديل الحمام الذى سمعته باترشيا فى صدر الطفل الذى مات وعاد للحياة لم يصل لسبب ولا اقتنع بتفسير.. لكنه عرف فقط أن هناك حالات مشابهة. وأن حالة أخيه الميت تشبه إلى حد كبير حالة الأديب «توماس هاردى» لماذا وكيف؟ لم يصل «دوكان» لشىء!!.. إذ العلم عند الله

■■■

٢- قفز من
فوق برج «إيفل».. ليحيا؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾﴾

(الإسراء الآية: ٨٥)

عام ١٩٤٨ أسس بفرنسا جمعية «ما وراء الوراء» أو «ما وراء الموت».. لذلك وصفها بعض العلماء بأنها الجمعية الميتافيزيقية الأولى من نوعها، التى تبحث فى ظواهر خفية لم تكن تناقش إلا على «المقاهى» وفى كلام رجل الشارع.

حاولت الجمعية بحث «عودة الموتى» بشىء من العلم، وحسن اختيار القصص والنظريات، وإعادة فلترة تلك النظريات من جديد.

أما الوصف الذى تبناه آخرون، فهو أن تلك الجمعية والجمعيات المشابهة التى بدأت تنتشر فى ذلك الوقت ليست إلا مناورات لمجموعة من المنحرفين العاطلين الذين إما يبحثون عن دور، أو يبحثون عن حفنة فرنكات يلقيها إليهم الأغنياء الفرنسيون الذين ملوا الحياة وراحوا يبحثون عن جديد.

لكن عام ١٩٥١ كان الأغنياء فى العالم كله يصبون الاف الدولارات والروبلات والجنيهات الإسترلينى حتى يستطيع أعضاؤها إكمال الأبحاث بغرض الكشف عن سر عودة الموتى للحياة من جديد.

الهدف الأساسى التى تأسست من أجله الجمعية، هو معرفة المزيد من المعلومات عن «خبرة الموتى» الذى خرجت أرواحهم من أجسادهم ثم عادت، وإمكانية الاتصال بالموتى الذين خرجت أرواحهم ولم تعد.. كما يقولون.

أسس جمعية «ما وراء الوراء» «ديميه فلويان» الفرنسى الذى كان يبلغ من العمر ٤٨ عاماً ذلك الوقت.

فلويان استطاع عام ٥١ الحصول على ما يزيد على ١٠٠ ألف فرنك فرنسى لتمويل أبحاثه، وفى العام التالى حصل على ٢١٧ ألف دولار أمريكى. وعام ١٩٥٣ وصل رصيد الجمعية إلى ٣١٨ ألف دولار أمريكى إضافة إلى ١٠٢ ألف جنيه استرلينى، الأمر الذى أدى لفتح معمل كبير بمدينة ليون الفرنسية حمل اسم الجمعية وبدأ فى التطلع لاستيراد علماء فى هذا المجال من كل أنحاء العالم.

ضمن طاقم العلماء المستورد.. وصل فرنسا العالم «ديتشيه». وهو صينى من أصول منغولية.. مهتم بدراسة «الأكتوبلازم» الجسدى فى الإنسان. وفى الأجسام الميتة.

استطاع «ديتشيه» عام ١٩٥٤ أن يقنع «ديميه فلويان» رئيس الجمعية بأن يلقى بنفسه من فوق برج «إيفل» فى باريس. وأقنعه أيضا أنه إذا فعل ذلك فلن يموت.

قال «ديتشيه» ان «فلويان» سوف يدخل فقط غيبوبة الموت ويشعر بأعراضه، ثم وعد «ديتشيه» بأن يجعله يعود للحياة من جديد.

«فلويان» فعل ذلك وألقى بنفسه من فوق برج إيفل الشهير الذى بلغ عدد من قفزوا من فوقه ذلك الوقت منتحرين ما يزيد على ٢١٨ شخصا. لكن «فلويان» لم يكن يريد الانتحار، ورغم ذلك مات وشعر بالموت، وأتم تجربته.. وحتى الآن.. لم يعد للحياة من جديد.. رغم إجراءات الصينى «ديتشيه» ورغم نظريته التى تؤكد معرفته سر الحياة وسر الموت ايضا!!

«الاكتوبلازم» عند ديتشيه هى المنطقة فى الجسم الإنسانى التى تلتقى فيها الروح مع المادة. أو هى المكان الذى يتم فيه الخلط بين الجسد الإنسانى وبين «الروح الربانية».

«ديتشيه» كان يعتقد أن أى مادتين مختلفتين تختلطان ببعضهما البعض

يجب أن تكون هناك نقطة تماس بينهما.. لذلك يمكن فصلهما. ومادامت الروح شيئاً أثيرياً غير ملموس.. بينما جسم البنى ادم مادة ملموسة، فإن اختلاط الروح بالمادة يجب أن يكون من خلال نقاط ومناطق محددة.

لكن أين هذه النقاط والمناطق؟!

هل هى فى المخ؟!

الإجابة لا.. إذ أن رأس الإنسان عندما تقطع، تظل الروح فى باقى أعضاء الجسم، بينما الدماغ هو الذى يتوقف عن العمل.. والسبب ان الدم لم يعد يصل إلى هذا الجزء. ويغذيه بالأوكسجين.. فلا يعمل الدماغ، ولا تستطيع خلاياه أن تتغذى.

إذن الروح فى القلب الذى يدفع بالدماء للدماغ.

ليس صحيحا أيضا. إذ أن الموت «الإكلينيكى» يوصف فيه المريض بأن قلبه توقف عن العمل بينما المخ مازال سليما. وحتى الآن الخلاف قائم بين العلماء والأطباء حول ما الذى يحدد وفاة أحدنا فعلا. موت «المخ»، أم موت القلب؟.

معظم الآراء تؤكد أن موت «جذع المخ» هى النهاية لأنها المنطقة التى لم يثبت حتى الآن أن مريضا ما استجاب لمحاولات إنقاذه بعد موتها.

«ديتشيه» قال إن التفاصيل ليست مهمة.

الأهم تحديد مكان الروح. أو المناطق التى تكمن فيها فى جسم الإنسان، ووصل «ديتشيه» إلى أن الروح ليست موجودة فى الجسم، الموجود مجرد وصلات بين الروح الأثيرية وبين الجسد المادى.. لذلك تبنى فكرة تقول إن كل خلية فى الجسم تحتوى على الاكتوبلازم الذى يصلها بالروح الخارجية. والروح الخارجية قد تعطى أوامرها من بعيد لأى جزء من أجزاء جسم الإنسان بأن تخمد أو أن تكف عن الحركة. أو ربما تكف عن الحياة.

الدليل أن الذراع المقطوعة تخمد فيها الحياة بعد فترة من قطعها. ويظل

الجسم يشعر بالذراع فترة طويلة حتى بعدما صارت ليست فيه. ولما تتقطع الذراع تظل الروح فى باقى أعضاء الجسم.

المعنى أن الروح بواسطة الاكتوبلازم تستطيع التمييز بين كل مترابط فى الجسم.

فإما أن يموت كله. أو أن يحيا كله.

أما إذا انفصل عن جسم الإنسان شىء. فالجزء المنفصل هو الذى يموت.. وإلا مات الجسد الإنسانى كله.

الاكتوبلازم إذن هو المادة الرابطة الوحيدة والأكيدة بين الروح وبين مادة الجسد.

اقتنع «ديتشيه» الصينى بذلك.. أكد أنه ثمرة أبحاث طويلة. وأقنع «فلوبان» بأنه سوف يساعده على أن يموت ويحيا من جديد بالسيطرة على الاكتوبلازم فى جسده.

عند برج إيفل توقف أعضاء الجمعيات المشابهة لجمعية (ما وراء الوراء) ليراقبوا تجربة ديتشيه مع فلوبان بحذر وشغف. إضافة إلى ما اتخذه بعضهم من أماكن تمكنهم من اكتشاف أى خدعة ممكن أن يلجأ إليها الاثنان. أو أن يقوما بحركة مَّا يمكن ان تنطلى على بعضهم.

السؤال الملح كان.. كيف يعيد العالم الصينى الروح بعد خروجها؟! وما الذى سوف يفعله حتى لا يموت «ديميه فلوبان» الذى سوف يلقى بنفسه من فوق برج إيفل؟!.

تقول إحدى النظريات الصينية القديمة إن الإنسان «إذا أراد.. فَعَلَ». وهى نظرية كان يعتمد عليها الأطباء الصينيون القدماء فى العمليات الجراحية. فقد كانوا يقنعون المريض بالفعل أنه لن يشعر بألم أثناء العملية، وبواسطة تمرينات روحية كثيرة كان المرضى يدخلون غيبوبة بين النوم واليقظة فلا يشعرون بألم.

بعد زمن اكتشف الصينيون أن هناك ١٢٦ نقطة فى الجسم الإنسانى تتعلق بجميع الوظائف الحيوية. وأن هذه النقط هى التى عن طريق تخديرها يتم تخدير كل الاكتوبلازم الموجود فى الأعضاء. يعنى نظرية «ديتشيه» كانت تحاول تجميد الروح أو تجعلها لا تشعر بأى عارض من عوارض الموت!!.

النظرية نفسها كان قد تكلم عنها فيلسوف صينى قديم قبل الميلاد بـ٣٧٠٠ سنة، أيام حكم أسرة «هان» التى حكمت الصين فترة طويلة. وصل الفيلسوف القديم بعد ٨٠ عاما من التأمل لملاحظة غاية فى الأهمية، بعدما سأل نفسه نفس السؤال: ما الذى يجعل سر الحياة ينفصل عن الجسد؟.

اكتشف أن أى عارض من عوارض الموت هو الذى يجعل سر الحياة ينفصل عن الجسد. أو بمعنى آخر أن تتحطم الرابطة بين الروح والمادة. واشتهرت تلك النظرية لدى الصينيين القدماء «بسر الروح». وظلت مجرد نظرية آلاف السنين لم يستطع أحد أن ينجح فى اختبارها رغم أنهم حاولوا ذلك.

وبعد ٣٧٠٠ سنة جاء ديتشيه ليختبرها. ويؤكد أنه سوف ينجح فى ذلك. لذلك حاول تجميد الاكتوبلازم فى جسد فلوبان الفرنسى ليمنع تحطم الرابطة بين الروح والجسد من أن تتكسر عندما يقفز رئيس جمعية ما وراء الوراء من فوق برج إيفل. والأكيد أن فلوبان عندما يقفز من فوق البرج ويقع على الأرض ولا يموت، بعدما تحققت له كل أعراض الوفاة، سوف يكون لديه الكثير ليقوله، وسيظل كل ما قاله أشبه بمراجع لكل المهتمين والباحثين حول العالم.

ولو تحققت التجربة، فإنها سوف تكون المرة الأولى التى تخرج فيها روح من جسد أو تتجمد داخله.. تحت ملاحظة علمية دقيقة.

لكن بعدما صعد «ديميه فلوبان» البرج.. وألقى بنفسه وسقط مات واكتشف «ديتشيه» خطأ كبيراً وقع فيه.. فعندما جهز فلوبان للقفز، اعتمد على ما يشبه تنويمه مغناطيسيا عن طريق تمرينات يوجا قديمة يقال إنها تجعل المخ فى حالة يقظة، لكن ليس واعيا. أو أن هذا التمرين يجعل للمخ

القدرة على استدعاء كل ما مر به من خبرات، حتى شديدة الألم منها. والمخ دون هذا التمرين يضطر الجسد للإغماء إذا ما واجهته مفاجأة لم يكن يتوقعها، أو آلام لا يستطيع تحملها.

غرض «ديتشيه» بالتمارين التى درب عليها فلوبان كان تخدير مخه بحيث لا ينفصل الاكتوبلازم عن الروح عند تجربة الموت، إضافة إلى جعل إمكانية استدعاء فلوبان لكل ما مر به من رُؤَى وأحاسيس ومشاهدات عندما اقترب من الموت ممكنا.

لكن موت فلوبان أسدل الستار بسرعة على رغبة ديتشيه فى مزيد من التجربة.

سبب وفاة «فلوبان» انخفاض الدورة الدموية. قلبه لم يتحمل ضغط السقوط بسرعة من فوق البرج.. فهرب دمه قبل أن يرتطم جسده بالأرض.

أما السبب الذى توصل إليه أعضاء جمعية ما وراء الوراء هو أن نظرية ديتشيه لم تطبق كما يجب، أولاً لأن ديتشيه اهتم فقط بأن يعود فلوبان ويحكى عما شاهده، دون أن يؤمن فعلا بإمكانية ذلك، وثانيا لأن ديتشيه خدر اكتوبلازمات المخ فقط، بينما ترك باقى الأعضاء الأخرى ليست مخدرة بتمارين اليوجا. فظل القلب يعمل بظروفه الطبيعية، وعندما تعرض فجأة لعارض من عوارض الموت وهو السقوط من ارتفاع عالٍ.. كان من المنطقى أن يصاب بصدمة.. فيتوقف عن العمل.

قالوا إن نظرية ديتشيه لم تكن صحيحة، إذ أن المخ ليس هو مركز الاكتوبلازم المسئول عن عودة الإنسان للحياة بعد موته، لأن هذا الاكتوبلازم موجود فى كل خلايا الجسم البشرى. وهو عندما ينفصل عن الجسم.. تكون النهاية.. قالوا أيضا إن المطلوب كان انفصال الاكتوبلازم انفصالا غير نهائى، بحيث يمكن عودته للجسم من جديد.

بهذا كان يمكن أن يكون لفلوبان خبرة العودة للحياة بعد الموت (كذا قالوا).. وكان يمكن أن يحكى عما شعر به وشاهده.

٣- آمنوا بتناسخ الأرواح
رغم ذلك ماتوا ولم يقوموا!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ (الجمعة ٦ - ٨)

فى الهند يؤمنون بتناسخ الأرواح، ويعملون على تعذيب المادة فى أجسادهم.

أما الذى شهر عنه تعذيب جسده، ومحاولات قتل «المادة» فيه.. رجل ولد منذ مائة وعشرين عاماً ابن هندوكى من أعلى الطوائف.. اسمه «ديانندا».

عندما بلغ «ديانندا» سن التكليف أرسل إلى خيرة المعلمين ودرس على أيديهم أصول اللغة والدين طوال ستة أعوام، عاد بعدها إلى قريته.

بعد عودته أراد أبوه أن يصوم صيام «شيفاراتى» لذلك انطلق مع «ديانندا» ليلة الصوم الأولى إلى المعبد.. ووضعا الأرز والزهور فوق تمثال شيفا.. ثم جلسا بين المتعبدين الآخرين للاشتراك فى الترتيل.

ارتفع صوت المرتلين فى قوة ووضوح.. ثم تتابعت أصوات أخرى بعد ساعات تردد ألحانا من «الفيداس المقدس».. واقترب الليل من منتصفه، وبدأ التعب يسيطر على بعض المتعبدين وغلب النعاس البعض الآخر.. ثم راح الجميع يتثاءبون وأصبحوا يجدون صعوبة كبيرة فى الإبقاء على عيونهم

مفتوحة، فتحول الترتيل إلى همهمة.

ولاحظ «ديانندا» رأس أحد المتعبدين وهو يهوى على صدره من أثر النعاس ونام متعبد آخر بجواره ثم تبعه ثالث ورابع.

تلفت «ديانندا» حوله فرأى الكثيرين فى سبات عميق.. حتى «أبوه» كان قد نام هو الآخر.. ولم يعد هناك سوى همهمة خفيفة أقرب ما تكون إلى السكون.. وفجأة سمع «ديانندا» صوت قرض يشبه قرض الفأر.. التفت إلى مصدر الصوت، واتسعت عيناه دهشة.. فهناك فوق رأس الإله «شيفا».. جلس فأر صغير يقرض الأرز الذى كان المتعبدون قد قدموه قربانا.. قال ديانندا: «إذا كان شيفا إلها حقا.. أليس فى قدرته أن يطرد فأرا عن رأسه؟». وأجاب أبوه وهو ينتفض: «لا تسأل مثل هذه الأسئلة فالكافر فقط هو الذى يسأل».

لكن ديانندا لم يقتنع.. فقد أثبت الفأر الصغير أن « » ليس أكثر من حجر لا قدرة له على أى عمل على الإطلاق.

منذ ذلك اليوم بدأ «ديانندا» دراسة العقائد المختلفة الأخرى ليبحث فيها عن الحقيقة.

شعر ابوه بـ«الكارثة»، فأراد أن يثنيه عن ذلك فاختار له عروسا جميلة، لكن «ديانندا» لم يوافق على الزواج، وظل يؤجله أسبوعا بعد أسبوع وشهرا بعد شهر. غير أن أباه أجبره آخر الأمر، وأعدت له معدات الزفاف.. لكن قبل الموعد المحدد اختفى «ديانندا»، ولم يره أحد من أهله قط.. وهناك بعيدا.. كان «ديانندا» ينطلق فى رداء راهب متسول.. باحثا عن معلم يمكن أن يهديه إلى حقيقة الدين، وأخذ ديانندا يجوب أنحاء الهند لعدة أعوام يدرس مع العلماء.. لكنه لم يجد فى تعاليم واحد منهم ما يرضيه، ولم يجد آخر الأمر إلا أن يذهب إلى شاطئ نهر الجنجز ليدرس مع الرجال المقدسين المتجمعين هناك.. فهو يعلم أن أحداً منهم لن يستطيع أن يكذب.

هناك وجد بين المعلمين رجلا يكره عبادة التماثيل مثله.. فارتاح إليه وقرر

أن يدرس معه الحقيقة.. قال المعلم لديانندا: «هل سمعت بجماعة ألن؟». أجاب «ديانندا»: «نعم.. هى التى نظمها الراجا راموهان فى نفس السنة التى ولدت فيها».

قال المعلم: (هذا صحيح.. فى السنة التى ولدت فيها لم يكن «راموهان» راضيا عن جميع تعاليم البرهمية، لقد كان عالما عظيما درس اللغة العربية والفارسية والسنسكريتية والعبرية، كما درس الإنجيل المقدس لدى المبشرين المسيحيين الذين جاءوا إلى بلادنا، ووجد فى ذلك الكتاب بعض التعاليم التى رضى عنها وحاول أن يدمج هذه التعاليم فى عقيدتنا).

وقال «ديانندا»: «إذن يجب أن أدرس إنجيل المسيحيين».

وظل عامين يدرس الإنجيل وتعاليم «راجا راموهان»، واقتنع بعد ذلك انه يجب على المرء ألا يؤمن بآلهة متعددة بل بإله واحد فحسب.. كما آمن أيضا بأن من يندم ويتوب فإن الله يغفر له خطاياه، ولكنه إلى جانب ذلك كله ظل مؤمناً بنظرية التجسد والنيرفانا كما بشرت بهما البرهمية عقيدة الهندوس.

وانطلق ديانندا بعد أن اتضحت فى ذهنه كل هذه الآراء فى جميع أنحاء البلاد يعلم وينظم من تبعوه فى طائفة سماها «أرياساماج» ومعناها «جمعية النبلاء»، ورغم أن ديانندا لم يعش بعد ذلك سوى ثمانية أعوام.. إلا أن أتباعه حملوا الرسالة من بعده وانتشر أمرهم فى أنحاء الهند حتى بلغ عددهم اليوم ما يقرب من سبعين مليونا من الرجال والنساء.. لكن كما لو كانوا رفضوا أن يظلوا صادقين، فقد أعلنوا عام ٨٢ أن «ديانندا» عاد للحياة من جديد، ويحاولون الآن معرفة السر والطريقة فى عودته وعودة أى ميت آخر يرغب فى الحياة من جديد.

■■■

كان الصمت.. والموت هما كل ما يتحدث عنه الناس «فى فيسالى».. عاصمة مملكة موجادة شمال الهند.. عام ٥٧٢ قبل الميلاد.

ذات يوم استيقظ الناس على نبأ موت الملك «سرياما» وملكته تريسالا بعد أن قررا أن ينعما بالموت المقدس عن طريق الجوع. لم يحزن الناس كما كان المفروض أن يحدث، بل إن الفرحة كانت تغمر الجميع وهم يتمنون على الآلهة أن تتيح لهم الفرصة ليموتوا ذلك الموت المقدس كما مات الملكان الحبيبان. غير أن واحدا من بين الجميع كان يبكى.. وكان هو الفتى «فيرادامانا».. الابن الثانى للملك الراحل.. والشقيق الأصغر للملك الجديد. واستلقى الفتى على صدر أخيه والحزن يكاد يقتله وقال له:

- «أخى.. إن الحزن ليعصف بى لفقد أبوينا.. وإنى لا أجد رغبة تقهرنى تريدنى أن أقسم على أن أظل اثنى عشر عاما مهملا جسدى.. لأعانى كل ما يمكن أن يحل بى من المصائب التى تنزلها قوى السماء أو البشر أو الحيوان». راح الملك يهدئ أخاه ويقول له: «أمن المعقول أن تتركنى وحدى على هذا العرش والبلاد كما ترى، وموت أبوينا العزيزين لا يزال ماثلا فى أذهان الجميع؟.. ألا ترى أن تركك لى فى مثل هذا الموقف يزيد أحزانى وآلامى؟». ولم يكن بد من أن يرضخ الأمير «فيرادامانا» لرجاء أخيه.. واضطر أن يعده بالبقاء معه لعامين فحسب على أن يترك القصر. وفيسالى كلها بعد انقضائهما لينفذ القسم.

هذا هو الذى حدث.. لم يكد يمضى عامان حتى انطلق الأمير «فيرادامانا» مودعا قصر أخيه.. وما كاد يغادر باب القصر حتى التقى فى إحدى ضواحى المدينة بواحد من آلاف الرهبان المتسولين الذين يملأون الشوارع والطرقات.. فبدل معه ثيابه.. ثم أقسم وهو فى ثياب الرهبان قسما آخر.. «من اليوم ولمدة اثنى عشر عاما.. أقسم أن أصوم عن الكلام.. وألا أنطق كلمة واحدة» وبدأ تجواله فى البلاد كواحد من آلاف الرهبان فى الهند.

مضى الراهب المتسول الجديد فى طريقه صامتا يستعرض أيام حياته وما سبقها من تنبؤات. وفى هذه اللحظات التى يفكر خلالها فى ماضيه، كان يتذكر

تلك الأحلام التى رأتها أمه قبيل مولده، وهذه النبوءة التى تنبأ بها العرافون.

فقبل ذلك الوقت بثلاثين عاما.. بينما أمه الملكة «تريسالا» ترقد فى القصر، إذ بها ترى عدة أحلام.. تتابع كل منها وراء الآخر.. حتى بلغت الأحلام فى تلك الليلة خمسة عشر حلما.. رأت فى حلمها الأول فيلا أبيض.. ورأت فى الثانى ثورا أبيض.. وفى الثالث أسدا أبيض يستلقى على الأرض.. وفى الرابع رأت الإلهة «سرى» ربة الثراء.

وتتابعت بعد ذلك الرؤى.. رأت الملكة إنها استنشقت عبير زهور «مأندرا» المقدسة.. ثم رأت البدر كاملا يرسل أشعته الفضية لتغمر كل وجه فى العالم.. ثم شهدت الشمس ساطعة مضيئة ولكن فى لون قرمزى، وبعدها رأت سمكتين هما رمز السعادة.. ثم جرتين مليئتين بالماء المقدس.. ثم بحيرة مليئة بزهور اللوتس.. يليها محيط ملىء باللبن.. ووجدت «تريسالا» نفسها فى الحلم الثانى عشر فى قصر سماوى ومن حولها ملكات الموسيقى.. وفى الحلم الثالث عشر رأت زهرية ضخمة مليئة بالأحجار الكريمة.. حجمها مثل الجبل.

فزعت الملكة «تريسالا» من كل ما رأته وانطلقت إلى الملك الذى دعا الحكماء إلى القصر.. ولما سمعوا قالوا جميعا إن كل هذه العلامات تتبئ بمولد واحد من اثنين.. إما حاكم وإما قديس. وفرح الملك عندما جاء المولود.

فى اليوم الثانى عشر لمولد الطفل أطلق الملك عليه اسم «فيرادامانا».. ومعناه «المزيد» فقد زادت منذ يوم مولده ثروة عائلته. ومضت السنوات والطفل يكبر ويتعلم ويتدرب على أيدى معلمين مهرة.. يعلمه أحدهم استخدام القوس والسهم.. ويعلمه آخر كيف يسيطر على الجياد الجامحة.. بينما يعلمه ثالث الطريقة التى يستطيع بها أن يسوس الفيلة.

وذات يوم.. كان الأمير «فيرادامانا» يلعب فى حدائق القصر مع أبناء وزراء أبيه، مستغرقا فى اللعب مع رفاقه إلى حد أنهم لم يسمعوا ذلك الصوت الهائل الذى راح يندفع نحوهم آتيا عبر الحديقة، وعندما اقترب الصوت

تطلعوا جميعا إليه.. فرأوا فيلا هائلا يتقدم نحوهم وهو يهز خرطومه فى جنون.. وأسرع الأولاد يتفرقون فزعين فى كل اتجاه.. عدا الأمير الصغير.. فقد ثبت فى مكانه ساكن الحركة.. حتى إذا ما اندفع الفيل نحوه وكاد يدوسه.. انقض الأمير فجأة وأمسك بخرطوم الفيل بطريقة غريبة كان قد تعلمها من مدرب حيوانات القصر، ثم ارتقى رأس الفيل.. وراح يهدئه فى بساطة حتى هدأ، ثم قاده عائدا به إلى حظيرته.

لم يذكر الأمير شيئا لأبويه عما حدث.. ولكن مدربى الحيوانات أسرعوا إلى القصر ليقصوا قصة شجاعة الأمير.. ومن داخل القصر انطلق النبأ ليتحدث الناس بعد ذلك عن قدرة الأمير وشجاعته الفائقة.

وفى ذلك اليوم أطلق الناس على الأمير اسم «ماهافيرا» أى البطل العظيم.. وبقدر ما أحب الأمير «ماهافيرا» دراسته بقدر ما كره معلميه.. فقد وجد هؤلاء المعلمين من الكهنة البراهمة يظنون أنفسهم خير الناس فى العالم مع أن أغلبهم تافهون!!

وعندما بلغ التاسعة عشرة، نسى كراهيته للكهنة والبراهمة وامتلأ قلبه بحب الأميرة الحسناء يوسادها، حتى تزوج منها.. واستقرا فى القصر الملكى مع بقية أفراد أسرة أبيه.. وعاش وأسرته ما يقرب من عشرة أعوام، ينعمون بالسعادة داخل القصر الملكى فى فيسالى عاصمة مملكة موجادة.

لكن لما بلغ الأمير الثامنة والعشرين.. ماتت أمه وأبوه موتهما المقدس ليتركاه نهبا للحزن، الذى جعله يقسم بإهمال جسده اثنى عشر عاما.. إضافة للصمت المطلق خلالها.

انطلق ماهافيرا فى صمته يخترق المدن والقرى وفى يده وعاء يمده للرحماء من الناس ليضعوا فيه بعض الطعام. فإذا صادفته غابة وضع الوعاء جانبا وراح يأكل من الفاكهة البرية.

ومضت الأيام بماهافيرا وهو يقضى وقته فى الغابة وعلى الجبال جالسا

وحيدا يفكر.

وخلال الأعوام الاثنى عشر لم ينطق ماهافيرا بكلمة واحدة.. ولكنه- وإن ظل صائما عن الكلام طوال تلك السنوات- ظل أيضا يفكر فى عقيدة البراهمة. ومع كل تعمق فى التفكير كان ماهافيرا يتبين أن الكثير من تعاليم العقيدة بعيد عن الصواب.. وأنها فى حاجة إلى التحسين والإصلاح.

وذات يوم.. التقى ماهافيرا براعٍ فى الوادى الفسيح خارج القرية. قال الراعى لماهافيرا: إذا رعيت غنمى حتى أذهب إلى القرية وأعود ببعض الطعام فإنى أعطيك بعضه لتأكله.. أومأ ماهافيرا برأسه موافقا.. ومضى الراعى.. ولم يمض لحظات حتى تسلل ذئب من الغابة.. وقبل أن ينتبه إليه ماهافيرا كان الذئب قد اختطف حملا ومضى به مسرعا يختفى بين الأشجار. وعندما عاد الراعى ووجد أن أحد حملانه قد اختفى، جن جنونه وطلب من ماهافيرا تفسيرا لما حدث، لكن ماهافيرا ظل صامتا.. وصاح الراعى «ألا تريد أن تقول لى ماذا حدث لحملى؟ لم يتكلم ماهافيرا فرفع الراعى عصاه وانهال بها على رأس ماهافيرا الذى لم يشأ أن ينتهك قسمه على الصمت.

ماهافيرا كان أقوى بنيانا من الراعى، لكنه أقسم ألا يحمى نفسه من أى شر. استمرأ الراعى سكوت الراهب فراح يضربه حتى بدأ الدم ينزف من كل مكان فى جسده. وعندئذ توقف الراعى فجأة عن الضرب ونظر إلى الجسد الدامى نظرة خوف ورهبة وقال بصوت مرتعش «إنك أول رجل ألقاه يأبى أن يحمى نفسه أو يهرب.. لابد أنك مقدس».

لم يجب ماهافيرا، بل جمع نفسه ونهض وانطلق لشأنه، وجرى الراعى خلفه وراح يلتمس منه الغفران، أومأ ماهافيرا برأسه دلالة على الصفح.. ثم مضى.

وراقب الراعى ماهافيرا وهو يختفى على التل.

لم يشأ ماهافيرا عندما انتهت أعوام الصمت أن يعود إلى بيته أو أسرته.. بل قرر أن يظل راهبا، يمضى فى طول البلاد وعرضها ينشر آراءه التى طلع

بها خلال أعوام التفكير الطويلة الصامتة. انتقل من مكان إلى آخر يعظ كل من يقبل الإنصات إليه.. الكثير من آرائه لم تكن غريبة على الناس.. فقد كانت جزءا من عقيدتهم بالفعل.. بشر بها البراهمة أو المصلحون الآخرون قبل ماهافيرا.. لكن هذا لم يمنع ان بعض آرائه كانت جديدة.

لذلك أصبح كثيرون أتباعا له.. هذا لا يمنع أن يمضون خلفه يستمعون لخواطره: «حياة الإنسان كلها عناء.. فالميلاد عناء والمرض عناء والموت عناء، والسعى إلى ما يريد المرء عناء».

وسأل البعض ماهافيرا: «ومن أين يأتى عناء العالم؟».

أجاب: «يأتى عناء العالم من الرغبة.. فالناس تعساء لأنهم يريدون عددا كبيرا جدا من الأشياء.. ومهما حصل المرء على الكثير من الطعام أو الثراء أو الشهرة فإنه يطلب المزيد دائما.. الرغبة إذن هى سبب كل عناء».

سألوه «وكيف نقضى على العناء؟».

أجاب ماهافيرا: «بالتخلى عن جميع الرغبات.. فعندما يتخلى الإنسان عن جميع رغباته يستطيع أن يعد نفسه لأعظم سعادة روحية.. للنيرفانا.. والنيرفانا هى التى تخلد الروح بعد موت الجسد.

وقال: «الطريق إلى النيرفانا هو طريق جواهر النفس الثلاثة» الاعتقاد الصحيح.. والمعرفة الحقيقية.. والسلوك السليم. لا ترغب فى شىء على الإطلاق.

وقال ماهافيرا إنه لا يؤمن بالأصنام وعبادتها.. وإنه يؤمن بأن الصلاة لا قيمة لها ولا تفيد أحداً قط!!

وسأل الناس ماهافيرا:

«إذا لم يكن مؤمناً بأن براهما خلق العالم، وبأن تقديم القرابين للآلهة والصلاة لا يمكن أن تفيد الإنسان.. فأين إذن يمكن للمرء أن ينشد الغفران عن آثامه حتى يمكن أن يدخل النيرفانا؟».

أجاب: «بالعمل الطيب يمكن أن تبلغوا النيرفانا.. فى داخل نفوسكم الخلاص».

وأتباع ماهافيرا الآن- على خلاف البوذيين- ينشدون الحياة الأبدية بقراءة تعاليم ماهافيرا المقدسة.

قصة ماهافيرا لا تختلف عن قصة بوذا.. فقد كان كلاهما أميرا هندوكيا، وكلاهما فى صباه كان غاية فى الشجاعة وكلاهما درس عقيدته بحماس، وكلاهما هجر بيته ليصبح راهبا متسولا، وكلاهما وجد عدة عيوب فى تعاليم عقيدته، وكلاهما عاد بعد عدة سنوات من التفكير ليبشر بتعاليم جديدة لشعبه الكبير.

تعاليمهما تتشابه إلى حد أنها تبدو لأول وهلة تعاليم رجل واحد، مع ذلك فقد أقاما عقيدتين مختلفتين.. فبالرغم من أن الرجلين كانا يتبعان طريق البرهمية بما فيها الكارما والتجسد والنيرفانا، إلا أنهما عندما يصلان إلى قدسية الطوائف. والخلاص بالصلاة وتقديم القرابين، والحديث عن الحقيقة المطلقة.. عندئذ يبتعد كل من بوذا وماهافيرا عن البرهمية.

وبالرغم من أن كلا من الرجلين يعتقد أن على المرء أن يعتمد على معونة الآلهة ويعيش طبقا للاعتقاد الصحيح والمعرفة الحقيقية.. إلا أن ماهافيرا وبوذا لا يكادان يبدآن فى تقدير ما هو السلوك الحق للرجل الصالح حتى يترك كل منهما الآخر.. ويبدو الاختلاف بينهما واضحا.. وكبيرا.

فبوذا يمضى فى الطريق الوسطى.. طريق الاعتدال الذى يؤمن بأن التطرف شر.

أما ماهافيرا فيمضى فى طريق تعذيب النفس بالنسك.. هو يؤمن بأن التجويع وتعذيب النفس يساعدان الإنسان على الوصول إلى الحياة الصالحة الأبدية.

شىء آخر يختلف فيه الرجلان.. فماهافيرا رغم اعتقاده مثل بوذا بأن لكل

الأحياء روحا. إلا أنه قال أيضا إنه حتى الأشجار والنار والخضر لها هى الأخرى أرواح.. وقال إنه إذا عاش الإنسان فى حياة غير صالحة.. فإنه لا يولد بعد وفاته من جديد فى جسم خنزير أو ثعبان أو ضفدعة فحسب.. بل قد يولد ثانية فيجد نفسه جزرة أو بصلة.!!

ولم يكن هذا وحده هو أسوأ ما هناك.

قال ماهافيرا إن هناك فى الأعماق تحت سطح الأرض.. جحيما من سبعة طوابق كل طابق منها دون الآخر وأشد هولا.. وكلما كانت الروح أشد شرا وجدت نفسها ملقاة فى أسفل درك فى الجحيم.

ماهافيرا كان يؤمن بأن لأرواح الأحياء وزنا.. فعندما تخطئ الروح تصبح ثقيلة وتغوص إلى أسفل.. فإذا كانت خطيئتها بالغة الضخامة ظلت تغوص وتغوص حتى تصل إلى الجحيم السابع الرهيب.

أما الروح الصالحة النقية فترفع وترتفع إلى إحدى الجنات الست والعشرين.. وعندما تصبح الروح غاية فى الصلاح وغاية فى النقاء، تظل تزداد خفة حتى تصل إلى الجنة السادسة والعشرين، وعندئذ تدخل النيرفانا. على أن ماهافيرا كره عبادة تماثيل الآلهة كما فعل بوذا من قبل.. ولهذا فقد ظل يجوب أنحاء الهند ثلاثين عاما يبشر ضد عبادة التماثيل وضد الطائفية ويشرح معتقداته فى الجنة والنار.. ورسم خلال ذلك طائفة من رجاله فى سلك رهبان عزاب.. وطائفة أخرى من النساء فى سلك الراهبات العانسات.

عندما بلغ السبعين من عمره نزل ماهافيرا إلى قرية- بافا- وهناك حل به المرض.. وأحس أنه لن يستطيع المضى بعد.. وعندما حدث هذا.. دعا ماهافيرا إليه أتباعه وألقى عظته الأخيرة..

سأله أحد الأتباع: ما هى أهم تعاليمك!

أجاب ماهافيرا: «لا تقتل الحيوان لتتخذ منه طعاما، ولا تصد برا أو بحرا».

ومضى.

عندما مات.. كان عدد رهبانه يتجاوز أربعة عشر ألفا من أبناء الهند.. وتابع الرهبان أداء المهمة التى بدأها أستاذهم.. وراحوا يتنقلون من مكان إلى آخر يعلمون الناس حكمة الجانتية، بعد أن جمعوها فى كتب سميت «أجاماس» ومعناها «الوصايا» أصبحت هى الكتب المقدسة فيما بعد.. ورغم أنهم قالوا إن ماهافيرا عرف سر الخلود، ويستطيع أن يعود للحياة من جديد، إلا أنه لم يعد.. وظل ميتا، رغم أن أتباعه ظلوا ينتظرونه. وربما ينتظرونه.. حتى الآن إلى أن تقوم الساعة!!

■■■

٤- «الماركيز» رفض الحضور لأنه لم يعرف اللغة!!

منذ ١٩٣٦ حتى الآن نفذ الروحانيون أكثر من ٢٧٠ تجربة لتحضير أرواح ماتت، ومحاولة الحديث معها حول كيفية موتها، وأسرار الذين ماتوا منهم فترة ثم عادوا من جديد للحياة.

حاول هؤلاء الذين مازالوا يعتبرون فى عرف الأحياء «مجانين وكذابين» أن يكتشفوا شعور الموت وخبرته.. وكلها مواضيع متشابكة ومتداخلة ضمن رغبة محمومة لمعرفة المزيد عن خبرات الروح فى الجسد. أو خبرة تحليق الأرواح فوق الأجساد التى كان يجب أن تموت.

خلال- ٢٧ تجربة- كما يقول روبرت أنجلو مؤلف أشهر كتاب ظهر فى النرويج عام ٩٢ نجحت فقط سبع تجارب. بينما وصفت بقية الحالات بأنها «فاسدة» لأن الروح التى حضرت إما كانت فى حالة غيبوبة برزخية، أو إنها لم تكن هى نفسها الروح المطلوبة.

أشهر التجارب، كانت استدعاء روح البروفيسور «دمادو رامايانوف» أستاذ الفيزياء النووية بجامعة سان بيترسبورج، الذى توفى عام ١٩٤١ ثم عاد للحياة من جديد!! ثم مات مرة أخرى عن عمر يناهز الثالثة والثمانين.

بعد موت «دمادو رامايانوف» أول مرة، ظل يبحث عن سر عودته للحياة من جديد، لكن الطبيعى أن أحداً وقتها لم يصدقه، لذلك مات.. مكتئبا مهموما ولديه أمل كبير فى أنه لو مات فسوف يعود مثلما مات وعاد من قبل!!

أما آخر كتاب أحدث ضجة فى فرنسا عام ١٩٩٥، كان مؤلفه «ميشال كورنويه» النرويجى ذو الأصول الفرنسية والذى شهر عنه انتماؤه لعائلة الماركيز

«سان افرمون» الذى أعدمته الثورة الفرنسية بالمقصلة.

«كرونويه» اهتم بما حكى عن «الماركيز». رغم أن سان افرمون ليس إلا شخصية خيالية قدمها الكاتب الإنجليزى «شارلز ديكنز» على سبيل الرمز فى «قصة مدينتين».

«كرونويه» قال فى مقدمة كتابه: «أردت منذ عشرين عاماً أن أستقبل روح الماركيز نفسه، إلا أننى لم أفعل لأننى لم أستطع. إما أن تكون الطريقة التى استخدمتها لاستقبال روحه ليست صحيحة. أو أن روح الماركيز لم تفضل أن تأتى إلى هذا العالم من جديد رغم أنها تستطيع بالتأكيد أن تفعل ذلك!!».

قال ميشال أيضا إنه خلال العشرين عاما التى قضاها فى محاولاته استطاع الالتقاء بشخصيات مهتمة بهذه العلوم. وقابل الكثير ممن لهم حكايات مثيرة ضمنها كتابه. وفى نهاية مقدمته قال: «ليست هذه مجرد حكايات، إنما يجب أن نعتبرها معلومات لها أهمية فى فتح الطريق أمام من يريد أن يبحث فيما يعتقد البعض أنه جنون أو تخاريف».

الغريب فى كتاب ميشال إنه يتكلم بإيمان حقيقى، وترتيب جُمَلِهِ وأفكاره لم يكن يدل- ولا يزال- على أنه رجل مجنون.

ميشال كرونويه - كما يقولون - هو أحد أعقل من تبنى التأليف فى مجال عودة الأرواح للحياة!! كان عقلية علمية إلى حد كبير. درس الكيمياء بجامعة مانشستر بإنجلترا، ووصل لدرجة الأستاذية التى لا يحصل عليها فى هذا المجال كثيرون.

لكن المشهور عنه أيضا إنه كان غريب الأطوار. ويقال إنه كان ينتمى للمحفل الماسونى الغربى. فالماسيونيون علماء كما يقول المثل العامى الإنجليزى.

الماسونية مازالت تحيِّر العالم، تماما كما حير ميشال كرونويه المهتمين بمجال الأرواح فى أنحاء القارة الأوروبية.

ورغم أن علوم الأرواح لم تكن عند الكثيرين إلا مجموعة من الخزعبلات والشعوذة، إلا أن الماسونيين أو الذين اهتموا فعلا منهم بالأرواح والموت والعودة بعده فضلوا أن يختبروا العلوم أو أن يجعلوا العلوم هى التى تختبر ما يعتقدون فيه.

كثيرون من المصدقين بميشال كرونويه يعتقدون أن ما تعرضت له سيرته من تشويه بعد وفاته عام ٩٨ هو بسبب كونه ماسونيا.

قالوا إن تشويه سيرته بعد وفاته.. منطقى.. ومنطقى أيضا أن يتعرض للاضطهاد كما تعرض ماسون العالم كله ومازال يعانى الكثير منهم ملاحقة سلطات الأمن فى بعض بلاد العالم.

عام ١٩٩١ أصدرت أكثر من أربع دول قرارات بإغلاق المحافل الماسونية على أراضيها. كان هذا القرار «النادر» «الجديد» فتحا لملف الحركة الماسونية التى تدور حول التكهنات منذ أكثر من مائة عام! الجديد أيضاً أن قرار الدول الأربع الأخيرة متعلق ضمنيا بالتعاون بين المحافل الماسونية فى العالم وبين إسرائيل، أو المتعصبين اليهود، والمتوقع أن تسفر الأيام عن تفاصيل فيما يتعلق بالماسونية السرية فى العالم.

بدأت حملات إغلاق المحافل الماسونية بجمهورية «أوكرانيا»، ثم جمهورية «كازاخستان» إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق، رغم أن الماسونيين افتتحوا محفلهم هناك منذ أقل من أربع سنوات، ولحقت بأوكرانيا وكازاخستان إمارة «ليختنشتين» بعد ما أشاع مسئولوها أن الماسونيين هم المتحكمون الحقيقيون فيها.

أما ألبانيا فقد أصدرت قرارات شفوية بحظر الاجتماعات الماسونية على أراضيها. والمحافل الماسونية «السرية» تخفى أسماء أعضائها خوفا من السلطات الحكومية لأى بلد، لذلك بدأت السلطات الحكومية فى دول كثيرة تشكيل فرق بحث أمنية لتتبع الماسونيين ومحاولة معرفة أسرارهم ومواعيد

اجتماعاتهم، حتى إن إنجلترا حاولت «دس» سبعة من العملاء التابعين لجهاز خدمته السرية داخل جماعة الماسون، واستمرت محاولتها أكثر من أحد عشر عاما، لكنها فشلت لنظام الحماية والأمن الشديد الذى يتبعه أفراد هذه المنظمات السرية.

أما المحفل الماسونى فى مصر فقد تم إغلاقه بعد الثورة المصرية «٥٢» لأن أعضاءه رفضوا الخضوع لتفتيش وزارة الشؤون الاجتماعية. تفتيش الوزارة كان يتعارض مع سرية الحركة والكتمان الذى يتعلق بطقوس أفرادها.

إغلاق المحفل الماسونى فى مصر كان ضربة موجعة لجماعات العالم، إذ إن المحفل المصرى كان يُعتمد عليه فى تدعيم الحركة فى الشرق الأوسط بشكل عام.

قيل إن صفوت المصريين انضموا للحركة وأصبحوا «ماسون» وهو الأمر الذى يشكل لغزا حتى الآن.

ترأس الأمير حليم بن محمد على باشا المحفل الماسونى الأكبر، وكان أستاذا أعظم لمحفل الشرق الأوسط، وظل كثير من أبناء المحفل من الأسرة المالكة على علاقاتهم بالحركة، التى انضمت إليها شخصيات أخرى مثل: سعد باشا زغلول، ويوسف وهبى، وجورج أبيض مع ملاحظة ارتباط مثل هذه الأسماء الكبيرة بالحركة كان ضعيفا للغاية، ولا يعرف حتى الآن العلاقة الحقيقية بين سعد باشا زغلول وبين الماسونيين المصريين الذى كان معظمهم من الأجانب.

دستور «الماسون» الذى صدر فى القرن الثامن عشر وعدل أكثر من مرة حتى وصل لصورته الأخيرة يقوم على مفاهيم عنصرية. هم يعتقدون أن الماسونيين أفضل أنواع البشر.. لا قبلهم ولا بعدهم! ولو استقر الأمر وانتهى عند هذا الحد لم تكن هناك مشاكل، ولكانت جماعة الماسون شأنها شأن معظم الأحزاب السياسية فى الوطن العربى، لكن القضية الأكبر التى اكتشفتها

«أرديسارودن فايلر» الألمانية تؤكد أن الحركة الماسونية ليست حركة سرية فقط إنما يؤمن أفرادها بمفاهيم خطيرة، أولها أن الجماعات الماسونية تعتقد فى أنهم يمكن أن يمارسوا الجريمة والقتل والابتزاز وكل الأساليب التى تمكنهم فى النهاية من حكم العالم.

وتؤكد «أرديسا» أن الدستور الماسونى الذى عدلوه والذى ظل سريا حتى الآن يبيح للمحافل الماسونية أن تمارس كل شىء دون أخلاق ولا معايير للاستحواذ على مناطق النفوذ حول العالم.

وكشفت «أرديسا» أن هناك جرائم قتل وحشية وقعت وقامت بها عناصر تنتمى للمحافل الماسونية. ولما كانت «أرديسا» من الباحثات اللاتى تتبعن التاريخ الماسونى وحركته، فقد أشارت إلى أن مجموع ضحايا «الماسون» أكثر من ٦٨٠ ألفا خلال ثلاثين عاما. معظم الضحايا كانوا ممن توصلوا إلى خيوط أو نقاط يمكن أن تكشف أسرارا عن الجماعات الماسونية.

وتقول ارديسا: يريد الماسونيون أن يسيطروا على مناطق النفوذ فى العالم، وعليه فعندهم القدرة والتمويل والرغبة فى فعل أى شىء.. وهنا الخوف!

ينادى الماسون بتوحيد كل خلق الله من خلال العقل، وينادون أيضا بإسقاط الدين مع الاحتفاظ بفكرة وجود خالق أعظم للكون. ويقول الدستور الماسونى «مادة ٢٥ منه»: «الماسونى لا يجب أن يكون كافرا غبيا، فى حين أنه لا يجب أن يكون فاسقا متدينا»!! وهى مادة لغز تضاف لألغاز الماسونية الكثيرة.

عام ١٨٨٧ قرر محفل الشرق الأعظم فى فرنسا استبعاد أى بقايا إيمانية من الفكر الماسونى، وبعد هذا التاريخ بحوالى ٩٠ عاما بدأت الماسونية تتجه للقيادات الصهيونية بخطى بطيئة ثم تسارعت هذه الخطوات بداية القرن العشرين.

فى القرن التاسع عشر ظهرت محافل فى «بافاريا» الألمانية، وفرنسا،

وروسيا القيصرية، والآن المحافل الماسونية فى هذه البلاد- كما فى أمريكا الجنوبية- تتسم بثورة وعداء للكنيسة وللجامع وللكهنوت والدين بشكل عام، وتتسم بتقبلها لأية أفكار حتى لو بدت هذه الأفكار فى نظر المتدينين «إلحادا»!

لكن- وهذا هو الغريب- استطاع «الماسون» باستخدام نظريات علم «الأخلاق» فى تأصيل نظرية فلسفية تثبت أن الأخلاق والدين عنصران منفصلان، وأنه يمكن أن يكون هناك دين بلا أخلاق، أو أخلاق بلا دين.

انتشرت الماسونية بهذه الطريقة فى البلاد البروتستانتية، والسبب أن البروتستانتية فى الأساس شكل من أشكال التحرر الدينى. وربما هذا هو السبب فى انتشار الحركة فى الجزر البريطانية بسبب عدم وجود كنيسة «أو دين عموما» يسيطر على جوانب الحياة.

وانتقلت للولايات المتحدة وأستراليا وكندا والهند، ولما كانت معظم بلدان العالم ترفض الماسونية وتضيق عليها، اهتمت الصهيونية العالمية بالحركة وبدأت فى استخدامها لتحقيق مصالح خاصة.

خلال فترة قصيرة من بداية القرن الماضى استطاعت الحركة الصهيونية اجتذاب المحافل الماسونية لصفها، بعد صراع بين التنظيمات الصهيونية وبين بعض الشخصيات المهمة فى العالم العربى التى أرادت أن تفعل الشىء نفسه. ربما هذا هو السر الذى جعل عددا من الزعماء العرب يدعمون علاقاتهم بالماسونيين ومحافلهم التى كان معظمها من الأجانب ذوى الحقوق والامتيازات الخاصة. كان من بين هؤلاء العرب الشيخ جمال الدين الأفغانى، والشيخ محمد عبده والأمير عبدالقادر الجزائرى زعيم الثوار الجزائريين، لكن جمال الدين الأفغانى اكتشف حقيقة الماسونية فى وقت مبكر فابتعد عنها بعد فترة قصيرة.

جمال الدين الأفغانى أشار إلى أن شكل الماسونية التنظيمى أشبه بعصابات الجريمة فى أوروبا، إذا بدأ الماسونيون فى محاولات شراء القضاة،

وتجنيد ضباط الشرطة فى ألمانيا وإنجلترا والولايات المتحدة، وشهدت بلدان عربية كثيرة مخططات للماسونيين خلال الثلاثين عاما الماضية لم تفصح عن كثير منها حتى الآن.

وعام ١٩٩٥ اكتشفت إيطاليا أن هناك حلقة تعاون من نوع مًّا بين الماسونيين وريكاردو طولونى أحد أهم زعماء مافيا الجنوب الإيطالى وبين «كفاريلى» زعيم تهريب الهيروين فى جمهورية بيرو بأمريكا الجنوبية. واكتشفت السلطات أن حلقة الاتصال بين هؤلاء واسعة. وأن الماسونيين «اليهود» بدأوا يسيطرون على المؤسسات المالية الكبرى، وأن متابعة هذه الاتصالات صعبة نظرا لدقة الشفرة التى يستعملوها!

فالجمعيات السرية الماسونية فرضت نطاقا رهيبا من السرية على طقوسها وإشاراتها وطريقة التعامل بين أفرادها.. شملت حركات وإشارات حديثة لم يتمكن أحد من اكتشافها. حتى إن جهاز الخدمة فيما وراء البحار التابع للمخابرات المركزية الأمريكية عندما اقترب من حل الشفرة عام ٨٩ اكتشف أن الماسونيين وضعوا خطة بديلة، إذ أن شفرتهم تتيح للماسونى أن يعلم وبسرعة أن اختراقا ما قد حدث من غرباء.

والسؤال: هل قدرات «الماسون» أعلى من قدرات أجهزة المخابرات فى العالم؟! أم أن أحدا حتى الآن لا يعطى كثيرا من الأهمية لجماعة سرية قوية وذكية يمكن أن تحقق كثيرا من الأهداف غير المشروعة.. ومن تحت الأرض؟!

الأهم هل يملك «الماسون» التفوق فى اكتشاف سر الروح الإنسانية التى لم يستطع حتى الآن أن يصل إليه أحد؟!

هذا ما حاول أن يفعله ميشال كرونويه. الماركيز «سان افرمون» قريب ميشال الماسونى كان معروفا عنه اللهو الدائم.. مقامر معظم الوقت، سكران كل الأوقات. ويحكى أنه لما عرضوه للمقصلة أخذ يشتمهم بكلام حاد وبذىء لأنه كان غائبا عن وعيه بسبب آثار الكحول الكثيرة فى دمائه.

قرابة ميشال كرونويه المزعومة بالماركيز «سان افرمون» ليست غريبة، الغريب هو ما قاله ميشال من أنه لم يستطع تحضير روح الماركيز، أو أن الروح لم ترد بالفعل أن تحضر إلى هذا العالم. وهو ما يعنى بشىء من التحليل صحة ما قاله الصينيون القدماء من أن الروح الميتة تظل متأثرة- حتى بعد موتها- بشخصية الإنسان الذى كانت تعيش داخل جسده، وإنها عندما تستدعى، فإنها تستدعى بنفس ما ماتت عليه من طباع.

والمعنى أن انفصال الروح عن الجسم لا يخرجها- مهما كان- عن طباعها أو أن شخصية الإنسان تتأثر بها روحه، أو أن الروح هى التى تؤثر فى شخصية كل واحد منا.

وهى النظرية نفسها المتعارف عليها لدى بعض الشرقيين منذ العام ١٨٠٠ ق.م لكن أحدا لم يصدقها، أو أن وأحداً لم يضعها أبدا محل ما يضع الأفكار الجادة.

لكن كتاب ميشال وكلامه عن قصة استدعائه روح الماركيز أثار هذه النقطة من جديد.

أبرز الطرق التى استخدمها ميشال فى تحضير روح الماركيز، كانت طريقة الدخان. وهى إحدى الطرق التقليدية- كما يقول علماء الروحانيات- فى تحضير روح متوفى. وعندهم- أى عند علماء الأرواح- إن لكل زمن طريقته. وأن الأرواح بالفعل، رغم توقف الزمن لديها، تستجيب لمن يطلبها لو حدث واستدعاها بالطريقة التى تحبها.

لكن عام ١٩٥٢ ظهرت «دينثيال كرومر» الإنجليزية. وعضو الجمعية الأولى «لعلم الروح» فى المملكة المتحدة وقالت إن الأرواح لا تعيش فى «زمن» وإنه ليس لديها «ليل ونهار»، وأن نصف ما قاله الروحانيون الشرقيون عن زمن الأرواح ليس صحيحا.

أكدت دينثيال أن طريقة الدخان ليست طريقة تقليدية فقط، إنما هى واحدة من بين الطرق التى يجب أن يختار مستخدمها الأسلوب الأمثل للتعامل

مع الروح التى يستدعيها!.

أما طريقة الدخان نفسها[1]، والتى استخدمها النرويجى «ميشال» لاستدعاء روح الماركيز «سان افرمون» فهى وضع كمية كبيرة من دخان «الزارا» الهندى، أحد أنواع البخور غالية الثمن فى الحجرة التى يقرأ فيها المستدعى طلاسم «البوهارا».

طلاسم «البوهارا» ليست سحرا، إنما حروف معينة من لغة «اليزجرية» التى توصل العلماء فى عشرينيات القرن الماضى أنها أصل لغات الكائنات الأثيرية. فيقال إن الأرواح تفهمها، وأن الأشعة الشمسية «لأنها روح تفهمها» والهواء «لأنه أيضا يحمل أرواحها» يفهمها هو الآخر.

ويقال إن «اليزجرية» تفهمها أية مخلوقات أثيرية دون التفرقة بين نوع كل منهما، فكما يفهمها الإنسان يفهمها الحيوان عندما تتحول روحه لأثير، فتتخلص من جسده، وترتفع فى الفضاء.

و«دخان الزارا» فهو الوحيد الذى اكتشفوا فى إيران عام ١٦١٥ أنه يطبع ذرات الهواء بجزئياته، فلا تذهب رائحته، إنما تتوالد وتنبعث من جديد كل فترة دون وضع مزيد من البخور.

وفى الصين يسمونه دخان «الثعبان» فهو شبيه لديهم بالثعبان الذى يغير جلده من فصل لآخر، فيظن الإنسان أنه مات، لكنه حى.. فقط غير ثوبه.

طريقة «ميشال» كانت صحيحة لكن نظرية «دينشيال كرومر» هى التى فسرت عدم حضور روح الماركيز.. فبعد أكثر من عشرين عاما من الدراسة، يبدو أن ميشال أخطأ اللغة اليزجرية، ولم يحفظ مخارج ألفاظها جيدا. وهو ما يفسر ما قاله ميشال نفسه فى كتابه «إن أرواحا كثيرة حضرت لكنها لم تكن الروح المطلوبة». فلأن لغته لم تكن صحيحة، فقد حضرت أرواح اعتقدت أن الذى يتلو هذه الرموز يطلبها، ولم تكن لهذه الأرواح أية قيمة عند ميشال.. لذلك تركها تذهب من جديد!!

ليس لأن «ميشال» حكى تفاصيل كثيرة فى كتابه يعنى أن كل ما قاله

صحيح، ولا يعنى أيضا أن العلماء «أو الروحانيين» صدقوا كل ما قاله. ولا يعنى أن من يسمون أنفسهم بالروحانيين على حق، فنصدق نحن كل ما يقولونه. فكل جمعيات «الروح» حول العالم منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادى يسبون بعضهم البعض ويسفهون أفكار الآخرين وأمام كل بحث فى حقيقة الروح لإحدى الجمعيات يظهر ألف باحث آخر ضده، وكأنهم يتصيدون أخطاء بعضهم البعض، أو هم يحاولون أن يجعلوا لبعضهم أخطاء مع أن كلهم- فى رأى آخرين- يمتلئون بالأخطاء والخرافات والشعوذة.

فى الوقت الذى تظل بعض حكاياتهم محل نظر العقلاء من العلماء.

من هذه الحكايات قصص العالم السوفيتى الراحل «دمادو رامايانوف» أحد العلماء الأفذاذ فى الفيزياء النووية، ويقال إنه صاحب الفضل الأكبر على البرنامج النووى الروسى أو على الذين تولوا البرنامج النووى الروسى فيما بعد ليضعوا الاتحاد السوفيتى على خريطة دول العالم الأولى فى القوة النووية.

نظرية «رامايانوف» فى «عودة الموتى» هى التى سمرت الأطباء السوفييت فى الأرض وأخافتهم من نزع خراطيم «الأوكسجين» عن جسد أمين الحزب الشيوعى الروسى «ليونيد برجينيف» حتى بعد وفاته إكلينيكيا، خوفا من أن تراقب «روحه» من فعل هذه الغلطة فتقضى عليه بطريقة أو بأخرى.

ففى عشرينيات القرن الماضى وصل «رامايانوف» إلى أن الروح الإنسانية تماما كالصوت، عبارة عن موجات أثيرية ترتفع فى الفضاء لكنها لا تفنى ولا تضيع.. وهى نظرية روسية شهيرة جدا حتى الآن، ويدخل استخدامها فى علوم «روحانية» كثيرة.

قادت هذه النظرية حسبما يعتقد العلماء الروس إلى تحضير صور من ماتوا من قبل ومشاهدتها على شاشة مخصوصة..

أصل الحكاية أن «رامايانوف» أكد أن كل شىء فى الإنسان يتحول بعد موته لموجات كهرومغناطيسية، أو موجات تشبه الموجات المنخفضة التردد. وبعد

الموت تنفصل هذه الموجات منفصلة التردد وتحلق فى الأجواء التى يمكن أن تحتفظ بهذه الموجات مثل الثلاجة، حتى تتم الاستعانة بها فيما بعد!!

وسمى «رامايانوف» إحدى طبقات الجو «بالثلاجة الأثيرية»، لأنها تجمد الموجات الروحية الإنسانية ولا تحللها، فلا لا تفقد خواصها.

وعندما نشر «ميشال كرونويه» كتابه عن الأرواح وحاول استدعاء روح الماركيز «سان افرمون» كانت أشهر تجاربه هى استدعاء روح «رامايانوف» الروسى.

يقول «ميشال» فى صفحة ٢٧٠ من كتابه «استخدمت ثلاث طرق من المتعارف عليها لتحضير الأرواح، وذكرت باللغة اليزجرية طلاسم الدكتور «رامايانوف»، لكننى فى أول مرة لم أكن أسمع صوته بوضوح، لذلك سألته عن السر فقال إنه الأثير، وذكر أشياء من نوعية أن روحه لم تستقر بعد، أو أن الأثير ليس ملائما». يكمل: «لم أفهم جيدا ماذا يقصد لكننى لاحظت أن «رامايانوف» يتكلم عن أشياء كثيرة فكرت أنا فيها من قبل، وحاولت أن أبحث فى أسرارها».

وذكر ميشال أن كل ما كان يفكر فيه.. قاله البروفيسور «رامايانوف» لكن بطريقته هو، ابتداء من انتقال الروح لمرحلة ما بعد الموت والطريقة التى يمكن بها إعادة تكوينها الإنسانى «عن طريق الاستدعاء». إضافة للحديث عن «الثلاجة الأثيرية» ومعلومات كثيرة متعلقة بتجربة الدكتور «رامايانوف» مع الموت.

ولأن جمعيات الموت تضرب كل منها الأخرى «تحت الحزام» دائماً.. فقد عرضوا تفاصيل كتاب «ميشال» على أحد الأطباء النفسيين الذى وصل لهذه النتائج:

أولا: ميشال مريض بالهلاوس «المرئية» والمسموعة، وأن هوسه نتيجة سيطرة فكرة على اعتقاده طوال أكثر من عشرين عاما أنتجت ضلالات عبر عنها فى كتابه.

ثانيا: كل ما قاله ميشال عن حواراته مع الأرواح لم تكن سوى حوارات بين ميشال ونفسه، وأنه استخدم مفرداته هو للتعبير عن أفكاره هو، وأن أى جديد

حاول تقديمه فى كتابه لم تكن إلا استنتاجاته هو، وهى تدرجا منطقيا للطريقة التى اعتنقها كمنهج للتفكير.

ثالثا.. قال الطبيب النفسى: أكثر قصتين تعتبران دليلا على تحليله.. قصتا الماركيز «سان افرمون» والعالم الروسى «رامايانوف» ففى الثانية كما يقول الطبيب النفسى يستعيد ميشال كل أبحاث «رامايانوف». التى قرأ عنها. مرضه النفسى جعله يتخيل أنه بعد الطرق التى جربها لاستدعاء الروح أنه يسمع الدكتور رامايانوف بنفسه وأنه- أى ميشال- سمع من رامايانوف ما كان يعمله بالفعل. لذلك جاء كل ما فى كتابه معروفاً من قبل فى جميع أوساط «الروحانيين». ولأن ميشال- كما يقول الطبيب النفسى- لم يكن يعلم لهجة وطريقة كلام «رامايانوف» لأنه لم يحدث وسمعها بالفعل، ولا سمع «كاسيت» عليه صوته مثلا، فقد صور له عقله الباطن أن «رامايانوف» يتكلم كأية «روح» أو كما يعتقد الناس العاديون عن الأرواح فبدا صوته كما قال ميشال فى كتابه «خفيضا خشنا متقطعا يأتى من بعيد».

أما الماركيز الفرنسى.. فروحه لم تحضر لأن ميشال.. لا سمعه ولا قرأ عنه، ولا ترك الماركيز أى شىء يمكن لعقل ميشال الباطن أن يتفاعل معه، فيخلق شيئا جديدا، يحكيه مع نفسه فى إطار مرضه.

يقول الطبيب النفسى: «لو كان ميشال قرأ قصة مدينتين للكاتب الإنجليزى شارلز ديكنز لاستطاع أن يخلق الكثير من شخصية الماركيز، ولكانت روحه قد حضرت بالفعل كما حضرت روح «رامايانوف»».

ويضيف: «الشىء الملفت أن حوارات ميشال مع الموتى لم تقد إلى أى شىء جديد عن أسرار الموت، والسبب أن ميشال لا يعرف عنها شيئا.. وبالتالى، لم يصل ميشال إلى الهدف الذى ألف من أجله كتابه».

والنتيجة أن الطبيب قال إن ميشال.. مجنون (!!).

مجنون؟!

٥- «تروح فين الشمس من على قفا الفلاح»!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥)﴾ (سورة النجم ٤٢ - ٥٥)

ربما غضب الإنسان القديم من موته، لذلك حاول اختلاق أية طريقة لضمان خلوده، حتى إن نبعت تلك الطريقة من خياله، لا يهم.. هو فقط يريد ان يقضى على خوفه من ترك حياته للأبد، لذلك مات مطمئنا أنه على وعد بالعودة مرة أخرى.

فالحياة لا تنتهى.. إنما تتغير صورها.. كل فترة.

لهذا فصل دياناته على مقاسه (!!)

ربما هناك أسباب أخرى، منها عدم استطاعة الإنسان القديم تكوين فكرة ولو مبسطة عن العالم الآخر، فكان لزاما عليه أن يختلق ما يعطيه مؤشرا صحيحا عما يحدث، أو ما يمكن أن يحدث بعد الموت. وكان عليه أيضا أن يطمئن، فهو لا يصدق فكرة الموت، التى بها يصبح عدما.

وعليه اقتنع أن الحياة مستمرة. ومن واحدة لأخرى ثم من موته لموت (!!) لكن يبدو أنه سرعان ما أصابه الملل، فلا يمكن أن يستمر حيا من دون توقف.. مستيقظا أبدا من دون نوم.

ثم إنها رتيبة حياته، تلك التى أصبحت بلا نهاية.. لذلك كان لابد من «خلاص» أو حل لمسألته.

بمعنى آخر، لم تعد الحياة شيئا فشيئا، تمثل للإنسان القديم كل شىء فبحث عن حل آخر، وبحث عن طريقة للخلاص الذى خلط فيه بين أمرين، استمرار حياته بعد موته، ثم اتحاده مع الإله أو مع روح الخالق التى سماها الروح الكبرى المطلقة.

هنا كان الخلاص

لذلك تحول من التفكير فى محاولاته منع الموت، للتفكير فى كيفية الخلاص.. فظهرت ديانات عديدة «غامضة» اعترفت كلها بالنفس الخفية الكبرى وما لها من سلطان على كل المخلوقات.. ورأى الانسان القديم ان الحل الوحيد هو الاتصال الدائم بتلك النفس.

هكذا نشأت الديانة الميثرائية «المجوسية» واليونانية، والإيجية القديمة «ثم الديونسوسية» و«الساموثراكية» أو ديانة «الآلهة العظيمة».

لم يَسْعَ الإنسان فى تلك الديانات إلى عبادة خالقه فقط، إنما حاول الاتحاد معه بابتكار مجموعة من الشعائر لذلك كانت تلك الديانات غريبة.. والأغرب كانت طقوسها.

جزيرة «ساموثراك» باليونان القديم، وطن أهم تلك الديانات.

الاتحاد مع الآلهة كان الهدف، أما الوسيلة، فتحرر الروح من المادة. «الساموثراكية» أو «عبادة الآلهة الفريدة» أشهر الديانات اليونانية القديمة على الإطلاق. ومع إنه تكاد تنعدم معلومات تاريخية عنها، إلا أن الثابت استخدام أهلها طقوسا غريبة، بلغة يونانية غريبة.. أيضا.

آلهة «الساموثراكيين» فى اعتقادهم تسيطر على كل شىء.. البحر والعواصف والنار، ثم الكواكب والكوارث. واعتبر الساموثراكيون أن الكوارث

رسالة من آن لآخر الى البشر للانتباه والتأمل ثم السعى لاكتشاف المزيد من محاولات الاتحاد مع روح الاله. واعتقد «الساموثراكيون» أن اتحادهم مع الآلهة «يقيهم من كل الكوارث، ويعيدهم للحياة مرة أخرى لو حدث وماتوا».

وليس «للساموثراكيين» كتاب مقدس وليس لهم أنبياء ولا كهنة، إنما أفراد اختاروهم بأنفسهم لمراقبة إتمام تعاليم الديانة، ثم إحياء طقوس العبادة فى مواقيتها. و«للساموثراكيين» مرتبتان طقوسيتان، يشترك فى الأولى كل من أعلن ولاءه وامتنانه للآلهة، ثم اعتقد فى قدراته الشخصية فى الاتحاد معها، عندما تأذن أو يتسنى له هذا. والثانية اقتصرت على الخاصة.

«الخاصة» هم الأكثر تدينا.. والأفضل سلوكا والانقى روحا من الآخرين.

طقوس الساموثراكيين الخاصة تجرى ليلا فى أماكن غير معلومة للعامة. وفيها الرقص والموسيقى الصاخبة والخمر وسائل للدخول فى «غيبوبة مقدسة» تتحد فيها الأرواح، لترتقى قليلا، وربما يحدث «الاتحاد السامى» لمكان «الآلهة الفريدة».

وعلى الرغم من قلة المعلومات عن «الساموثراكيين» فإن الثابت استمرارها بمفاهيم متجددة لسنوات طويلة، ثم قرونا أطول، اعتمادا على فكرتهم الأساسية فى الرغبة والسعى للالتصاق بالرب والتوحد معه، حتى قيل إن نسبة كبيرة من اليونان والرومان بدأوا فى اعتناقها بدخول القرن الثانى قبل الميلاد.. واستمر بعضهم حتى الآن.

أما الديانة «الميثرائية» (المجوسية القديمة) فقد اختلفت فيها الآراء، بعضها قال إنها فارسية نضجت بمكان مًا بآسيا الصغرى، وعلى العكس.. يؤكد آخرون إنها «غريبة» اخذت فى البداية ملامح ديانات الشرق الأدنى القديمة، فى حين يرى الرأى الثالث، أنها يونانية، شرقية الأصل نشأت بسوريا وتركيا، ثم انتقلت لجزر إيطالية، واكتسبت لمسات يونانية، خلطت فيها بين «الغربية والشرقية» فى المعتقدات.

ومع أن زرادشت قد استبعد «ميثرا» «الإله» تماما من ديانته. فإن بعض الإشارات قد جاءت فى كتابه «الأفستا» المقدس.

ينقسم الأفستا الزرادشتى ثلاثة أقسام. الأول اسمه «ياستا»، وهو الحاوى لكل الأناشيد. والثانى «ياشت» وهو الجزء الخاص بالأدعية والابتهالات ومديح الإله الأكبر، ثم «فيد يقدات» القسم الثالث الذى ضم شروح الطقوس والعقيدة.

يظهر «ميثرا» إلها متطورا فى الابتهال العاشر من «الياشت» مختلفا عما سبق وظهر عليها سابقا فى «الأناشيد»، فهو يدمر الأعداء ويمنح النصر لمن يعبده، كذلك يحمى الفقراء والضعفاء، ثم يُجرى الماء لتتضج المحاصيل.. إضافة إلى أنه مانح الحياة الحقيقية، ساكن السماء وعلى الباحث عن الحق، والنور الكامن فى النفوس عبادة «ميثرا» جنبا إلى جنب عبادة «أهورا مازدا» الإله الأكبر.. الحكيم.

ميثرا كان يرمز له بالشمس.. وهو نور السماء، ونور كل ما بداخله نور، أو هو إله النور، الذى أرسله الإله الأكبر «أهورا مازدا» للاعتناء بشؤون الكون. لذلك كان على «الميثرائيين» البحث عن النور.. هنا وهناك، الوصول إليه داخل كل المخلوقات، ثم محاولة كل ميثرائى اكتشافه داخل نفسه.

ويحكى هيرودوت أن الفرس لم يكن لديهم لا تماثيل ولا معابد ولا مذابح لآلهة الديانات الميثرائية، ثم تطوروا فيما بعد- نحو أربعة قرون بعد ميثرا- وبدأوا تقديم أضحيتهم فى معبد كبير.. توقد فيه نار يراعى ألا تنطفئ أبدا.

النار هى «المغناطيس» الذى يشد نور النفس الإنسانية، ويخرجه بالعافية، حتى إن لم يود صاحبه.

صلوات «ميثرا» كانت تؤدى نهارا، تبدأ بمجموعة تراتيل قبل طقوس غير معروفة حتى الآن، غطى منها «الميثرائيون» أفواههم بقطع من قماش «وهم أمام النار» حتى لا يطفئوها.. ولو من دون قصد.

بعد فترة، طرأ تطور كبير على «ميثرا» وديانته، فقد تحول من إله مبعوث

للبحث عن النور، إلى آخر لا يخضع لأحد. وأصبح المعبود الرئيسى لملوك تركيا والجنوب السورى، الذين أطلقوا على أنفسهم اسم «ميثرا» لما يحمله من إشارات النصر والعزة والروح السامى.

بعد انتشار واسع حققته، شكلت الميثرائية منافسا خطيرا للمسيحية من القرن الثانى حتى نهاية القرن الرابع الميلادى.

خلالها كثر الأتباع، وكان لزاما على «السدنة الكبار» أو أعاظم الكهنة تصنيف التابعين فى مراتب مختلفة، وهو ما أدى لتبديل المراتب الثلاث القديمة بسبع جدد يمر بها المؤمنون الميثرائيون، أو سبع مراحل يحمى كل منها كوكب. فحصل «الميثرائيون المستجدون» على لقب «غراب». ويحميه كوكب عطارد. ليتدرجوا فى المراتب من «عروس» يحميه كوكب الزهرة، إلى جند يحميه «المريخ» ثم «أسد» فى حماية المشترى، وفارس يحميه «القمر»، ثم رسولا للشمس وتحميه الشمس نفسها.

أما الدرجة السابعة والأخيرة قبل الخلاص «الميثرائى» فكانت «الأب» الذى يحميه كوكب «زحل»، وغلبت السرية على طقوس وتعاليم كل درجة بما لا تعرفه الدرجة الأقل. أى أن تدرج «الميثرائى» من درجة طقوسية دنيا لأعلى منها، يعنى تلقينه مزيدا من الأسرار والشعائر لم يعهدها من قبل ولا زملاؤه فى الطبقة الأدنى.. وهكذا. وعلى الرغم من هذه السرية المفروضة على حديثى العهد «بالميثرائية» فقد اشتركوا كلهم جدد أو قدماء فى خلع ملابسهم كاملة مرة كل أسبوع والتطهر بحرارة النار ليولدون.. رمزيا من جديد.

وكأنهم طهروا الروح داخل الجسد، ما يجعل نفس صاحبها أقوى. هذا الطقس غالبا ما كان يتم مع شروق الشمس.. فالميثرائى لا تصلح أو لا تصح ولادته إلا مع أول ضوء يلوح فى الأفق.

كذلك اشترك «المثرائيون» على مختلف درجاتهم فى طقوس «التناول»، أو أكل الوجبة المقدسة، حيث يكون خبزاً ونبيذاً مخلوطاً بماء.

الوجبة التى ترمز- كما اعتقدوا- إلى جسد «ميثرا» الخالد، الهائمة روحه منذ بداية الخلق لنهايته، ومن ثم تضمن لهم هذه الوجبة الحياة الأبدية بعد الموت، فى النزول، أو الحلول بجسد آخر، أو طفل صغير يولد من جديد.

أكل «هذا المزيج» يرمز لجسد «النور المقدس الخالد» وهو الذى يمدهم بعد فترة بخلود مًّا.. هم الآخرون، ويحرر أرواح أجسامهم من مادتها، فيصبح طريقهم للخلود.. سهلا يسيرا.. من دون أشواك!!

■■■

القصة الثانية تقول إن «أتيس» أحب الفتاة الجميلة «كيبلى» لكنها لم تكن تشعر نحوه إلا بكل حقد وكراهية، غير أن «أتيس» مع دمامته، ظل متماسك النفس، لم يفقد الأمل- أبدا- فى إمكانية حبها له، لم يفقد الأمل بالحياة من أساسها.. عكسها تماما. أى عكس «كيبلى» التى رغم جمالها وحسنها الباهر.. كانت كئيبة منطوية غير آبهة لا بالحياة ولا بالموت ولا بجمالها.. ولا بحب «أتيس» الملتهب.

«كيبلى» كانت قد قادت كل الذين عشقوها من قبل للجنون، فلما وجد «أتيس» أنه لا مفر، ولا لقاء لمن يحب، قطع أعضاءه التناسلية، وألقى بها فى البحر.. ثم مات بعد أن فقد كل أمل.

لذلك على أتباع «أتيس» ألا يفقدوا الأمل أبدا، ومن ثم لا يفقدوا حياتهم مهما كان. هكذا قالت الأسطورة، وهكذا أيضا يعتقد أتباع ديانة «كيبلى» أو «أتيس» التركية القديمة التى عرفت بحلول القرن السابع قبل الميلاد فى مناطق كثيرة، بمختلف أرجاء الأرض.

كان جنون «أتيس» بمحبوبته، ثم نواحُ تلك المحبوبة بعدما فعل بنفسه ما فعل، مدخلا ونموذجا لرقصات متهتكة، مصحوبة بطقوس خِصّى «جماعى»، تليها مراسم دفن الأعضاء المقطوعة إيذانا بالولاء والاقتداء بما فَعَله «أتيس» الأول.

ويبدو أن «الأتيسيين» وجدوها صعبة ومستحيلة مسألة الخِصَى تلك، فكانت كل طقوسهم حقيقية، إلا فيما يتعلق بالمسألة المستحيلة تلك، فمثلواً أنهم يقطعون أعضاءهم التناسلية ثم يوارونها التراب.. مرة أو اثنتين كل عام «!!».

عندما دخلت الاتيسية اليونان، تحورت بعض الشيء.. خصوصا أن اليونانيين الأوائل لم يتلاءموا هم الآخرون حتى مع تمثيل عملية «الخصى». أو أنهم خافوا القيام بها.. من يدرى؟ قد تنقلب غما ونكدا، فاستبعدوا قصة «أتيس» برمتها، وعبدوا «كيبلى» التى لا ضرر منها «!!».

بعد فترة، كان لزاما عليهم إيجاد رفيق آخر لمعبودتهم.. فوجدوا بدل الواحد.. اثنين «بان» ثم «نمفيس»، وأخذت ديانة «أتيس» شكلا رصينا على أيدى اليونان تحت اسم «عبادة كيبلى» دونما تحتوى طقوس إخصاء، لكن الإمبراطور اليونانى «كلوديوس» «٤١-٥٤م» افتقد طقوس الإخصاء فى ديانة «كيبلى» الجديدة افتقادا شديدا، لذلك حولها من عقيدة أرستقراطية اقتصرت على أمراء ونبلاء اليونان، إلى أخرى عامة يمارسها الجميع. وأرجع الاهتمام بـ«أتيس» وقصته، ثم طقوس إخصاءه لنفسه، فأضاف «كلوديوس» يومين للعيد السنوى، بدلا من الاحتفال يوما واحدا فقط.

ويحسب لـ«كلوديوس» أنه أول من توجه للغابة المقدسة، مقطعا أفرع شجر الصنوبر «رمز من رموز أتيس» ثم حملها فى موكب مهيب إلى معبد «كيبلى» فى المدينة، الذى زينه الكهنة قبل بدء الاحتفال.. وفى اليوم التالى.. يبدأ كلوديوس مع كهنته تمثيل طقوس الإخصاء القديمة، ثم يقوم العامة بدفن أفرع أشجار الصنوبر بعد قطعها.

أتباع «أتيس» المحدثين، كرهوا موت «أتيس» بعد قطع أعضائه أو عَزَّ عليهم فراقه للأبد، فطرأت على ديانتهم أسطورة أخرى تؤيد عدم صحة موت معبودهم. وقالوا إنه ظل حيّاً ليرى نتيجة ما فعله بنفسه.

فأعضاؤه المدفونة، لم تكن إلا سمادا قويا للأرض، التى اثمرت حبوبا من

القمح والصنوبر ونبات الخشخاش، كما لم تثمر من قبل.

وجاء «أتيس» منتصرا على الموت يرعى تلك النباتات، ثم يسقيها من دمائه التى تحولت فيما بعد لماء قنطرير «!!».

عثر العلماء على تمثال لـ«أتيس» فى أكبر معابد اليونان «الأتيسية» وقطعة من فرع شجر الصنوبر تظهر بين فخديه. فهو فى ثوبه الجديد، لم يكن يرمز إلا للبعث والخلاص، وقد زين أتباعه التمثال «الخبيئة» بأزهار وحبوب القمح والخشخاش النباتات التى اقترنت بـ«أبيس» الإله، الذى ارتبط بدوره بفكرة دورة النبات.. وخصوبة الأرض، فأصبح إله «الخصوبة» خصياً «!!».

ولما جاء الإمبراطور «أنتونيونيس» خشى أيضا من تمثيل الإخصاء فى الاحتفالات السنوية- خصوصا أنه كما يحكى- كان زوجا لما يفوق مائة امرأة«!!» وخاف أيضا من إلغاء تلك الطقوس، فتغضب الآلهة، لذلك أضاف طقسا جديدا، لا ضرر فيه ولا ضرار، وابتكر التضحية بأحد الثيران بعد خصيه، مع أن طقس قتل الثيران ودخولها فى العبادات كان تقليدا آسيويا، إلا أن هذا لم يهم الإمبراطور، الذى طلب من شعبه بعد فترة الاحتفاظ بالأعضاء التناسلية للضحية، ثم تعميد أتباع ديانته بدمها.. لقد كان الثور فداء فى حد ذاته.

«ميكروب» الإخصاء تفشى- ذلك الوقت- ضاربا بعنف ديانات الشرق القديمة. فتأثرت به ديانة «الآلهة السورية»، التى حملها التجار بعد فترة لمناطق العالم الجديدة، إضافة لمجموعة من الخصيان المتجولين هنا وهناك مبشرين وداعين لديانة «أتارجاتيس» كما سماها اليونان القدماء.

نفس أسطورة «كيبلى» و«أتيس» باختلافات بسيطة، وأسماء جديدة.

«كيبلى» تحولت لـ«أتارجاتيس»، أما «أتيس» فقد أصبح «أداد». و«أداد» لم يقطع أعضاءه بنفسه هذه المرة، إنما أوكل تلك المهمة لأحد صبيانه.. لقد كان

«أداد» حدادا.. لذلك سمى بعد فترة بـ«حداد». وانتشرت عبادة «أتارجاتيس» ورفيقها «حداد» بمدن كثيرة بالشرق الأدنى، ثم أخيرا بالقرب من نهر الفرات.. والشمال الشرقى من البحر الميت، وأخيرا استقرت فيما بين نهرى دجلة والفرات.

لم ترفض «أتارجاتيس» «حداد» لدمامته «مثل كيبلى».. إنما رفضته لقصره الشديد، لقد كان قزما، ورفضت «أتارجاتيس» أن يواقعها هذا القصير، لتتوالى نفس أحداث «كيبلى» و«أتيس» حتى يدخل «حداد» الخلود. وهناك.. تنمو له أعضاء تناسلية جديدة.. لا يستمعلها قط أو لم يرغب فى هذا أتباعه من بعده، فالقاعدة أنه لا خلود مع الجنس، ولا جنس مع الخلود.

ويظهر عدم انتظام طقوس عبادة «أتارجاتيس» تلك لفترة طويلة، أو تذبذبها من طقس غريب لآخر. لكن الثابت رسامة أتباع الديانة لمجموعة من الكهنة الخصيان ليخدموا تمثال آلهتهم فى أحد الكهوف، فيما رمزت كلمات عديدة فى تلك الرسومات لخلود هؤلاء الكهنة بعد خصيهم فعلا هذه المرة!!

تماثيل «أتارجاتيس» كانت تظهر مرتين فى العام الواحد. ويقوم عبدتها بالدعاء وحلف يمين الولاء بمصاحبة الرقص والموسيقى.. ثم الخمر حتى يتحولوا للانجذاب المقدس.. غيبوبة مقدسة، تمكنهم من قطع أعضائهم التناسلية.. دون ألم.. أو تردد. ثم يأتى دور «السمك» بعد ذلك.. حيث يشترك كل الخصيان فى الاحتفال بوجبته المقدسة أيضا.

«جيمس فريزر» عرَّف الدين بأنه الإحساس الدائم لدى الفرد بوجود «قوة» خفية تتسلط بقدراتها وسلطانها عليه وعلى أقرانه، ثم على كل ما حوله من مخلوقات. يعنى الإيمان بأن تلك النفس الخفية هى الكل، أو أن الكل ليس إلا نتاجا طبيعيا لها.

الدين عند فريزر هو الكل فى واحد. لكن «دور كايم» عالم الاجتماع له رأى مختلف.. قال إنه يمكن أن يكون دين مَّا دون آلهة، تماما كما فى

الديانة الزرادشتية، حيث يؤمن الزرادشتيون بعدة مقدسات، من دون أن تكون لأى منها آلهة تُتبع. هم فقط يقدسون الخير وينبذون الشر وقوته. إذ أن الشر والخير عند «الزرادشتى» لهما نفس القوة، لكن «الزرادشتى» الناجح هو من يتغلب على القوة الشريرة فى عالمه.. أو داخل نفسه، جزاؤه ليس رضاء الآلهة.. إنما رضاء نفسه، ثم العيش أبدا فى سلام. ويزيد «دور كايم» «أن هناك ديانات أو عقائد لم تتحقق فيها فكرة الدين بمفهوم واضح.. مثل البوذية، التى تعتبر مجموعة من الأخلاق الطيبة والمعايير البناءة دون شريعة».

أو دون ما يمكن أن نطلق عليه «عقيدة»، فالحياة عند البوذى ليست إلا مرحلة عابرة والناس جميعا أشقياء إن لم يتفرغوا للتأمل.. تأمل الخطأ من الصواب.. عندها سيعرف البشر ما هو مطلوب منهم خلال مرحلتهم الأولية.. او حياتهم الأولى. المطلوب فقط تخلص البوذى من كل ما هو كئيب وتعيس فى دنياه، الشهوة والرغبة وحب المال والبنون والسطوة والميل للسيطرة حتى تأتى حالة السمو وينعدم كل شىء فى أعماقه.. أو فى حقيقته.

فلا قيمة لأى شىء.. إلا النفس النقية. النفس النقية هى الوحيدة التى كتبت لنفسها راحة البال.. ومن ثم تفهم أمر الدنيا على حقيقتها.. قبل الخلاص الأخير!! لذلك كله، مال «دور كايم» إلى تقسيم الديانات إلى «عقائد» و«عبادات».

الأولى حالة فكرية أو تصورات تصورها صاحبها للتعبير عن طبيعة الأشياء المقدسة، وأسباب تقديسها ثم الغرض من وراء هذا التقديس. والعبادات فى تصنيف «دور كايم» نماذج من أفعال جسمية حركية يمارسها الإنسان حيال الأشياء المقدسة، أو مفاهيم قدسها هو ومال للإيمان بها.

إلا أنه غالبا ما ترتبط «العبادات» عند «دور كايم» بأساطير تحكى قصصا غريبة، إما ذات مغزى لتعريف المؤمن وإقناعه بديانته. هكذا كانت كل ديانات

الشرق القديمة، سعى فيها الإنسان إلى التقرب من الآلهة بأفعال جسمية بدنية، تكمن وراءها الكثير من الأساطير الغريبة.

■ ■ ■

٦- ستة أيام فى القبر تلعب مع كلبها!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ صدق الله العظيم **(سورة الروم ٤٠)**

عام ١٩٦٩ حدثت هذه القصة بجنوب مدينة ليون الفرنسية ولا تزال عند الكثيرين لغزا.. حتى الآن.

ففى شهر يونيو من العام نفسه مرضت «ماتيلدا» مرضا خطيرا استدعى نقلها لمستشفى «سان بوزيه»، وهناك وُضعت تحت الاختبار الطبى والملاحظة الدقيقة، لكنها أنها ماتت بعد ١٧ ساعة من دخولها المستشفى. ولما دفنت ظلت بقبرها «كما يُقال» مدة ستة أيام، ثم عادت للحياة من جديد، وخرجت من قبرها، ثم ماتت عام ١٩٨٠.. بعد إحدى عشرة سنة من دفنها!؟

لا أحد يعرف إذا كانت «ماتيلدا» دفنت ميتة أم أنها دفنت حية، فإذا كانوا دفنوها حية، فالطبيعى أن تخرج من قبرها، وهى الواقعة التى تحدث، وفى كل أنحاء العالم كثيرا.

الغريب فى قصة «ماتيلدا» أن الأطباء.. كما قيل.. وضعوها تحت أجهزة القياس بعد وفاتها لمدة ساعتين، إضافة إلى أنهم قبل إعلان وفاتها حاولوا فتح وريد فى يدها لحقنها بأحد منشطات القلب، إلا أنه ثبت كما يقول التقرير الطبى أن الأطباء لم يستطيعوا فتح الوريد، لأن دقائق كثيرة كانت قد فاتت على موتها، وهو دليل على أن «ماتيلدا» دخلت القبر ميتة.

ويبقى الخيار الثانى!!

كيف عادت «ماتيلدا» للحياة؟! وكيف ماتت مدة ستة أيام؟! وماذا رأت فى موتها؟! هل لها أن تحكى عما رأت؟

عام ١٩٦٩ انقلبت الصحف الفرنسية إلى ما يشبه حلقة سباق لتحليل قصة «ماتيلدا بليمون». وحتى عام ٧٨ لم تكن نفس الصحف قد وصلت لحل فيما يتعلق بالقصة وتفاصيلها.

حسب ما نشر قالت «ماتيلدا»: «الساعة الخامسة مساء ذلك اليوم شعرت بأننى خفيفة الوزن إلى حد كبير، وأن رأسى أكبر كثيرا من حجمه الطبيعى، لم تكن علامات ارتفاع ضغط الدم، الذى كنت أعانى منه، إنما شىء أكبر من هذا، لابد أنه شىء يتعلق باقترابى من الأجل المحتوم». تكمل: «عندما دخلت غرفة العناية، وضعونى على أحد الأسرة وكانت البرودة شديدة فى الحجرة، وشعرت أننى لا أرتدى أى شىء ما عدا ملابس خفيفة يرتديها المرضى فى حالتى، كنت أسمع كل ما يقولونه، أحدهم كان يقول للآخر إن هذه السيدة لن تستطيع أن تقاوم، وقال آخر إنها فى العقد السادس من عمرها، وأن ضغط الدم المرتفع فى شرايينها لن يتيح لها تجاوز مرحلة الخطر، وبعد فترة غبت عن وعيى، وشعرت قبلها أننى سوف أغفو قليلا رغما عنى، المهنى إننى شعرت بالمراحل الطبيعية التى يشعر بها من اقترب من الإصابة بالإغماء.

قال «أديموند بليمون» زوج «ماتيلدا»: «خرج الأطباء من غرفة العمليات فى السادسة إلا عشر دقائق، وقالوا لى إن مخ زوجتى دخل مرحلة غريبة لا يمكن أن يتدخل الطب فيها، فيما ظل القلب ينبض، وكأنه لم يتأثر وهو ما يمكن أن يقال عنه موت إكلينيكى».

أشار زوج «ماتيلدا» إلى أن زوجته ارتفع ضغطها إلى درجة عالية، وأنها شارفت بالفعل على الوفاة. الشىء المهم والملاحظة الجديرة بأن تؤخذ فى الاعتبار أن الذى قال هذا الكلام هم الأطباء، وأن حالة «ماتيلدا» قد دونت فى

تقارير المستشفى حتى نشرت بالفعل عام ١٩٧٥ بعد أن قامت من موتها .. أو «نومها»!!

«ماتيلدا» نفسها تكمل قصتها: «شعرت أننى غبت عن الوعى قليلا، لكننى استفقت، ورأيت الوضع كما لو كان أطباء كثيرون حول سريرى، بعضهم كأنه يرانى شبحا لأنه ينظر إلىّ بانفعال ورعب، فيما كان الآخرون يحاولون فتح شرايين يدى حتى يغرزوا فيها أكثر من «حقنة».. شعرت أنهم كانوا كما لو أنهم يجاهدون حتى يستطيعوا إتمام عملهم بنجاح، لكن اتضح فيما بعد أن محاولاتهم باءت بالفشل، حتى إن أحدهم بدأ يحفر يدى بمشرط جراحى، وأخذ يضغط بيده على أوردتى بعد أن شق يدى، محاولا أن يقوم بآخر محاولة، وفى النهاية بدا عليهم كلهم اليأس».

المثير أن «ماتيلدا» قالت: «شعرت أننى فوق سقف غرفة العمليات، ففى البداية، وأنا أشاهد كل هذه التفاصيل كنت نائمة على سريرى، لم أتيقن هذا، لكننى عندما سألت نفسى أين أنا، كنت أعلى الغرفة أشاهد المنظر كله، وكأننى أتابع حلقة مصورة من البرامج الطبية، وحينما كنت هناك شعرت بأننى لم أكن أريد لهؤلاء الأطباء أن ينجحوا فى مهمتهم، ولا أن ينقذونى من الموت، فقد سمعت أنهم يقولون لبعضهم ما يدل على أن الأمل ضعيف فى أن أعود لدنيا الأحياء. كنت أود أن أظل هكذا، إذ إننى لم أجرب هذا من قبل، إضافة إلى أننى لاحظت أنه ليس لدى إحساس دنيوى، بمعنى أننى لا أشعر بالخوف، ولا الرهبة، ولا عندى أى إحساس تطفلى لأعرف ماذا يحدث، ولم تكن لدىّ أحاسيس أخرى تشير إلى أننى مازلت حية.

لكن فى الوقت نفسه، وبالرغم من أن هذا متناقض، كنت أشعر أننى مازلت حية، كل ما راودنى من أحاسيس أننى لا أريد شيئا، وأننى لا أفضل أى شىء، كما قلت، الآن أستطيع أن أقول إن أحاسيسى البشرية كانت «منعدمة تماماً».

توقف نبض «ماتيلدا» الساعة السادسة وخمس دقائق عصر ذلك اليوم،

وكان نشاط المخ بالفعل لا يعطى أى رسم كهربائى. وحتى السادسة والنصف، كانت «ماتيلدا» تحت جهاز التنفس الصناعى بعد تدليك قلبها، وبعد ثلاث ساعات اضطر فريق الأطباء لسحب الخراطيم لأن «ماتيلدا». كانت قد ماتت.

وصرحوا بدفنها، وكتب الدكتور «هنرى ديروميه» خطاب الوفاة مختوما بخاتم المستشفى، مؤكدا أن المريضة ماتت فى الساعة العاشرة وخمس دقائق، وأن الأطباء المعالجين حاولوا إنقاذها بتدليك عضلة القلب، لكن حياتها انتهت إكلينيكيا ثم فسيولوجيا فى تمام الساعة المذكورة.

وختم الأطباء تقاريرهم، وقام أهل «ماتيلدا» بدفنها صباح اليوم التالى.

وبعد ستة أيام، كان حفار القبور يمر بجوار قبر «ماتيلدا».. فسمع أصواتا غير طبيعية، ولما اقترب من القبر سمع ما بدا أنه شخص يحفر أو ينقر على الخشب.

وانفردت جريدة «لوموند» الفرنسية عام ١٩٧١ بحديث مع حفار القبور قال فيه: «ذهبت «لايمليانون» المسئولة عن الجزء الخاص بورديتى المسائية، ولما كان فتح القبر يحتاج لأمر إدارى فقد طلبت منها أن تكتب خطاب الفتح المتعارف عليه، وأخذتها وأخذت الخطاب، وأخذنا اثنين من عمال المقابر، وذهبنا للقبر الذى يصدر صوتا، وبدأنا- قبل فتح القبر- فى الحفر، ثم أخرجنا الصندوق والمفاجأة كانت أننا وجدنا السيدة «ماتيلدا» ٦٨ عاما التى قمنا بدفنها منذ خمسة أيام تنظر إلينا ووجهها شديد الشحوب وعظامها واضحة فى وجهها وفى منطقة الصدر، وبالرغم من أنها تغلق عينيها وتفتحهما، إلا أنها كانت صامتة تماما، لذلك طلبنا البوليس، ولم يشأ أى منّا أن يعطيها ما تشربه، لأن المياه فجأة كانت سوف تقتلها حتما.

يكمل الحفار: «عندما ابلغنا البوليس تليفونيا، جاءت فورا سيارة إسعاف، وتم على الفور تعليق محاليل الأملاح فى عروق «ماتيلدا» التى بدت وكأنها لا تشعر بأى شىء، أو كانت فى غاية الدهشة. ما عرفته أنها ظلت مذهولة سبعة

أيام، المدة التى مكثتها فى المستشفى، وهى المدة التى سمعها زوجها تهذى فيها بكلام غير مفهوم وتتكلم عن «الجنائن» والحدائق ورائحة الزهور التى تشمها من حين لآخر، مع أنها كانت فى غرفة العناية الخاصة، ولم تكن هناك لا ورود ولا رياحين.. ولم يكن هناك غير رائحة المطهرات»!!

الكشف الطبى على «ماتيلدا» أكد أن هذه السيدة ظلت بلا طعام أو شراب مدة زادت على ستة أيام، وأنها أصيبت بشبه تعفن فى معدتها، وفى قنواتها اللعابية، الأمر الذى دعا الفريق الطبى إلى إعطائها حقنة شرجية وإدخال خراطيم لحلقها وأنفها وأذنيها، لتنظيف بكتيريا نشطة استقرت فى هذه الأماكن.

وقال التقرير- الذى لم يستطع الطبيب الذى كتبه أن يقتنع أن ماتيلدا كانت قد ماتت وعادت للحياة كما يقول الناس- إن حدقة العين تستجيب بصورة سريعة جدا للضوء الشديد، ما يدل على أن هذه السيدة عاشت فى ظلام دامس مدة طويلة. الأهم- حسب ما جاء بالتقرير- أن ماتيلدا كانت مغمضة العينين طوال ستة أيام.. ما يعنى أنها كانت نائمة طوال هذه المدة، لكن «ماتيلدا» كان لديها كلام آخر.

قالت «ماتيلدا» إنها شاهدت كل شىء، لكنها لم تكن مدركة وقتها، ولا كان لديها أى تفسيرات.. وقالت إنها شاهدت نفسها فى سقف الغرفة، ثم وجدت نفسها تنسحب بسرعة وكأن هناك شيئا يشدها لأعلى، وقتها كانت عقارب الساعة- كما تقول- تقسم الساعة إلى نصفين. واضافت بعد ذلك وجدت نفسى فجأة مع كلبى جاك الذى مات منذ ثلاث سنوات، وأننا نلهو مع بعضنا البعض، لم نكن نتكلم، وكان هناك أشخاص كثيرون حولنا، لكن كما قالت، لم أكن أتكلم مع كلبى أو أناديه، ولم أتكلم أو لم تكن عندى الرغبة فى أن أكلم أياً من الموجودين حولنا، ولا هم جاءوا ليكلمونا.

وقالت «ماتيلدا»: «فجأة شعرت وكأن شيئا يسحبنى مرة أخرى إلى أسفل

أغـرورقت عـينا كلبى بالدمـوع، ووجـدته ينظر إلىّ حـزينـا، لم أكن أملك أن أتصرف بأى شكل أو طريقة، وفى النهاية بدأت أنقر بيدى على جدار الغرفة الضيقة التى وجدت فيها نفسى فجأة، إلى أن رأيت أشخاصا، ثم رحت مرة أخرى فى غيبوبة وأنا فى غاية الدهشة».

أما حفار «القبور الأمريكى الجنوبى فقال: «عندما سمعنا نقرا وصراخا داخل القبر، فتحناه، فنظرت إلينا تلك السيدة ثم ظلت عيناها مفتوحتين دون أن تقول شيئا، وكأنها لم تعد ترى شيئا!!».

■ ■ ■

٧- مات وهو يتكلم
ثم عاد ومات مرة أخرى!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤)﴾ صدق الله العظيم (سورة النجم ٤٣، ٤٤)

الديانة الجانتية تعتقد أن الأرواح لا تموت.. مع ذلك يقولون إنهم ليسوا مؤمنين بالتناسخ، لأن معنى أن تقول إنهم مؤمنون بالتناسخ أن هناك حقيقة أخرى غير ذلك، وهم لا يصرحون أبدا أنهم مؤمنون بتناسخ الأرواح، لأن الحقيقة لا تحتاج لتصريح.

يقول «الجانتيون» إن «ماهافيرا» لم يكن وحده مؤسس عقيدتهم، فالجانتية أسسها أربعة وعشرون «جنا» ظهروا على فترات ليبشروا الناس ويهدوا شعب الهند إلى الطريق المستقيم!!

أول جن هو الإله «أديناث» الذى ظهر قبل بليون بليون سنة.. وآخر واحد هو «ماهافيرا» الذى توفى حوالى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد!!

كهنة الجانتية يقولون إن عقيدتهم يعود تاريخها إلى الملايين من السنين، وقالوا للناس إن دينهم أزلى لا بداية ولا نهاية لوجوده، ولم يكن لمؤسسيه فضل غير أنهم رفعوا عنه الحجب وأطلعوا أتباعهم على أسرار الرهبان.

عندما رقد «ماهافيرا» على فراش الموت، اجتمع حوله كل ملوك العالم وحكامه.. وراح «ماهافيرا» طوال أيام ستة يتحدث إلى الملوك والحكام ويلقى فيهم عظاته.. واستمر على ذلك الحال حتى كانت الليلة السابعة لاحتضاره.. وفى تلك الليلة.. تحرك «ماهافيرا» فى بطء شديد.. ونهض ليصعد على عرش

من ماس يتوسط قاعة رائعة بالغة الفخامة.. تشع جوانبها بأضواء متألقة غريبة لا يبدو لها مصدر قط ثم جلس «ماهافيرا» على العرش.. ويقولون إنه مات ثم عاد ليتكلم من جديد. واستمر ماهافيرا يلقى عظاته فى الملوك والحكام.. حتى بدأ الفجر يقترب، فى تلك اللحظة غشى النوم أبصار كل من فى القاعة.. بينما ودع ماهافيرا الحياة واختفى دون أن يراه أحد قط.

مضت لحظات.. ثم فتح الجميع عيونهم كأنهم يستيقظون من سبات عميق.. وعندما أطلوا حولهم لم يروا شيئا على الإطلاق.. فقد كانت القاعة غارقة فى ظلام رهيب.. تماما كما أحاطت الظلمة بكل أنحاء العالم لموتة «ماهافيرا» الثانية.

ولأجل أن يرى الحكام والملوك بعضهم.. أمروا بإشعال النار فى كل مكان، وظلت المشاعل منذ ذلك اليوم الذى اختفى فيه ماهافيرا مشتعلة. وتساءل البعض: إن كان «ماهافيرا» دخل الخلود بعد ميتته الثانية؟ ثم طرحوا السؤال الأهم: ما هو الطريق للنجاة من الموت.. أو الخلود بعده؟!

أجاب الرهبان: «توبة وامتناع عن إيذاء أى كائن مهما كانت ضآلته وترك الاستمتاع بكل لذة خارجية.. لأن اللذة الحسية خطيئة دائماً!!».

وسأل البعض: وما هو المثل الأعلى لنا؟

أجاب الرهبان: هو الذى لا يأبه باللذة أو بالألم!

وقال بعضهم: «كيف نستطيع أن نتفادى إيذاء كل الكائنات مهما بلغ قدرها من الضآلة؟»

قال الرهبان: لا تزرع.. لأنك عندما تزرع تمزق التربة وتسحق الديدان.. لا تأكل العسل لأنه حياة النحل، عليك بتصفية الماء قبل شربه حتى لا تقتل ما عسى أن يكون كامنا فيه من كائنات، محرم عليك أن تغلى الماء مخافة قتل الحشرات التى لا تراها العين. ولا تقطع الأشجار ولا تقوم بأى عمل يتطلب استخدام المواقد حتى لا تحرق الذباب والبعوض، وعليك أن تغطى فمك بشبه

«كمامة» حتى لا تستنشق مع الهواء أحياء عالقة فيه فيقتلها تنفُّسك، وعليك أن تكنس الأرض أمامك وأنت تمشى خوفا من أن تدوس بقدمك كائنا حيا فترديه، ولا يجوز لك أن تأكل لحم الحيوان أو تذبحه أو تضحى به، وإذا كنت جانتيا مخلصا فعليك أن تقيم المستشفيات والمصحات للحيوانات التى هرمت أو أصابها أذى.

آمن الجانتيون بكل ذلك، واستطاعوا أن يسيطروا على أنفسهم ويرغموها على اتباع الطريق الجانتى للحياة. عرفوا أن عليهم فوق ذلك أن يتبعوا وسائل أخرى تقربهم من النجاة والخلاص، وأن يقمعوا الشهوات ويتجنبوا الشعور بالألم أو المضايقات.

وقال الرهبان الجانتيون: الألم يحسه الناس فى اثنتين وعشرين حالة يجب اجتنابها.. منها الشعور بالجوع أو العطش، والشعور بالبرودة أو الحرارة، والشعور بضيق الصدر من لدغة بعوضة أو نملة، والشعور بالخزى أو الخجل عند العرى، وعدم الهدوء عند رؤية امرأة جميلة، والأسف لعدم جود فراش ينام عليه المرء، إذ محرم أن ينام الإنسان على فراش، والشعور بالغضب أو عدم الرضا بالحال، والتألم من المرض، والتوجع من جروح القدم إذا مشى الإنسان على الشوك والمسامير.

من أجل الفوز، على الجانتى أن يتحلى بصفات تتضح فى المبادئ السبعة الرئيسية لطهارة الروح:

المبدأ الأول: التعهد باقتلاع الأخلاق السيئة والتمسك بالزهد والتقى.

الثانى: المحافظة على الورع وتجنب الأذى والضرر لأى كائن مهما كان حقيرا.

الثالث: التقليل من الحركات البدنية، ومن الكلام والتفكير فى الأمور الدنيوية، خوفا من ضياع الأوقات النفيسة والأنفاس الثمينة فى سفاسف الحياة وتوافهها.

المبدأ الرابع: التحلى بعشر خصال هى أمهات الفضائل.. العفو والصدق والاستقامة والتواضع والنظافة وضبط النفس والتقشف الظاهرى والباطنى والتزهد والإيثار.. واعتزال النساء.

المبدأ الخامس: التفكير فى الحقائق الأساسية عن الكون والنفس.

المبدأ السادس: السيطرة على متاعب الحياة وهمومها أو اهمالها.

المبدأ السابع: القناعة الكاملة والطمأنينة والخُلق الحسن والطهارة الظاهرية والباطنية.

إذا التزم الجانتى بهذه الرياضات النفسية فى دقة وصرامة اثنى عشر عاما، يسمح له بنعمة الانتحار، والاستمتاع بسعادة الموت، ثم الحياة «القيام مرة أخرى» والعودة للحياة من جديد.

هذا هو ما يؤكده الجانتيون حتى اليوم.

فالجانتية تجيز الانتحار ولا تقيم فى سبيله العقبات، خاصة إذا تم عن طريق الجوع.. لأن من مات فسوف تحيا روحه مرة أخرى بعد أن التزم بالتعليمات.. والموت جوعاً أبلغ انتصار تظفر به الروح على إرادة الحياة العمياء.

الديانة الجانتية تقول إن العالم يتكون من كائنين هما «جيفا» أى الشعور. و«أجيفا» او اللاشعور، فجيفا هو الروح، وله من الذكاء والهدوء والإيمان حظ كبير لا حد له، ومع ذلك يفقد هذه الصفات إذا اتصل بالمادة، ويختلف الجيفا الذى يحل بالإنسان فى حجمه باختلاف أجسام الناس التى تحتلها فى الحجم، أى أنه يساير الجسم فينكمش فى الجسم الصغير، ويكبر فى الجسم الكبير. أما «الأجيفا» فهو مادة فى صور مختلفة، منها الزمان والمكان.. الزمان والمكان ماديان، ومن صفات المادة الحركة والسكون، وبذلك تكون عناصر الكون على وجه التفصيل ستة.. الروح والمادة والزمان والمكان والحركة والسكون.

رغم أن الجنتيين لا يؤمنون بكائن أسمى فى السماء، إلا أنهم يؤمنون بكل الآلهة، والحكماء، وأنصاف الآلهة والشياطين والجن.

الآلهة عندهم مختلفة عن البشر، لكنها ليست قادرة على كل شىء، ولا بالغة الفضيلة.. فللآلهة سقطاتهم الدنيوية، وبالرغم من أنهم يتمتعون بقوى معينة، تزيد عما يتمتع به البشر عادة، إلا أنهم ليسوا أكثر قيمة منهم.

الإله مثلا لا يستطيع أن ينال النجاة من الموت إذا لم يمر بمرحلة الولادة البشرية، اذا الخلاص لا يتمتع به إلا البشر.

الجانتيون لا يؤمنون بالأحكام المطلقة، فالشيطان لا يستحق اللعنة دائما، لأن الشياطين تعمل أيضا من أجل الوصول إلى النجاة من الموت الدائم بالحياة الدائمة.

والعالم فى نظر الجانتيين ينقسم ثلاثة أقسام.. الطبقة العليا والطبقة الوسطى والطبقة السفلى.. ويشبه الجانتيون العالم بجسم الإنسان.. «وسط» الإنسان الطبقة الوسطى، والأقدام الطبقة السفلى، أما الجذع فيمثل الطبقة العليا.

الطبقات الثلاثة تنقسم بدورها إلى سبعة أقسام أدناها أكثرها ظلاما.. وهى التى تقع إلى يمين القدم.. ويعتقدون ان القسم الأعلى أول الطبقات اسمه الجوهرة.. والذى يليه يسمى السكر.. والثالث يسمى الرمل.. والرابع الطين.. والخامس الدخان.. والسادس الظلام.. والسابع الظلام الأعظم.

هذه الطبقات جميعا مكونة من غرف الرعب.. وأدنى الآلهة هم الذين ينشغلون دائما فى تعذيب الأرواح الشريرة بهذه الحجرات.

وآلهة الرعب الذين يعيشون فى الجحيم لتعذيب ضحاياهم الذين ماتوا ولم يحيوا من جديد.. خمسة عشر نوعا: الأول «أمبا».. مهمته تحطيم أعصاب ضحاياهم.. والنوع الثانى «أسباراسا».. مهمته سلخ لحم الضحايا عن العظام.. والثالث «الساما» مهمته الضرب.. و«السابلا» لتمزيق اللحم وتقطيه.. و«الرودرا»

تتولى التعذيب بواسطة الرماح.. و«الماهادورار» لفرم اللحم.. و«الكالا» لشى الضحايا.. و«الماهاكالا» لتمزيقهم بالكلاليب.. و«الأنيالا» هم حملة السيوف. ليقوموا بتقطيع الضحايا.. و«الدهانو» حملة السهام لاصطياد الضحايا، و«الكومبها» يعذبونهم بمساحيق حامية.. و«الغالو» يفرسون الضحايا فى الرمال المحرقة.. و«الفيتاراتى» يقذفونهم بقوة وسط الصخور.. و«الكاراسفارا» ترغم الأرواح على الجلوس فوق الخوازيق.. و«الماهاجوث» لحبسهم فى الجحور المظلمة الرهيبة.

على الجانب الآخر توجد الجنة، وسكانها خليط من الآلهة الصغار، والشياطين.. وتتقسيم الآلهة الصغار إلى عشرة أنواع.. أما الشياطين فتتقسم إلى مجموعتين رئيسيتين كل منهم تتقسم أقساما أخرى عديدة.

هذا هو ما يملأ الطبقة السفلى من الجسد الأعظم.. أما الطبقة الوسطى فهى المساحة الأرضية الضخمة التى نعيش عليها وتتقسم هذه الأرض إلى ثمانى قارات.. كل منها ينفصل عن الآخر بواسطة محيط هائل من الماء.. وفى وسط هذه الأرض يقع جبل ميرو المقدس.. حيث يمكن بصعوده النجاة من الموت.. بشرط أن تكون نفسك صافية!!

أما الطبقة العليا للكون فتتقسم قسمين: الكاليا.. والكباشينا، ينقسم كل منهما إلى ستة عشر قسما أو سماء.. وهذه الطبقة تقع فوق الطبقة الوسطى تماما، وفوق هذه الطبقة تعيش أحسن الآلهة.. وإن كان هؤلاء الآلهة ليسوا تماما بقوة واحدة متشابهة.. لذلك انقسموا بشكل واسع إلى آلهة أرضية وسماوية.. وهذه الآلهة تأكل كالبشر.. وتشرب مثلهم وتغنى، وكما فى العقيدة الهندوكية فإن «اندرا» هو كبير الآلهة.

ربما لتعقيدها لقيت الجانتية صعوبة كبيرة فى الانتشار، خاصة مع تقشفها الشديد وعنايتها بكل الأرواح مهما بلغت ضآلتها.

وقد تساءل عدد كبير من الناس: ما الذى كان يمكن أن يحدث لو أن كل

أهل الأرض أصبحوا جانتيين؟

الجواب: لو حدث هذا لما استطاع أحد أن يزرع الفاكهة والخضر، ولما استطاع أحد أن يصنع خبزا ليأكله، ولما استطاع الناس أن يصنعوا ثيابهم، أو يدفئوا بيوتهم، أو ينتقلوا إلى أى مكان.. ولا يفعلوا شيئا على الإطلاق.

وما كان يمضى وقت طويل حتى يموت الجميع من جوع وعطش وبرد شديد.

رغم أن أهل الجانتية كتبوا فى كتبهم المقدسة أن عقيدتهم قصد بها «أن تكون نعمة لجميع مخلوقات العالم..» إلا أنها لم تتجاوز حدود الهند، ولم تستطع أن تصبح عقيدة عامة.. وإن كانت قد اكتسبت فى الهند عدة آلاف من الأتباع. فالتطرف فى الزهد حال دون إقبال الناس عليها حتى فى الهند نفسها.. فمنذ ظهور الجانتية، والجانتيون صفوة مختارة.

عام ٧٩ ميلادية انشق الجانتيون فريقين يفصلهما اختلاف الرأى على موضوع العرّىِ.. ومنذ ذلك الحين أصبح الجانتى إما منتسبا إلى طائفة «شوتيا مبارا» (طائفة ذوى الأردية البيض) وإما أن يكون «ديجامبارا» (أى المتزملين بالسماء ذوى الأجساد العارية).

على أن الطائفتين أصبحتا تلبسان اليوم الثياب العادية كما يقضى المكان والزمان.. وإن كان قديسوهم وحدهم الذين لا يزالون يجوبون الطرقات عراة الأجسام، معتقدين أنهم لن يموتوا، لأنهم أكبر من الموت، الذى هو أقوى من الحياة!!

ويبلغ عدد أتباع الطائفتين الآن مليونا وثلاثمائة ألف نسمة من سكان الهند البالغ عددهم ثلاثمائة وثمانين مليون نسمة، يعيشون على طول نهر الجنجز وفى كلكتا. رغم قلة عددهم، صار لهم نفوذاً عظيماً. صحيح ابتعدوا عن الاشتغال بالزراعة، خوفا من إلحاق الضرر بالكائنات الحية، كما رفضوا أن يكونوا جنوداً أو معلمين أو صناعا.. إلا أنهم شقوا طريقهم فى الحياة

بمشاريع أخرى كالأعمال التجارية وإقراض النقود وأعمال المصارف. إذ يقل فى تلك الأنشطة احتمال الاعتداء على الأحياء إلى أقصى حد.. وكان اشتغالهم بهذه الأعمال سببا فى ثرائهم الكبير واحتلالهم منزلة رفيعة.. فهم الذين نهضوا بالهندسة والمعمار فى الهند.. وانفق أثرياؤهم الأموال على بناء المعابد لأبناء عقيدتهم.. حتى أصبح فى الهند الآن ما يقرب من أربعين ألف معبد بعضها غاية فى الروعة والجمال، ويعتبر معبدهم فوق جبل «آيو» من عجائب الهند السبع.

أثرياء «الجانتية» لم يكتفوا ببناء المعابد.. بل خصصوا البيوت القديمة للأبقار وجعلوا من بعضها مستشفيات للحيوانات المريضة.. كما جعلوا بعض غرفها عنابر للطيور المصابة والحشرات التى تحتاج إلى اهتمام.

وإذا كانت هذه العقيدة عجيبة لمن هم خارج الهند، فالذين يعيشون بين أتباعها يجدونهم قوما غاية فى الرحمة والعطف والنقاء.

فالإيمان بعقيدتهم عميق صارخ.. يكيف تصرفاتهم فى كل ما يفعلونه.. حتى إن الجانتى يضع فى أول واجبات كل يوم أن يحسن للفقراء والمحتاجين، وعندما يذهب إلى المعابد، يصلى أمام تماثيل سادته الأربعة والعشرين، ويدعو بالسلام والابتهاج لجميع المخلوقات لا أن يطلب أى فضل لنفسه.. ولو حدث وطلب.. طلب الثراء أو المجد.. وهبة النيرفانا والعودة من الموت إن حدث.. ومات!!

■ ■ ■

٨- ٧٦٠ مليون دولار مقابل العودة للحياة و«رزق الهبل»..!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾ صدق الله العظيم (سورة البقرة ٢٥٩)

ربما نحن الذين لا نستطيع حتى الآن استيعاب تصورات هؤلاء فى أن الحياة لا يمكن أن تنتهى بهذه السهولة.

ثم لا شىء.

هم يرفضون العدم، ونحن نقول: للحياة «سنن» ولله فى خلقه شؤون، هم يقولون: إننا متأخرون!! نحن نقول: مجانين.

آراء.. لكل منا رأى فى الآخر.. نحن انصرفنا لكيف نعيش جيداً، وهم انصرفوا إلى كيفية أن يدفعوا عن أنفسهم الموت.

لكنهم لن يستطيعوا.. أو نحن نعتقد هذا.

فالناس نوعان: متشائم على الرغم من أنه حى.. والآخر على قدر عال من التفاؤل حتى.. وهو ميت.

النوع الأول: منهم الفلاسفة ورجال الحرب ورجال المال، بينما الأطباء من النوع الثانى والمقامرون إضافة للجثث فى معهد «أندرونيك رودفار» بولاية

«كونتاكيت» الأمريكية.

هؤلاء الموتى دفعوا- قبل أن يصبحوا جثثا- مبالغ زادت على ٧٦٠ مليون دولار، حتى يستطيع علماء المعهد التوصل لطريقة ما لإعادتهم للحياة!

ليس هذا فقط إنما أيضا ألزموا ورثتهم بدفع أقساط نصف سنوية تصل إلى ١٦ ألف دولار حتى يعودوا للحياة، بينما نصت بعض العقود على أن تدفع «الجثة» مبلغا يزيد على عشرة أضعاف الاشتراك السنوى فور عودة الحياة إليها خلال ٥٠ عاما.

مجانين.. أو مغامرون أو الاثنان معا.. لكن «رزق الهبل على المجانين».

لذلك تأسس فى الولايات المتحدة وحدها خمسة معاهد علمية لإعادة الحياة للموتى، وأسست معاهد مشابهة فى أستراليا.. وتسعى الولايات المتحدة وبعض دول الاتحاد الأوروبى إلى الوصول لاتفاق مع حكومة الصين أو تايلاند لإنشاء معهد من هذا النوع يعتمد على النظريات الطبية فى «فلسفة الجسد والروح» التى فاقت علوم «اليوجا» و«الانشوا» و«البانشو».

أشهر معاهد طب الروح فى الولايات المتحدة معهد «انكروميك» ومعهد تكساس ومعهد «كونتاكيت»، حيث يبلغ عدد الجثث المحفوظة هناك أكثر من ١٠٨ جثث، بينما تزيد على ٥٨ جثة فى معهد «أوكاوا» فى أستراليا.

تعتمد نظريات طب الموت على ما يسمى «السيتوبلازم» أو نواة الخلية، وهى النقطة التى تدور حولها معظم الأبحاث.

أول سؤال بحثه هؤلاء العلماء كان: لماذا يموت الإنسان؟!

الإجابة كانت: لموت السيتو بلازم!!

أما السؤال الثانى فكان: ما الذى يجعل السيتوبلازم يموت؟

إذا عرفت إجابة هذا السؤال يمكن وقتها بحث أسباب وإمكانية أو كيفية إعادة الحياة لـ«السيتوبلازم» ومن ثم عودة الموتى للحياة!!!

وتقول نشرة معهد «أورافا» التى نشرت فى مجلة «أمريكان ريسرش»: جسم الإنسان يمكن حفظه دن أن تفسد خلاياه حتى ٢٨٠ عاما بعد وفاته.. وخلال هذه الفترة يمكن إعادة جريان الدم فى الجسم مرة أخرى، فتعود كل الوظائف الفسيولوجية للعمل، وتعود الذاكرة وطريقة الكلام وطريقة التفكير.. فتبدو الجثة- التى لم تعد جثة- أنها ماتت أمس واستيقظت اليوم!!

وفى معهد «كونتاكيت» جمدوا الأجسام الميتة فى ٢٠٠ درجة مئوية تحت الصفر، بعدها يضخون كمية هائلة من النيتروجين فى الجسم بدورة سرعتها ٩٨ كيلو مترا فى الساعة، وهى سرعة الغرض منها عدم ترسيب أى مواد فى الأوعية والأوردة، إضافة إلى منع أية قناة فى الجسم من الانسداد أو التعرض للتليف.

عام ١٩٣٦ بدأ أول سؤال يطرق ذهن العلماء عن الروح.. وبعد ٢٨ عاما من البحث وصل البروفيسور «روبير دوفان»- الأستاذ بإحدى الجامعات الفرنسية- إلى أنه لم يستطع أن يعرف: أين تكمن الروح فى الجسم البشرى.. ولا ماذا تعنى الروح فى الطب الحديث؟

اعتقد بروفيسور «دوفان» أول الأمر أن «الروح» فى المخ البشرى، فعندما يفقد الإنسان مخه يموت الجسد، لكن بعد فترة التفت الى أن هناك من تلفت أدمغتهم، وظلوا على قيد الحياة، وظلت قلوبهم تنبض دون توقف.

إذن الروح ليست فى المخ. لذلك وجه «دوفان» أبحاثه للقلب على أساس أنه مركز الروح. وباءت تجاربه بالفشل أيضا واستطاع الأطباء استخدام أجهزة «تدليك القلب بالصدمات الكهربائية».. ووصل الأمر إلى أن خلعوا القلب من الجسد بعد توقفه.. ثم إعادته للجسم مع تعريضه لصدمات كهربائية عالية يعود بعدها أصحابه للحياة، وكان لدى هؤلاء المرضى ما يحكونه من رُؤًى كثيرة شاهدوها وهم على عتبات الموت، كما كان يعتقد الأطباء.

بعدما أعلن البروفيسور «دوفان» فشله طلعت روحه هو نفسه لربه.. ولم

يستطع أحد الحديث عن إمكانية إعادتها لجسده مرة أخرى. لكن نهاية الخمسينيات بدأوا فى البحث فى «السيتوبلازم» الذى يعتبرونه سر الحياة وسر الموت، وان وحل شفرته هو حل شفرة لغز عودة الموتى للحياة.

نشر موقع «استروديث» على الإنترنت بعض العبارات لمجموعة من الموتى قبل أن يصبحوا جثثا مجمدة فى معهد أستراليا.

أطرف تلك الجمل.. عبارة قالتها «آن هيتتشكر» (٧٨ عاما) التى توفيت عام ٩٩ قالت: لأن زوجى سوف يكون ميتا عند عودتى مرة أخرى للحياة بعد مائة عام مثلا.. فأننى وقتها سوف اعتبر نفسى بالفعل حية!!

أما المليونير النرويجى «جوزيف كون» فقال: أعتقد أن أى إنسان لا يمل الحياة، ولو استطاعوا بالفعل إعادتى من جديد، فسوف أتبرع بكل أموالى لمثل هذه الأبحاث، وأبدأ من جديد من الصفر.

«جوزيف كون» مات عن عمر اقترب من الخامسة والستين.. أما أمواله وأملاكه التى يدعى أنه سوف يتبرع بها للأبحاث الطبية فهى ثلاث جزر بالبحر الكاريبى، أكثر من ألفى هكتار بجزر «سولومون» وثلاثة قصور يزيد ثمن أقلها عن ٢٧٠ مليون دولار موزعة حول العالم، إضافة إلى سيارات ولنشات ومراكب وزوارق وطائرات وسلالة نادرة من كلاب الصيد (٤٨ كلبا) وسلالات مرتفعة الثمن من الخيول الإنجليزية والدانماركية تبلغ عُشر ثروته.

تقول السيدة «مارى كلايمن» «سليلة إحدى العائلات الأرستقراطية الألمانية»: إذا أعادنى هؤلاء بواسطة أبحاث الروح للحياة، ربما أستطيع أن أكون أكثر استيعابا لحقيقة الروح.. وربما وقتها أومن بدين.

السيدة «مارى كلامين» ماتت ملحدة وتريد أن تعود للحياة ملحدة حتى تؤمن!!

يتوقع المحللون أن تزيد نسبة الموتى فى مركز أبحاث أستراليا السنوات الأربع المقبلة لعدة أسباب: أولها عدم اعتماد المعهد على «طب الروح» فقط، إنما محاولاته مستمرة لتنفيذ نظريات «الاكتوبلازم» واستخدام علم وفلسفة

الروحانيات القديمة «صينية وفارسية» لعودة الأرواح للموتى.

«مشرحة أستراليا ناقصة المزيد من القتلى» لأن مزيدا من الجثث يعنى مزيدا من ملايين الدولارات، وبالتالى فرصا أكبر للبحث عن طريقة جديدة لإحياء الموتى!!

■■■

منذ عام ١٩٨٥، لم يصل علماء الأعصاب وعلم النفس الأستراليون إلى أية صيغة للتعامل مع الرهبان البوذيين فى هضبة التبت ومعابد الهند، هؤلاء الرهبان كما يرى العلماء يمكن ان يسهم تطوير نظرياتهم الروحانية فى الوصول الى ما ينشدونه فى هذا المجال.. لكن لا الرهبان البوذيين قبلوا عروض العلماء، ولا هم قبلوا مجرد الحديث عن أسرار فلسفة اليوجا.

البحث الذى قلب رؤوس العلماء ودوخهم وانتزع أدمغتهم وطرحها أرضا بقسوة هو الذى كتبه الراهب «تشى» عن أحد زملائه الذى استطاع عام ٥٢ إيقاف عضلة قلبه عن الضخ مدة زادت على ٦ دقائق، ثم بدأ قلبه ضخ الدماء من جديد!! ومات هذا الراهب بعد عشر سنوات من هذه الواقعة لأسباب لا تتعلق بالقلب، إنما بالشيخوخة عن عمر يناهز ٩١ عاما.

وفيما رفض الأطباء تصديق القصة، مازال علماء «الأرواح» على يقين من أن ذلك الراهب استخدم «تمارين» معينة تستطيع أن تسيطر على روحه وحفظها داخل جسدها على الرغم من تعرضها لعرض من عوارض الموت.

وهى إحدى السمات الأساسية لرياضة اليوجا!!

اما عام ١٩٥٨ فقد وقف راهب بوذى أمام شاشات التليفزيون الأمريكى، واستطاع دون كلام أن يقرأ ورقة كتبها أمريكى وأعطاها لراهب بوذى آخر فى مكان يبعد عن الراهب الأول ٤٠٠ ميل.

التعليق العلمى لهذه الظاهرة هو «التلباثى، ولما سألوا أحدهم عن تفسيره

الشخصى حكى حكاية تشبه إلى حد كبير نظرية الاكتوبلازم، التى يتبناها علماء مركز أبحاث أستراليا.

قال الراهب إن الروح فى مفهوم ديانته هى الإرادة.. والإرادة ليست موجودة فى المخ فقط كما أنها ليست فى النفس.. هى فى كل خلية فى جسد الإنسان، وأن هذه الإرادة فى صراع دائم مع المادة أو الجسم الإنسانى نفسه، المهم أن يستطيع الإنسان أن ينصر الإرادة بطريقة معينة.

الطريقة تبدأ بالصفاء الروحى.. ومعظم البوذيين لديهم هذه القدرة التى تتيح لهم الوصول لمرحلة النيرفانا، أى مرحلة السمو. وقتها يستطيع أى واحد منهم أن يخرق القوانين الطبيعية أو التى يتصور الإنسان أنها طبيعية.

وعندما سألوا أحدهم: لماذا إذن يموت الرهبان البوذيون؟!

أجاب: لأنهم أرادوا ذلك آخر الأمر!!

■ ■ ■

يبدو أن الفكر الأمريكى تسرب لمجتمعات أوروبية عديدة، وأن «انحرافات» هذا الفكر وآثاره اللامعقولة انتزعت أيضا مجموعات من الشباب الأوروبى، الألمان والفرنسيين وحتى الإنجليز المحافظين.

وكأن هؤلاء اكتسبوا بعض نتائج التفكير الأمريكى على الرغم من ظروف الأمريكان التى لم يمر بها الإنجليز، ولا مروا بتحولاتهم.. إنما فقط تحولوا بنتائجه.. فالمجتمع الامريكى مر بمرحلتين، فى الأولى كان لا يزال فى بداية تكوينه، ولم يصبح بعد مجتمعا يؤثر ويتأثر بكل أفراده.. لأن هؤلاء الأفراد لم يكونوا يتجاوزون حدود تجمع من نوع مًّا لأشتات شعوب مهاجرة.. وقتها زاد الاهتمام بكل شىء.. بالأخلاق والمظهر والسلوك.. والدين.

عند معظم الأمريكيى فى تلك المرحلة.. كان الدين هو الأساس فى تحديد سلوك مجتمع طارئ.. صحيح حدثت محاولات «متناثرة» ومحدودة لتطويع

الدين لمزاج الأشخاص، ولحاجات المجتمع التى تتعارض معه، إلا أن هذه «المحاولات» وفى ذلك الوقت لم تكن تتخطى الحدود بحيث تصبح ظاهرة مجتمع بكامله.

فكرة «الخروج من الجسد» و«انتقال الأرواح» قامت على أساسها عقائد و«ديانات» سموها مرة «الديانات السرية» ومرة «الديانات القديمة» لكن الواضح أن معظم مبادئ هذه الديانات توارثها بعضنا حتى الآن.

جون كارهارت- الكاتب النرويجى المسلم- قال فى كتابه «فكرة الروح»: «لم يكن عقل الإنسان قاصرا، بقدر ما لم يجد حلولا لظواهر طبيعية عديدة».

وقتها.. لم يستطع تفسير ما يجرى، فلا وجد سببا لحمل الأنثى، ولا تصورا معقولا لدورة حياة النبات بالأرض، ابتداء من رمى البذرة حتى خروجها فروعا خضراء.

ليس هذا فقط، إنما هالته الزلازل والبراكين والفيضانات..أجاعته مواسم القحط وبخل الأرض.. أو ما يمكن أن تقدمه لرجل.. طفل العقل، شديد الخوف من أحداث استحال عليه تفسيرها.

لذلك ظهرت الأسطورة.. نسجها الإنسان القديم حول كل ما سبق، أو ابتكرها- أيضاً- لتقديس كل ما سبق.. فلما لم يستطع التوافق- عقليا- مع ما يشعر به أو يؤثر فيه من ظواهر.. انطلق خياله ليحدد ما ينبغى وما لا ينبغى.

ما سيحدث إن آجلا أو عاجلا.

ومع أنه لا عاصم من الخيال إلا العقل.. ولأنه لم يكن الإنسان القديم يملك من ذلك الأخير إلا قليلاً، فقد أطلق عنانه لوصف وسرد حقائق وأحداث تاريخية- موغلة فى القدم- ذات طابع غامض وغريب، ليس مهما إن كانت حدثت فعلا، أو لم تحدث، كما أنه ليس ضروريا التحقق من ماهيتها.. وفى أى أرض نشأت.. المهم هو أنها تسقى عطشه فى ربط أحداث محددة فشلت كل الطرق الأخرى فى ربطها.

ولما لم يكن الدين قد وصل بعد.. فقد ابتكر أجدادنا الأوائل دينا.. واكتشفوا عقيدة مبتكرة قدمت لها الأسطورة كل ما يلزم من أدوات.

كان لابد للإنسان أن يدين لقوة جبارة بالكثير، وقتها بدأت تتضح صورة الإله بعض الشيء، وفسرت أساطير الشعوب طبيعة اتصال هذا الإله بمخلوقاته.. كل حسبما يرى.

الأسطورة أصبحت هى القانون.

فحددت كل الأخطار والتصورات عن الطبيعة، وقوانينها العامة.. المقدسة أحيانا كثيرة، فالبرق مقدس، والقمر والسماء ثم الأرض، وما عليها من جبال.. كلها مقدسة.. أما العبادات فحددت أنواع السلوك والتصرفات التى ينبغى أن يمارسها الإنسان حيال كل هذه المقدسات.. وكان لابد من مُخَلِّص لتسديد مشيئة الخالق، أو منقذ.. رسول.

ولم يكن ذلك المخلص إلا شخص صالح متناسخ الروح.. وهو الذى تغير اسمه ومسمى دياناته، وظل موضوعه وصفاته واحدة، من «ميثرا» إلى «براهما»، مرورا «ببوذا» وانتهاء «بكريشنا» مسيح البراهمة من الهنود، وهنا كانت الأسطورة غزيرة المعالم والمعلومات.

فبوذا.. مثلا، عند البوذيين ولد من امرأة دون مضاجعة رجل، الأمر الذى فسروه على أنه حلول للروح القدس بجسد أمه.. ودل على ولادة «بوذا» أيضا نجم فى السماء، ولأنه متناسخ الروح فقد سعى الملك «جمارا» لقطع رأسه حتى لا تعود روحه من جديد بعدما أخبره زبانيته عما سيسعى له الغلام من نزع ملكه وإذلاله.

هكذا تتم القصة.. هى هى ليس عند بوذا وأتباعه فقط وإنما عند البراهمة من الهنود.. أتباع كريشنا «ابن العذراء» «ديفاكى»!!

كريشنا مجدت الملائكة أمه بعدما عرفت بميلاده من نجم فى السماء. ولما ولد «ابن ديفاكى» سبحت الأرض وأنارها القمر فيما تدغدغت الأرواح

والملائكة فرحا وطربا ورتل السحاب نغما رقيقا.

وكابن «ديفاكى» و«بوذا».. ولد «ميثرا» من عذراء طاهرة، ولما قتلوه ودفنوه.. قام من قبره وصعد للسماء.

ميثرا صعد للسماء أمام تلاميذه الاثنى عشر، الذين ذهبوا بعد صعوده لينشروا عقيدته وعمد بعضهم بعضا بأحد الأنهار الفارسية، ثم اعتادوا فى- ذكراه- إقامة حفل راقص كل عام.. «فميثرا» كان رمزا للطهارة وحب الحياة.

ولم يكن موته إلا «تضحية» أو «قربانا» نيابة عن بنى الإنسان. الأسطورة تسعفنا بقدر مالا يسعفنا به أحد.. حيث البداية والنهاية.. عند «القربان» أو «الضحية» تلك التى طغت على الأساطير الأخرى.

قبلها بفترة كان أن تحول الإنسان لتقديم الدماء البشرية قربانا خالصا، فأسال دمه على مذابح الآلهة فداء لنفسه ولأولاده. بعد فترة تحول إلى ذبح واحد من أبنائه فيما يشبه النذر إن استجابت الآلهة لدعائه، فمات أطفال كثيرون لإرضاء آلهة وهمية.. الى ان ظهر بعد فترة من قدم نفسه ومات «فداء لكل البشر» كباراً وصغاراً، مكفرا عن خطاياهم.

يقول جون كارهارت: «مسايرة لتطور العقل البشرى.. البداية كانت بالضحايا البشرية، عندما كان الإنسان لا يزال يصارع بدائيته الوحشية، وبالتدريج تحول نحو الحيوان يستبدله بالإنسان، ليقدمه لآلهته مذبوحا محروقا.. فداء لنفسه وللقبيلة وأحيانا اكتفى بتقديم النبات حال احتياجه للحيوان.. «يعنى.. بدأ الإنسان بأبنائه كقربان، ثم هو نفسه.. وتدرج بعد فترة ليحل محله الحيوان، ثم النبات وأخيرا شخص مًّا ينوب عن كل هؤلاء».. لقد اكتشف الإنسان أنه لم يكن هناك داع لبذل مزيد من الدماء الغالية، فالآلهة سترضى بشخص واحد بدلا من ملايين يموتون كل يوم.

ومع أن الرأى الثانى ينسف حادثة القربان الأولى «يوم قتل قابيل أخاه هابيل، بعدما قدم الثانى قربانا قبلته الآلهة ورفضت قربان الأول.. فيما

تحدثنا التوراة أن القربان الذى وافق عليه الرب لم يكن سوى نبات وبذور حيوانية» إلا أن حوادث القرابين اختلفت وتفرقت بين مؤيد للحم أولا ثم النبات، أو العكس.

وفى القرن الرابع قبل الميلاد، يقرر النبى «أرميا» «أن اليهود بنوا مرتفعات للإله بعل ليحرقوا أولادهم بالنار» وفى القرن الأول الميلادى، توسعت العقلية البشرية إلى الحد الذى أنزلت، معه روح الإله نفسه من السماء كى يتحد.. مع البشر.

حاول الإنسان اكتشاف نفسه بالأسطورة أو هى التى كشفت له الكثير عما فى نفسه.. ونفس أجداده الذين كانوا.

استمرت محاولات الإنسان لاكتشاف كل خبىء فجاءت كل الديانات التى وضعها الإنسان لنفسه طبقا لمناهجه الخاصة مقسمة جوهره لأقسام ومسميات مختلفة. فإلى روح وجسد قسمته الهندوكية، ثم إلى نفس تغويها الدنيا بالفساد عند.. «بوذا».. لذلك نادى بوذا أصحابه بنقل نفوسهم لمراحل مختلفة حتى تصل للدرجة العليا الرفيعة، أو «النيرفانا» حيث الذوبان فى الملكوت الأعلى صلاحا وتقوى، فتصبح الروح قابلة وقادرة على التنقل من جسد لآخر.

أصبحت قيمة العقائد فيما بعد، هى قيمة الإنسان نفسه، ولا قيمة له بعدها.. أو من دونها، حتى إن الرافضين لأية عقيدة، أو كل العقائد هم فى حد ذاتهم أصحاب عقيدة «رفض العقيدة».

استمدوا قيمتهم من هنا.

يعنى أصبح رفضهم للعقيدة مذهبا، اقتنعوا به واعتقدوا فيه لتعلو قيمتهم، على الأقل بينهم وبين أنفسهم فى أنهم رفضوا قيم العقائد الأخرى.

أو أنهم لم يتآلفوا مع مبادئ تلك العقائد، ولوائح قوانينها التنفيذية.

اختلفت صور «العقيدة» وموروثاتها ثم أساطيرها، وبالتالى تاريخها

واختلفت ايضا مواصفات وتعاليم الخالق من هذا لذاك.. تصور الرب نفسه اختلف، تغيرت صورته فى الأذهان عند أمة، عن الصورة القديمة لديهم منذ فترات.. تماما كالطفل.. يرى أن الله يكلمه صغيرا، ويستغفر ربه شابا عما اعتقده فى طفولته.

تلونت العقائد، وتلونت الأساطير أيضا. نفس التغيير الذى يظهر بين تابعى العقيدة الواحدة أحيانا، فالاستقرار على دين واحد لا يمنع اختلاف التابعين فى قضايا تمس أصل عقيدتهم.

وبالتالى تعددت تقديرات الثواب والعقاب.

ليس كل حسب مبدئه فقط، إنما طبقا لمناهجه وإيمانه بقدرته فى إدراك ما حوله، أو ما يجب أن يؤول إليه وضع من الأوضاع.

بعد زمن فرضت فيه الأسطورة نفسها على صاحبها فرضا، بحيث لا يستطيع فحصها أو الشك فى صدقها، ولك أن تقيس هذا كله إلى السير المتمهل البطىء الذى يخطو به العقل وهو على حذر «إن منا أناسا تصادفهم لحظات يستغرقهم فيها وجدان داخلى عنيف تجاه كائن معين أو شىء بذاته».

فإذا بذلك الوجدان يهزهم هزا، حتى ليروا ذلك الكائن أو هذا الشىء على غير ما يراه سائر الناس. فقد يغمرهم حب عميق أو غضب شديد أو نشوة تفصمهم بين ما يرونه وبين ما هو موجود فى الواقع الخارجى.

وعلى هذا استحال التناغم بين هذا «الانفصام» وبين باقى الناس، فالمؤمن بالتناسخ يرى ما لا يراه الآخرون وهم يعتقدون فيما لا يعتقد.

ومثلما كان «ميثرا» وديانته، كانت ديانة «إيزيس» و«سيرابيس» المصرية. ديانة إيزيس انتشرت مع بداية حكم ملوك البطالمة. صحيح عرف المصريون تلك الديانة من قبل لكن عودتها من جديد لم تكن سوى خليط من الديانات اليونانية القديمة أو «توليفة» محبوكة من تلك العقائد للوصول إلى هدف واحد هو إقناع اتباعها بالخلاص الأكيد.. القريب.. خلاص الروح أو تحصينها ضد الموت.

من مصر انتشرت عقيدة «سيرابيس» فى حوض البحر المتوسط شمالا حتى شعوب «الجرمان» و«النورد»، أو ما نطلق عليه «الألمان والبريطانيين»، ولم يكن مر على ميلاد المسيح سوى مائتى سنة تقريبا.

ناقشت «سيرابيس» الديانة المسيحية، لما أشاعه أتباع الأولى من تشابه بين العقيدتين«!!» ثم ادعوا بعد فترة أن ديانتهم ليست إلا المسيحية فى شكل جديد.. خاص ومثير فى الوقت نفسه.

وقد كان ذلك صحيحا إلى حد مًا.

«فسيرابيس» أسست عقيدتها على روح، أب وابن- أوزوريس وحورس- طقوسها تبدأ صباح كل يوم جديد، بشعائر عامة وأخرى خاصة ككل الديانات آن ذاك.

عرف «السيرابيسيون»- كما عرف المسيحيون- الوجبة المقدسة، أو عشاء الإله الطاهر. ومع أن تلك الديانة استمرت منذ حكم البطالمة لمصر أكثر من سبعة قرون إلا أن الخلاص الأبدى لمعتنقيها او خلاص الروح من الموت لم يتحقق.. او لم يستطيعوا الوصول اليه! قبلها طرحت الديانة «الأورفية» أو «الكريتية» الأولى الفكر نفسه.

فيها «أورفينوس» الروح المطلقة الكبرى. حيث لم يعبد كإله، إنما كفيلسوف أكبر، ومنظم عادل لشؤون الحكمة فى مخلوقاته، ولم تكن للأورفية لا معابد ولا كهنة ولا أنبياء. إنما معتقدات محددة، ومبشرون متطوعون.. عرفوا قبل الجميع الطريق للخلاص.

معبودهم «أورفيوس» كان موسيقيا حكيما.. وفقيرا جاهد نفسه التى جاهدت بدورها الحرمان حتى وصل «أول ما وصل» للخلاص، ومن ثم حصل على الخلود روحا واسما، لذلك كانت ديانته خليطا بين الإيمان بالقدر والنظام الكونى، وبين الزهد والتصوف والإيمان بالنصيب، ثم الاعتقاد فى الروح وما يبهجها.. من موسيقى وأدب، وحكمة، لهذا أدخل «الأورفيون» بعد فترة طقوسا

موسيقية وأناشيد موزونة على عبادتهم، ثم دعوا لترك الحرب وسفك الدماء.. وأخيرا التسامح. ثم الاستسلام الكامل لكل الأمور.. خيرها وشرها.. واعتقدوا بهذا أنهم إنما دعوا، أو يدعون للسلام.

«الأورفية» قامت على فلسفة مختلفة، بالمقارنة لمثيلاتها من الديانات. فـ«الأورفيون» مثلهم مثل «الفيثاغوريين» آمنوا بفكرة تقمص الروح للروح، أو التناسخ، واعتقدوا أن الجسد ليس إلا مقبرة للأرواح، أو أن الروح لا تحبس إلا بالجسد، فالجسد سياج حديد، لا تستطيع الروح الفكاك منه، وهم أول من قسم الإنسان لمادة وروح، الأولى ملموسة ومحسوسة، والثانية محسوسة فقط، بما لها مما يدل عليها، وعليه.. سعى «الأورفيون» بديانتهم إلى تحرير الروح من المادة.. أو المطلق من الفانى.. استمرارا للحياة الجديدة، فكان الثواب والعقاب أحد أهم النقاط الجوهرية فى استمرارهم المنشود.. لأنه لا استمرار أو حلول لروح بأخرى.. والأولى مثقلة بالهموم. واعتبروا انه ليس للنفس هموم إلا الخطأ.. فالروح الخاطئة تعيسة لا تنتقل أبدا. أى لا تستمر.. أما الهادئة فتبقى وتستمر، وتتوغل.. داخل ما تريده من أجسام هادئة هى الأخرى.. وهكذا تستمر الحياة حتى الخلاص الأبدى لجميع الأرواح الطيبة.. والطيبة فقط، إذ أنه لا خلاص لخبيث، فيما لم يكن معنى الخلاص إلا توقف الانتقال أو التناسخ والجلوس فوق السماوات فى سلام.

امتنع «الأورفيوسيون» عن أكل اللحم حتى يعيش الإنسان والحيوان فى سلام.

«أورفيوس» نفسه، الموسيقى الطيب الذى دخل الخلود، حسب ما يحكى مزقت جسده بعض «الغوانى» من عابدات الإله «ديونيسوس» لكنه لم يقاومهن.. أى لم يقاوم رغبة أعدائه الشريرة، لأن لهم جزاءهم. إضافة إلى أن هؤلاء «الغوانى» كن فى حالة من الجنون المقدس الذى ينتابهم مع أداء طقوسهن الخاصة، وهو ما يلقى شيئا من الضَّوء على موقف «الأورفيين» العدائى من النساء.. هذا أولا.

أما ثانيا، فإن أسطورة تقطيع جسد «أورفيوس» بواسطة نساء كان رمزا فى لرفض أورفيوس ممارسة الرذيلة معهن.. الأمر الذى لم يفعله فى حياته قط.

لذلك على أتباعه ألا يفعلوا.. فلا نساء، ولا رذيلة.. ولا حب للجسد.. فقط طهارة، ونقاء، بياض وشفافية حتى النهاية.

حسب ما ترويه الأسطورة نفسها، قطعت النساء «الغوانى» رأس أورفيوس، وألقينها بالبحر، فطفت على سطح الماء، حتى وصلت لجزيرة «لسبوس» إحدى جزر اليونان القديمة سباحة، وهناك ظلت تغنى وتنظم الأشعار لفترة طويلة، بعدما وضعوها على مذبح فى مكان ظاهر، لكن غناءها لم يستمر طويلا، فقد قيل إنها صمتت بعد أن أمنت مكانها الجديد، ثم تنبأت بالمستقبل وقالت إنها ستبقى لن تموت.

قالوا إن «أورفيوس» خلق الخلود لنفسه، اصطفته الروح الكبرى ليكون أول الخالدين، هذه الروح التى كانت تبعث بأثيرها عبر الهواء ليستقر فى الجسد، حيث السجن والسجان.. والقبر. فلا تعرف متى ستخرج؟، أو إن كانت ستخرج فعلا.. أم لا.

فإذا ما عاشت حياة أخلاقية ظاهرة.. عفيفة.. لفظت فيها العنف، ورفضت الرذيلة، سيتحقق لها الخلود.. فى عالم جديد، لا مكان فيه لشرير.

هناك تهدأ الأرواح بعد طريق طويل.. كانت أولى خطواته «حب» وثانيها «شقاء».. تدريب الجسد على التعاليم «الأورفية» ليس سهلا.

لذلك كانت الجائزة كبيرة.. وثمينة.. الانتقال لعالم الروح، العالم الآخر. ولما كانت الأرواح فى حاجة لمن يرشدها فى هذا العالم، فقد آثر «الأورفيوسيون» دفن ألواح خشبية ورقائق من الذهب مع موتاهم عليها بعض التعليمات، فربما يشطح الميت، فينسى «أورفيوس».. أو ينسى الخلاص الموعود، التحذير الذى تحمله الرقائق الذهبية هو الا يشرب الميت من نبع النسيان لدى دخوله عالم الأرواح المطلق.

٩- اتصال الأرواح خبرة ممكن أن نحصل عليها جميعا؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ صدق الله العظيم (سورة غافر ١٥)

عالم الفيزياء الأمريكى الشهير «جيمس جينز» أعلن صراحة: «أن الكون كله لم يعد شيئاً مادياً، إنما أقرب ما يكون إلى الفكر، إنه فكرة عن شىء، أو أنه فكرتنا عن الذى حولنا» ليس مادة على الإطلاق.. أما الدكتور أدنجتون استاذ الفيزياء الفضائية فى الينوى فقال: «الكون شىء وهمى، المادة وهم، ولا علاقة لنا بهذا الكون كله إلا بفكرتنا عنه» ثم قال بروفيسور رابير: «المادة تتلاشى أو تلاشت بالفعل أما الذى أمامنا وحولنا، فليس إلا حالة عقلية روحية لا نعيها».

يجوز للفلاسفة أن يقولوا هذا، لكن العلماء ضعب.. المعنى أيضا أن هؤلاء العلماء اتفقوا على ما أسماه الروحانيون بـ«الوعى الكونى» أو «الوعى الحقيقى بالكون» حيث لا مادة أبدا فى أى شىء.

«الوعى الحقيقى بالكون» عند الروحانيين هو الإفصاح الصريح عن علاقتنا بالإله أو علاقة الإله بنا، هو أيضا كما يقولون الإشارة لعلاقة الإله «الروح الخالقة» بكل مخلوقاتها.. الوعى الكونى نصفه تأمل، والنصف الآخر اكتشاف لحقيقة هيام الروح.

لذلك يعتقدون أنه بالسيطرة على مادة الجسم البشرى يدخل الشخص إلى حيث يستطيع أن يستوعب العالم كله، وبالتالى الالتصاق بروح الرب من

خلال فعل مقدس، لذلك فالتأمل عندهم ليس فقط (خبرة عالية)، أو تحكما ميكانيكيا فى الجسم، إنما هو أيضا هدية من الرب، خبرة موهوبة من فوق السماوات حيث التعرف على حقيقة جميع المخلوقات بالتأمل، فالنتيجة هى الانتصار، السيطرة على الغضب والرغبة فى الفناء.

من يصل لمرحلة «الوعى الكونى» تصله قدرة السيطرة على الجسد ومادته، يصبح جبارا.. يفعل أى شىء وسوف تواتيه القدرة على فهم الآخرين وكل المخلوقات التى سوف يراها مجردة هى الأخرى من مادتها.. سوف يراها روحاً.

فى كتاب الدكتور «يعقوب بوهيملى» يجرى حواراً من نوع غريب بين شخص وروحه، حول كيفية الاتصال مع الأرواح الأخرى فيقول الشخص لروحه: كيف أصل للوعى الصحيح بالكون، فأرتقى لأرى الأرواح الأخرى- والتحم معها؟؟

أجابت الروح: حينما تستطيع إلقاء نفسك حيث لا يسكن أحد، ولو للحظة، فقد دخلت أول الطريق، تأكد أنك ستلتحم مع الروح الكبرى.

بعد لحظات يعود ويسأل:

«حيث لا يسكن أحد؟»:

نعم. داخل نفسك، لن تستطيع الوعى بالكون إلا لو أوقفت تفكيرك المادى لفترة.. استعمل إرادتك، ولو حدث هذا، فاعلم أنك سترى الروح الكبرى.

يقول «يعقوب»: «لا تتعجب فحينما توقف الفكر داخلك، ذكاؤك الدنيوى ورغباتك يصبحان شخصين أبكمين، ستظهر لروحك أجنحة، ومن ثم سيظهر ذكاء وإرادة أبدية فيك، سترى وسيرى الناس الروح من خلالك، روحك الصغيرة ستسمع وترى الروح الكبيرة، إلى أن تفعل، ستظل حبيس المادة.. ومن ثَم غير قادر على التحكم فى تفكيرك وإرادتك.. ستصبح عجلة خيالك مستمرة دون فائدة، ولو لم تفعل فستفقد- شيئا فشيئا- كل القدرة على

الاتصالات العليا السماوية السامية!!

انظر داخل نفسك وقتها، ستجد أن شهواتك، حبك للمادة، سياج الدنيا هى الأشياء التى أخرتك عن رؤية وسماع الروح الكبرى.

يضيف «يعقوب: «غالبا ما يجتذب الوصول للوعى الكونى «الأفراد المتطورين روحيا فى أى مجتمع» والمتطورون روحيا هم أصحاب الفكر الجيد، والموهبة الروحية العالية، والذين يتصلون بالروح الكبرى، يصبحون مؤثرين فيما بعد.. وبعد فترة يتحولون إلى همزة الوصل بين الروح المطلقة وبين أرواح صغيرة فى العالم المادى.

المعنى أنه يمكن لأى إنسان أن يسمو، ويعرف الكون على حقيقته. إنها تجربة لا تحتاج لإمكانيات شخصية موجودة فى هذا، وغير موجودة فى آخر.

لان الكل سواء.

يقول «يعقوب» بالوعى الحقيقى بالكون يصنع الإنسان لنفسه بذرة البعث من جديد، يقوم ويدخل «دائرة الضوء».. ضوء النفس الحقيقى، فلا يرى ولا يسمع، ولا يشاهد الناس من حوله وقتها يصبح سهلا عليه التحرك من الماضى للحاضر، ومن الحاضر للماضى.

أحدهم مارس التجربة، وحكى عنها. يقول إنه استطاع أن يعيش ضوءا لمدة ١٠٠ يوم بعدما مارس تمارين السمو والتأمل لمدة ٩ سنوات، وكما يقول: «فى إحدى الليالى أحسست بوجود شخص معى فى الغرفة وشعرت أن هذا الشخص ليس إلا أنا، متحررا من كل مادة، وقتها عرفت أن بعثى- وأنا حى- قد تم.

اقترابى من البعث، ثم دخولى فيه لم يعتمد على خبرتى الشخصية، فهو ليس سحرا أو عملا سفليا، إن تجربتى تمت حينما طورت داخل نفسى بذرة البعث، البذرة النقية للروح التى تسكن كل إنسان.

يكمل يورك برنار فى كتابه «تجربة اتحاد مثيرة»: «كل ليلة قبل أن أنام كنت أطلب من نفسى السعى لمزيد من المعرفة كذلك طلبت من الروح الكبرى مزيدا من الالتصاق بها، وتعميدى فى علاقة جديدة معها».

كنت دائما يقظا، حتى أثناء نومى أيضا كنت مترقبا لأية رسالة من رسائل الأرواح قد تصلنى، فعلت كل ما أمكننى لتركيز عقلى فى لا شىء.. أوقفت تفكيرى تماما، جلست وحيدا فترة طويلة، حتى انفصلت عن نفسى، وتركتها فى جانب، وأنا فى جانب آخر وكانت تلك هى الطريقة البسيطة والأكيدة لتحضير عقلى وجسدى لاستقبال خبرة «الاتحاد مع الروح»، ومن ثم الوعى الحقيقى بوجودى فى هذا الكون..

بعدها اتصل الدكتور يورك برنار- الهولندى- الجنسية بما أراد أن يتصل به.. لقد سما وارتقى.

وكما دخل يورك «دائرة الضوء» فعل الكثيرون من «أبناء الضوء» مثلما فعل.

«أبناء الضوء» جماعة أوروبية يرى أفرادها أن الروح المطلقة ليست إلا ضوءاً، ويمكن.. بسهولة اتحاد كل منا بروحه. ويقولون ان التواصل مع الضوء داخل النفس الشفافة هو أول الطريق.

يرى أبناء الضوء أنهم مختلفون عن كل الناس، وأن الذى يشعرون به لا يمكن لأحد غيرهم أن يدركه إلا بعد فترة من التمارين. إنه نفس ما كان يشعر به الرسل والأنبياء الذين هم روح واحد فى أشخاص عدة، هؤلاء الرسل كانوا يعذبون تماما كما يتعذب «أبناء النور» فالرسل- وأبناء النور- مع الفارق طبعا يعتقدون أنه عن طريق التأمل يستطيع أى بشرى رؤية النور فى أعماقه- نور النفس الأقوى من نور الشمس وأعمق منه، هذا النور الداخلى هو الله، أو الروح المطلقة الكبرى.

والنبى أو الرسول عند أبناء الضوء يساوى مئات من الأصفياء، لكن إذا

جلس هؤلاء الأصفياء جميعا وأطالوا النظر فى نفوسهم فى صمت، وتركيز تام فإن نور الخالق يتجلى لقلوبهم جميعا، ومن ثم يصبح كل واحد منهم رسولا ونبيا جديدا.

لذلك فهم يحاولون أن يصمتوا أكبر فترة ممكنة، فالروح ضوء وطهارة، وهم يبحثون عن الطهارة المطلقة فى الضوء بالصمت.

أوائل القرن الماضى أعلنت زعيمة أبناء الضوء «مرجريت فل» أن العالم قرأ ما قاله المسيح ثم ما قاله بقية الرسل والقديسون دون أن يسأل نفسه: ماذا تقول النفس؟ ماذا تحاول أن تحكيه القوة الضوئية الشفافة داخل كل جسم؟

قالت ان اتباع العقائد الأخرى لصوص سرقوا الكلمات من أصحابها الحقيقيين، يحفظونها ويعيدونها دون جديد، مثل الحمار يحمل أسفارا، العالم كله حمير، ولصوص.

هناك أيضا لصوص آخرون، هؤلاء الذين يسلبون كلمات القديسين عظمتها ويعطونها للكنيسة، ومن ثم العظمة والكبرياء لرجالها من القساوسة، مع أن الخالق لم يعط عظمته لأحد دون آخر، فالبشر كلهم متساوون فى العظمة، لهذا لم تجعل «الروح» نائبا واحدا لها على الأرض، وإنما جعلت كل شخص نائبا عن نفسه!!

جورج فوكس أحد زعماء «أبناء النور» أو «أولاد الضوء» قال ذلك هو الآخر.

جورج رأى أننا قادرون على استحضار أرواح أنفسنا بأنفسنا إذا صمتنا متأملين.. ففى الصمت تخرج منا الروح، وتظهر بوضوح داخلنا مذيلة بنور الخالق الباهر، أما المرض فهو أن تنطفئ الأنوار داخلك. وإذا أظلمت نفسك، ضاع الطريق، واختفى الهدف الأساسى للوجود.. فالمرض تمزق داخلى يؤدى لاضطراب خارجى، ثم شكوك.. الأمر الذى لابد أن يحبس نور روحك داخلك فلا يخرج، ولا يمكنه الخروج بعد ذلك إلا بصعوبة شديدة.

أما الصحة، فهى الشفافية المباشرة، التى تكسر أية حواجز بينك وبين

نفسك من الداخل حيث الطريق مفتوح للتأمل والاتصال بالأرواح الأخرى الخفية والميتة إن أردت.

هم لا يبشرون بدين جديد، فقط أفصحوا عن الحقيقة الموجودة والتى على الجميع أن يعتقدوا فيها.

أبناء الضوء سيطروا على ولايات أمريكية كثيرة بداية القرن الحالى، وقد دعوا أول الأمر للسكون والهدوء، كى يتعادل الإنسان مع نفسه، فلا يجعل جسمه غليظا كثيفا يحجب النور الساطع عن أعماقه.

بعد فترة.. تحول أبناء الضوء إلى السلام التام، بنبذ الاختلاف وسفك الدماء، ثم الانفصال التام عن الشهوات.

عند أولاء الضوء أن من كانت شفتاه فى فمه تتحركان بالكلام، فهو ليس واحدا منهم. لأن الشفتين الحقيقيتين داخل الإنسان فى أعماقه، حيث روح كل منا هى الحقيقية التى يمكن أن يعمل على أن يراها- دون كلام- على حقيقتها.

■■■

١٠- المعلم شرح طريقته في أن يحيا بعد أن مات.. وكان عنده حق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾

صدق الله العظيم (سورة آل عمران ٥ – ٧)

لم يذكر تاريخ الصين كم عاش «بان كو».. لكن قيل إنه كان غاية فى القوة، له رأس تنين، وجسد أفعى، وأنه استطاع أن يشكل العالم حوالى عام ٢,٢٢٩,٠٠٠ قبل الميلاد، بعد أن ظل يكدح فى عمله هذا ثمانية عشر ألف عام!!

عندما مات تجمعت أنفاسه فصارت ريحا وسحبا، وتحولت أناته الأخيرة إلى رعد، وأصبح الدم فى عروقه الأنهار، وعرقه الأمطار، وعظامه الصخور، وأسنانه المعادن، وشعره الغابات والأشجار، ولحمه الأرض، ورأسه الجبال، وأصبحت عينه اليسرى الشمس وعينه اليمنى القمر.. أما الحشرات التى كانت تعلق بجسمه فأصبحت آدميين!!

هكذا تم الخلق.. ثم تعاقب على الأرض ملوك سماويون حكم كل منهم أكثر من مائة عام.. جاهدوا أشد الجهاد ليجعلوا من حشرات «بان كو»

متحضرين، بعد أن كانوا كالوحوش الضارية يلبسون الجلود، ويقتاتون باللحم النيئ، ويعرفون أمهاتهم، ولا يعرفون لهم آباء.

ومن بين هؤلاء الملوك السماويين «فوشى» الذى عاش عام ٢٨٣٨ قبل الميلاد ويعتبر فى بعض قصص الصينيين.. خالق البشر.

كان لفوشى أخت هى نوكوا.. لها جسم ثعبان ورأس آدمى، يعتبرها الصينيون منقذة هذا العالم.. فقد حدث أن «رب العقاب» هونج كنج قد بالغ فى القسوة والطمع حتى دخل فى صراع دموى مع رب الغابات وتغلب عليه، ثم استمر فى عدوانه حتى اصطدم بشوشنج الذى أصبح فيما بعد إله النار.

فى هذه المعركة الجديدة هُزم رب العقاب.. فثار غضبه وضرب الجبل برأسه فانشق.. ولم يكد ينهار حتى تساقطت أعمدة من السماء وانهدمت أركان العالم.

وهنا نهضت «نوكوا» فأذابت أحجارا خمسة من ألوان قوس قزح، وأعادت إصلاح أعمدة السماء.. وقطعت أقدام السلاحف لتلصق بصمغها أركان الأرض.. وجمعت رماد الهدم وكدسته لتوقف به فيض الماء.

وعادت الحياة للأرض من جديد.

لذلك فإن على أهل الأرض أن يأخذوا الخلود من السلحفاة، فهى والمؤمنون أطول الناس عمرا على وجه المعمورة.

الصينيون الذين عاشوا منذ عدة آلاف من السنين عبدة للطبيعة.. تماما كأغلب الشعوب القديمة.. أهم ملامح العبادة الخوف من خوارق الطبيعة وعبادة الأرواح الكامنة فى جميع الأنحاء وخشية السماء وتبجيل ما فيها من شمس وأمطار. هم اعتبروا الشمس والمطر من عناصر الوئام والارتباط بين ما فوق الأرض من حياة وما فى السماء من قوى خفية قادرة.. لذلك عبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال والأفاعى.. وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات، روحا يجب أن تعبد.. وأصبحت أعظم أعيادهم هى الأعياد التى تقام لمعجزة

«النماء».. حيث يحتفل الشبان والفتيات بأيام الربيع، فيرقصون فى الحقول وفى الخلاء.

الصينيون القدماء شعروا أن آلافا من الأرواح الطيبة والخبيثة ترفرف من حولهم فى الهواء المحيط، وفوق الأرض التى تحت أقدامهم، لذلك حرصوا أن يردوا عداوة هذه القوى الخفية، وأن يستعينوا عليها بالأدعية والرُّقَى السحرية، فراحوا يستأجرون المتنبئين ليكشفوا لهم عن المستقبل وتأمل حركات النجوم، كما استأجروا السحرة ليوجهوا منازلهم نحو الريح والماء، وتعاملوا مع العرافين ليستنزلوا لهم نور الشمس وماء المطر.

آمن أهل الصين القدماء- أيضا- بوجود حاكم أعلى واحد فوق كل الأرواح وفوق كل الناس.. اسمه «شانج تى».. قالوا انه القوة العليا المسيطرة على العالم.. فهو عادل لدرجة أنه مهما صلى له الأشقياء فلن يقبل العفو عنهم أبدا، فيجعلهم يموتون.. عكس الصالحين الذين لا يموتون أبدا.

ولكن «شانج تى».. مع كل ذلك لم يكن الإله الأعظم، فالإله الأعلى سيد كل الآلهة اسمه تيان.. وهو السماء.

وكانت الطريقة التى عرف بها الصينيون تيان إله الآلهة غاية فى البساطة فالمطر الذى تشتد حاجتهم إليه لرى حقول الأرز.. ينزل من السماء.. والسحب التى تحمل المطر تأتى هى الأخرى من السماء.. والريح التى تدفع السحب التى تحمل المطر تهب أيضا من السماء.. والرعد والبرق اللذان يفتحان السحب التى تدفعها الريح ليتساقط المطر.. موجودان فى السماء.

حتى قوس قزح الذى يظهر بعد سقوط المطر والذى يستطيع الجميع أن يروه دون أن يلمسوه.. يبدو هو الآخر من السماء.

إذن فمن المؤكد أن تيان رب الأرباب موجود هو الآخر فى السماء.

ومادام الأمر كذلك فلماذا لا يعبد الناس ذلك الرب الأعلى إلى جانب عبادتهم لأرواح الشمس والقمر والمطر والنار والرعد والجبال والأنهار..؟

الصينيون عبدوا أرواح أسلافهم أيضا، فإذا مات رجل عبد أبناؤه روحه كما عبده أحفاده.. وحتى أبناء أحفاده وأحفاد أحفاده عليهم أن يخلدوا ذكراه، لأنه بالرغم من أنه ميت إلا أنه عاش حياة أخرى تمكنه إن أراد أن يظهر بينهم فى أية لحظة.

لم يكتف الصينيون بعبادة أرواح آبائهم.. وأرواح أجدادهم وأرواح آباء أجدادهم وأرواح أجداد أجدادهم فحسب.. بل عبدوا ايضا أرواح كبار الحكماء والأبطال الوطنيين.. وعبدوا بصفة خاصة أباطرتهم الذين كانوا يعتبرون دائماً مقدّسين، على أن واحدا من أكبر الحكماء ظهر بعد ذلك ليكون أعظم هؤلاء القديسين.

كان ذلك منذ ألفين وخمسمائة سنة عندما كان يعيش فى إقليم «لو» بمنطقة «تشو» على مقربة من نهر «هوانج هو».. رجل اسمه تشوليانج هيجه.. من أسرة جونج.

كان تشوليانج من سلالة ملكية.. له القيادة على منطقة شو بالقرب من البحر الأصفر.

وتحدث الناس عن القائد تشوليانج، وكان من بين ما تحدثوا به عنه مّا حدث عندما كان يتولى القيادة وحاصر بجيشه قلعة أعدائه.

ترك تشو مدخل القلعة مفتوحا، واندفع الكثيرون من رجاله فى ذلك المدخل، وعندما أصبحوا داخل القلعة لجأ العدو على الفور إلى إنزال الأبواب ليحصر جنود تشو داخل القلعة، وعندئذ اندفع البطل تشوليانج نحو الأبواب الضخمة الهائلة ورفعها بيديه وظل يرفعها حتى مر جميع رجاله عائدين ناجين من الفخ الرهيب.

الرجل القوى عادة ما يكون محّل إعجاب أهل البلاد تلك الأيام، فقد كانت الإمبراطورية الصينية وقتئذ مقسمة إلى ولايات صغيرة يحكم كلا منها أمير أو شريف.. كل منهم لا يرعى إلا مصالحه الخاصة، تلك الأيام سيئة فى تاريخ

الصين.. لذلك فإن كل رجل قوى شجاع يستطيع أن يساعد أميره، ينال التقدير والإعجاب ويشتد الطلب عليه.

من أجل هذا كان تشوليانج يستطيع أن يكون رجلا سعيدا جدا.. لكنه لم يكن كذلك. فقد كان تشو متزوجا وله تسع بنات. والبنات عندما يكبرن يتزوجن ويعبدن أسلاف أزواجهن كما تقضى التقاليد، وكان تشو يريد- كما يريد كل فرد من أبناء شعبه- أن يكون له ولد يعبد روحه بعد مماته.. لهذا لم يكن سعيدا قط.

لكنه لما وفجأة بلغ السبعين من العمر أهدته زوجته الجديدة الصغيرة «تشينج تساى» ولدا سمياه تشيمو.. عام ٥٥١ قبل الميلاد لكن المأساة انه لما بلغ تشيمو الثالثة من العمر، مات تشوليانج.

بالرغم من أن شوليانج كان حاكما لإقليم تشو.. إلا أنه عندما مات ترك زوجته ضحية لفقر مدقع، ومع ذلك فقد استطاعت الأرملة أن تدبر أمر تعليم ابنها الوحيد تعليما طيبا، وعندما أثنى معلموه على اهتمامه بالدراسة وفهمه للأشياء التى كان الكبار أنفسهم يجدون صعوبة فى فهمها امتلأت نفسها سعادة وفرحة.

ودفعت تشيمو لكى يواصل دراسته.. ويواصل معها نموه العقلى وحكمته التى راحت تتزايد وتشتهر فى جميع أنحاء الإقليم، حتى بدأ الناس يتوافدون من كل مكان ليتبادلوا معه الحديث، وينصتوا إلى ما يقول.

ولما بلغ تشيمو التاسعة عشرة تزوج، فى نفس الوقت الذى منح فيه وظيفة أمين مخازن الحبوب.

كان صغيرا جدا عندما أسندت إليه تلك الوظيفة، إلا أنه أدخل عليها الكثير من التحسينات، فرقاه حاكم المقاطعة إلى وظيفة المشرف العام على الحقول.

المنصب الجديد بالغ الأهمية لشاب فى العشرين.. لكنه رغم ذلك تمنى أن يتخلى عنه لكى يكرس كل جهده لدراسة الشعر والموسيقى.. غير أنه عجز عن

تحقيق الأمنية لأن زوجته وضعت فى ذلك الوقت مولودا جعله يقرر الاحتفاظ بمركزه.

لكن ذلك لم يشغله عن الاهتمام بالأمنية التى أرادها، لذلك كان يقضى جزءا كبيرا من وقت الفراغ فى دراسة التاريخ والموسيقى والشعر، وزادت معرفته يوما بعد يوم وذاع صيته إى أن قرر الاشتغال بالتعليم. وقتها لم يجد سوى بيته ليكون المدرسة التى يلقى فيها الدروس على مريديه.. لتتحول بعد ذلك ملتقى لأهل العلم فى كل المنطقة.

فأصبح البيت لا يخلو فى أى أمسية من أناس من مختلف الأعمار يأتون إلى تشيمو يستفسرونه ويسألونه ويتلقون منه الصواب فى كل الأمور، كان سعيداً وهو يعلم ما يعرفه لأولئك الذين هم فى حاجة إلى العلم.. ولو كان ذلك بغير مقابل.. الكثيرون من الذين اتوا إلى بيت المعلم الشاب سموه كونج- فو- تشى.. أى كونج الفيلسوف.. ثم بدأ تحريف الاسم ليطلق عليه الناس بعد ذلك كونفوشيوس.

وسارت الأمور سيرها الطيب مع الحكيم كونفوشيوس حتى بلغ الثالثة والعشرين. ثم حدثت المفاجأة.

فقد ماتت أمه تشينج تساى، وكان موتها سببا فى كثير من التغيرات التى طرأت على حياته، أولها استقالة كونفوشيوس من منصبه كمشرف على الحقول.

ومنذ تمت استقالته لم يصنع شيئا قط سوى أن يندب أمه.. وبلغ به الحزن حد أن أهمل زوجته إهمالاً كاملاً.. أدى بعد ذلك إلى الانفصال.

بعد فترة.. بدأ كونفوشيوس استعادة نفسه. فكرس كل وقته لدراسة تاريخ شعبه وشعر ذلك الشعب وفلسفته.. ولكنه لم يكن ينسى خلال تلك الأوقات أمه الراحلة.. بل راح يقضى الشهور الطويلة جانب قبرها يتأمل الحياة كما يتأمل الموت.

عندما انتهت أيام الحداد التى كتبها على نفسه وحددها بثلاث سنوات، لم

يعد كونفوشيوس إلى وظيفته الحكومية، بل مضى فى دراسته وبدأ يعلم التلاميذ هذه المرة كوسيلة لكسب العيش.

وانتشرت شهرة كونفوشيوس كمعلم عظيم، إلى حد أن التلاميذ أصبحوا يجيئون إليه من جميع أنحاء إقليم- لو- ومن الأقاليم البعيدة عنه.

وأخذ عدد تلاميذه ينمو ويزداد يوما بعد يوم، حتى إذا بلغ الرابعة والثلاثين من عمره أصبح له أكثر من ثلاثة آلاف تلميذ ومريد.

فى ذلك الوقت مرض رئيس وزراء إقليم «لو» مرضا شديدا.. وعرف أنه قد قارب على الوفاة، واستدعى أكبر أبنائه.. وقال له: «يا بنى.. لقد كان حظى من التعليم أيام شبابى ضئيلا.. وظللت طوال حياتى آسفا لهذه الحقيقة.. وأنا أريد منك أن تجدَّ فى الدرس والتحصيل وتصبح متعلما تعليما كافيا على يد خير المعلمين».

ووعده ولده.

وعندما مات الأب انطلق الابن ليتعلم على يد كونفوشيوس، وعن طريق ابن رئيس الوزراء أصبح أمير «لو» صديقا للحكيم.. مما زاد فى انتشار سمعته وشهرته.. وحدث أن نشبت حرب أهلية فى إقليم «لو» فاضطر الأمير إلى الهرب لينجو بحياته، واضطر كونفوشيوس للهرب هو الآخر إلى إقليم «تسى» المجاور.. غير أنه سرعان ما ضاق بالعيش خارج وطنه.. ولم تمضى فترة طويلة حتى عاد إلى «لو» وواصل تعليمه.

عندما بلغ كونفوشيوس الثانية والخمسين.. كان قد قام بدور كبير جداً فى تعليم أبناء الصين.. لكنه عندما كان يقوم بدور المعلم.. لم يكن يفعل ذلك كواحد من الأنبياء أو القديسين، الذين تتجلى لهم الرؤى أو تهتف لهم الهواتف السماوية، لتأمرهم بدعوة الناس إلى الحق وسلوك الطريق المستقيم، إنما كحكيم من الحكماء، اطلع على كتب الأولين واستخلص ما فيها، وأراد أن يقدم للناس خلاصة سهلة مفهومة لما تحويه هذه الكتب وما استطاع بحكمته

وتأملاته أن يخرج به من الحياة، لذلك يقال إنه انتهى آخر ما انتهى إلى أن روح الإنسان خالدة لا تموت بالرغم من أن الجسم البشرى.. يفنَى.

تعاليم كونفوشيوس كانت كتعاليم سقراط الفيلسوف، وكما كان يفعل سقراط فعل كونفوشيوس.

فجرت عادته على التنقل من مكان إلى مكان، وفى صحبته نفر من التلاميذ والمريدين، الحوادث التى كانت تصادفهم عرضا فى الطريق هى التى توحى بموضوع الحديث.

من بين ذلك ما حدث عندما التقى كونفوشيوس فى طريقه بامرأة تصرخ وتستغيث فلما سألها عن سبب بكائها وعويلها فى هذه الصحراء الجرداء أجابته: إن نمرا مفترسا قتل والد زوجى فى هذا المكان، كما افترس نفس النمر زوجى ثم تبعه بولدى الصغير.

وسألها كونفوشيوس: لماذا تبقين فى هذا المكان القفر بما فيه من نمور؟

أجابت المرأة: لأنه لا يوجد هنا حاكم ظالم.

وعندما سمع كونفوشيوس تلك الإجابة استدار نحو تلاميذه وقال لهم: «اكتبوا عندكم أيها التلاميذ.. إن الحاكم الظالم أخطر على الناس من النمر المفترس».

كان كونفوشيوس يشحذ عقول تلاميذ بأن يعرض بأخطائهم فى رفق ويطلب إليهم شدة اليقظة والانتباه، وكان يقول: «إذا لم يكن من عادة المرء أن يسأل نفسه: ماذا أرى فى هذا الشيء؟ فإنى لا استطيع أن أفعل له شيئا».

وقال لتلاميذه ذات يوم: «ما أشقى الرجل الذى يملأ بطنه بالطعام، دون أن يجهد عقله فى شيء.. لا يتواضع فى شبابه ولا يفعل فى رجولته شيئا خليقا بأن يأخذه عنه غيره، ثم يعيش إلى أرذل العمر.. إن هذا الإنسان وباء».

سأله أحد تلاميذه فأجاب: «أنا لا أستبيح لنفسى أن أقتل دودة القز لأستولى على نسيجها وأصنع منه ردائى».

وسأله تلاميذ: «لماذا لا تشرب اللبن؟».

فأجاب: «لأن اللبن من حق الرضيع».

وقال لتلاميذه ذات يوم: «إنى أفخر بأنى لم أستعمل قط شبكة لصيد السمك، ولم أرم طائرا بسهم.. إلا إذا كان هذا الطائر محلقا فى الفضاء، حتى تكون لديه فرصة للهرب أو النجاة».

كان كونفوشيوس معلما من الطراز الأول، شديد المراعاة للمراسم، قواعد الأدب والمجاملة طعامه وشرابه، يبذل ما فى وسعه للحد من قوة الغرائز والشهوات وكبح جماحها.

وقال مرة: «قد أكون فى الأدب مساويا لغيرى من الناس.. ولكنَّ خُلُقَ الرجل الأسمى الذى لا يختلف معه قوله عن فعله.. هو ما لم أصل إليه بعد».

أما تلاميذه فكانوا يقولون عنه: «كان المعلم مبرأً من أربعة عيوب.. كان لا يجادل.. ولا يتحكم فى الناس ويفرض عليهم عقائده.. ولم يكن عنيدا.. ولم يكن أنانيا».

وآمن تلاميذ كونفوشيوس بعد موته أنه عاد للحياة مرة أخرى فشاهدوه ثلاث مرات بعد ذلك، آخرها قال إنه لن يظهر لهم من جديد، بينما تبقى فقط تعاليمه التى تجعل تلاميذه إذا ماتوا أحياء!!

■■■

١١- شانتى عاشت هنا وهناك
وماتت ثم عادت طفلة!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ (٣٠)﴾ (سورة النجم ٢٨ - ٣٠)

كثيرون بحثوا عن سر الروح. وداروا ولفوا حوله وحولها. لكن ليس أكثر إثارة من «روزن كرويس» الذى يعتبر من أكبر مؤسسى مذهب «الأرواح» أو تناسخ الأرواح فى العصر الحديث.

أتباع «روزن» الذين يؤمنون بما قاله وفعله زادوا على ٢,٧ مليون شخص منتشرين فى جميع أنحاء العالم.. وكتبهم تذكر نحو ١٢ تلميذا من أهم تلاميذه.

منذ عام ٦٢ كان كل تلميذ يموت يخلف وراءه عددا من مريديه، وهؤلاء يتجولون بين أقطار العالم دون خوف ودون رهبة فى أن يحدث لهم مكروه.

فهم محروسون لأنهم فى مهمة مقدسة، وأن معهم جوازات سفر حمراء، لن يقوى على معاداتهم أحد، أو قد يعاديهم الكثيرون دون أن يستطيعوا أن يلحقوا الضرر بهم، لأنهم سفراء «روزن كرويس» وزير خارجية الحكمة!!

وذهبوا.. ولم يسمع أحد عن هؤلاء التلاميذ شيئا بعد ذلك.

«كرويس» كان شخصية مثيرة، غريب الأطوار كان اعتقاده خليطا بين المسيحية واليهودية وبعض التعاليم الإسلامية، فيما أكد أتباعه فيما بعد أن دينه يطلب من المؤمنين به أن يكونوا بسطاء زاهدين. الزهد الذى يقودهم

للمعرفة الأكيدة والذى لن يأتى إلا بالاعتماد على النفس، مع قليل من الطعام والشراب.

فالذى يأكل أكثر يجوع أكثر، والذى يطمع فى الكثير، يرغب فى الأكثر، مع أن الذى يأكل أقل، يشعر بالجوع أقل«!!».

تماما كمن يرغب فى القليل، تصبح احتياجاته فى الحياة ضئيلة، تفوت الفرصة على الآخرين فى استعباده. لذلك لن يحنى ظهره لأحد، لا وزير ولا خفير، لا حاكم ولا أمير.. وعلى هذا ظل كل أتباع «روزن كرويس».

زهدوا فى الدنيا، وزهدوها، لم يسرفوا فى اقتناء أية مقتنيات، ولم يسعوا لتملك أية حاجة، ظلوا شديدى القدرة على التحكم فى أنفسهم، فهم يرون ويشمون عن بعد، شفافيتهم رهيبة، ينمونها بحيث تصبح قدراتهم خارقة.

واحترفوا بعد موت «روزن كرويس» طرقا كثيرة للسيطرة على الروح وملكوا سر الأرقام، واستطاعوا من تحليلها معرفة أسرار الكون.

جاء فى كتاب روبرت فلود أن ديانة كرويس قديمة جداً، ترجع إلى عصور سليمان الحكيم وأفلاطون وفيلون اليهودى، ثم إلى جماعة «الأطهار» الذين تردد عليهم المسيح كثيرا.

بها أيضا بعض التعاليم «الاخناتونية» نسبة لإخناتون الفرعون المصرى الذى نادى بعبادة إله واحد فقط، فأختناتون عرف- كما عرف هؤلاء- الكثير من أسرار الكون وأبعاده.

وكتب الإنجليزى روبرت فلود فى كتابه أن هناك دورة كونية طولها ١٠٨ سنوات، ينشط فيها الحس الروحى لبنى البشر.. ويعود للخمول من جديد ١٠٨ سنوات أخرى، أى أن العالم يتبدل كل ٢١٦ سنة بين خمول ونشاط روحى.

واستطاع «روبرت فلود» تسجيل التاريخ الدينى المكتوب، ثم تقسيمه

لدورات بهذا العدد طولها ١٠٨ سنوات، حتى عام ٢٠٢٣ وقال: إنه حتى عام ١٩١٦ يكون الكون خاملا، لا يثيره أو لا يتأثر فيه الحس الروحى التأملى.. أما بعد هذا العام، أى ابتداء من عام ١٩١٧، حتى عام ٢٠٢٣ ينشط الحس التأملى.

نحن الآن فى مرحلة النشاط والانتشاء الروحى «!!» لندخل مرة أخرى مرحلة خاملة رتيبة يعقبها نشاط متجدد، وهكذا حتى الخلاص.

الفكرة جذبت عددا لا بأس به من المشاهير. الفيلسوف الألمانى «ليبنتس» ثم الفرنسى «ديكارت»، والإمبراطور غليوم الثانى والوزير الألمانى «فون فيلنر»، حتى إن نابليون لما جاء غازيا مصر، وصلته تلك القصص، فاجتمع بعدد من العلماء متسائلا ومستفسرا عن أصول قصص تناقل الأرواح، وقيل إن بعض المصريين منهم أطلعه على أسرار دقيقة فى حياته الشخصية، وحذره آخرون، من الأسطول الإنجليزى، وطلبوا منه سرعة الفرار «!!».

الطبيب النمساوى «ارنست توتنهام» قال فى مقدمة كتابه «الطريق إلى الصفر»: «أيها القارئ، إنك لست أمام دين جديد لأنه دين واحد منذ الأزل، أينما تكون يمكنك الانضمام إليه، إلينا، إن أردت.. اعمل كل ما يلزمك به انضمامك هذا، فتكون تلك اللحظة قد اتخذت لنفسك معبدا ومحرابا، ويتحقق الذى تبحث عنه فى كل مكان، وفى أى اتجاه.

قال توتنهام أيضا: «إن الكون ملىء بالأسرار والألغاز، بعضها ينفتح أول ما أن تلامسه أصابعك، لكنك لا تعرف هذا.. سليمان النبى فعل ذلك، عيسى ابن مريم أيضا، وباقى القديسين، وانكشف لهم ما انكشف وبقيت أسرار أخرى، لن تبلغها إلا إذا دربت جسمك وروحك على أن تكون الأخف وزنا والأرجح عقلا».

وأضاف: «لقد فعل هذا من قبلك رهبان الكنائس.. هؤلاء الذين لم يكونوا سوى أفراد فى جيش كبير لا يحمل سلاحاً ضد أحد، أو فى وجه أحد. حملاتهم فقط، على الجهل والغرور، والطمع والشر، والشره وأنانية الإنسان مع الآخرين، ثم ظلمه لنفسه».

توتنهام كان من اتباع «روزن كرويس».. هؤلاء اعتقدوا أنهم لا يموتون، أو أنهم أبديون، لأن أرواحــهم تتناسخ مــتنقلة من هنا لهناك، من هذا لذاك، أمثلتهم وبراهينهم كثيرة على هذا. لكن لا أحد يعلم إن كانت صحيحة.. أم لا؟!

■■■

المثير ما أورده «لوند ستراند» فى كتابه «شانتى ديفى.. والتناسخ هناك».

القصة تبدأ أحداثها فى الرابع من أكتوبر ١٩٢٥ عندما دخلت الهندية «لودجى ديفى» أحد مستشفيات مدينة «موترا» تعانى من آلام الولادة الحادة، لتخرج بلا أية آلام.

ماتت «لودجى»، ولم يبق لأهلها إلا الذكرى الطيبة لشابة فى العشرينيات من عمرها.

الإثارة بدأت بعد عام ونصف العام من موت «لودجى» حينما ولدت الطفلة شانتى فى مدينة دلهى، فلم تكن تلك الطفلة فى حقيقة الأمر سوى جسد يحمل داخله روح «لودجى» بعد أشهر قليلة من وفاتها «!!» وهو ما اكتشفه أهلها بعد أربع سنوات كانت هى كل ما مضى من عمر طفلتهم.

قبل تلك السنة، لم يكن هناك غريب يثير أية تساؤلات مريبة، فقد كانت «شانتى» طفلة ككل الأطفال هادئة تماما، تميل للعب والضحك، ومشاكسة الأبوين ككل الأطفال أيضا.

لكن ما أن تعدت سنواتها الأربع، حتى طرأ التغيير، عندما بدأت تتحدث بتدفق مدهش وغريب، وتطور هذا التدفق فى الحديث ومفردات اللغة متحولا لهذيان، أحاديث غريبة، عن ذكريات لما عاشته وعاصرته فى حياتها السابقة كما يقال!!.

وفجأة، أعلنت فى صباح أحد الأيام، إنها ليست «الطفلة شانتى» إنما هى «لودجى ديفى» المتوفاة يوم دخلت المستشفى للولادة، لهذا، فإن عليها أن ترحل،

بعدما عرفت حقيقة نفسها إلى حيث يسكن زوجها وطفلها الوحيد«!!».

يا نهار أسود، زوجها؟! وطفلها أيضا؟! قال اهلها: قصص أطفال.. خيال.. لعب عيال، وكلام فارغ، لذلك طلب أبواها منها الانصراف عما تدعيه، فلا يجب أن تستعجل الزواج، لأنه آت آت.

لكن شانتى لم تنس، لقد سيطرت عليها أحاسيس كثيرة، قوية يصعب تفسيرها، واستحكم لديها الشعور بأنها كانت تعيش فى مكان آخر، زمن آخر، مع أشخاص آخرين. وبدأت تتبادر لذهنها ذكريات واضحة، كأنها تراها، أو رأتها من قبل بكل تأكيد!!

بالأمس القريب كانت لها أسرتها، ومنزلها، تسمع همسات من تناديه «زوجى».. تتحرك داخل منزلها الواسع الفخم بشارع «وبير» بمدينة «موترا»، إنها تعى تماماً ما تقول، وتقول ما تعنيه، لكن والديها ظلا على صمتهما، رغم بعض القلق. فضلا عدم الحديث من بعيد أو قريب عن شانتى التى بدأت رائحتها تفوح.

كبرت الصغيرة بعد فترة.. بدأت تعى أنها تعى أشياء غريبة، وشاذة.. فلا هى هى، ولا هؤلاء هؤلاء، ثم إن هذا ليس بيتها مع أنها ولدت فيه، ليس هذا بيتها فقط، أو ليس هذا البيت وحده.

غريبة، لماذا تكتم هذا؟، لماذا لا تفصح عما يحملها أكثر ما تحتمل، أو تستطيع تحمله، لابد أن تقول، تقول كل شىء، ولو لشخص واحد، تقول وخلاص.. عليها أن تتكلم.. وقد كان.

فقد حدثت زميلاتها بالمدرسة، حكت كل ما سبق وروته لوالديها، قصت كل القصص، وقدمت نفس الوصف، وما هى إلا فترة قصيرة حتى تناول الجميع قصة «شانتى» وذكرياتها السابقة«!!».

سرعان ما أصبحت «الطفلة» حديث مدينة دلهى كلها.. وتوالت الأحداث.. ربما بدافع الفضول أو الدهشة، وربما بدافع تفسير ما حدث، أرسل مدير مدرسة

«شانتى» خطابا لزوجها البراهمى المزعوم فى بلدته «موترا» لكن دون إجابة.

مرت أيام طوال لم يبادر فيها البراهمى- الزوج المزعوم بأية مبادرة، وظن الجميع أن الموضوع كله ليس إلا كذب فى كذب، فلا عاشت «شانتى» من قبل، ولا لها ابن وزوج كما تدعى، وقالوا إنها طفلة صغيرة وكاذبة كبيرة.. واسود وجه شانتى.

لكن الأمور تبدلت فجأة حينما وصلت القصة «لجيرمان جوثنار» أحد أقارب الزوج البراهمى المزعوم.. ليسارع بزيارة «شانتى» حيث تسكن.

الزيارة كانت كفيلة بإقناعه تماما أن «شانتى» ليست إلا روح «الزوجة المتوفاة».

بعد أيام جاء «كيدار شوى» زوج المرحومة «لو دجى» لمنزل الصغيرة شانتى، بعد خطاب قريبه لمشاهدة روح زوجته السابقة فى جسد آخر صغير، ونحيل.. جسد الطفلة «شانتى».

«كيدار» لم يكن بمفرده، إنما اصطحب زوجته الجديدة، وابنه لرؤية هذه المعجزة.. وقابلوها.

وعادوا، دون أدنى شك فى أن كل ما قالته الطفلة صحيح.. تأكد الزوج أن «شانتى هى زوجته السابقة لودجى»، وأن لودجى الروح تقمصت «شانتى» الجسد.

يعنى شانتى هى لودجى فى زمن آخر بجسد آخر.

وطار الخبر، وذاع صيت الطفلة فى أركان الهند، وفى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ركب أكثر من ١٥ رجلا من الحكماء والنبلاء ورجال الدين قطارا بأمر من المهاتما غاندى لاصطحاب «شانتى» ووالدها إلى مدينة «موترا».

أرادوا تقصى الحقيقة، ثم تقديم النتيجة مكتوبة للمهاتما غاندى وتحتها توقيعاتهم جميعا.

فى موترا، تعرفت «شانتى» على منزل الزوجة الميتة من أول نظرة ودون أن

يخبرها أحد.. أيضا تعرفت على جيرانها، الذين سمعوا من الصغيرة أسرارا دقيقة كانوا قد حدثوا بها الزوجة السابقة «لودجى» وحدها.

أما والدا «لودجى» فجرت الطفلة عليهما دون أى إشارة من أى أحد.. كان واضحا أن تلك الصغيرة التى لم تأت للمدينة من قبل تعرف طريقها جيدا.

ووقف الجميع عاجزين أمام تلك الظاهرة.. وبعد تفكير عميق، اتخذت شانتى قرارها المصيرى، العودة مع أبيها وأمها الآخرين لمدينة دلهى، حيث ولدت.

وكان قرارا صعبا.. أما الأصعب فأن يكون للإنسان أكثر من أب وأم وخالة وعمة ثم مجموعة من الأجداد.

فكما هو صعب ألا يكون لك أم، صعب أيضا أن يكون لك اثنتان.

ورجعت «شانتى» لدلهى، انتظمت فى دراستها، واشتغلت بعد ذلك بالتدريس، بينما قررت عندما كبرت ألا تتزوج أبدا، وهو ما فعلته فعلا، لتموت عذراء دونما زوج أو أبناء.

لوند ستراند يقول فى مقدمة كتابه «قصة شانتى»: «إن الرواية عجيبة، وهى ليست فقط حياة إنسان يمثل ظاهرة مختلفة عن الآخرين، إنما دليل على أن الميلاد هو البداية.. أو أن الميلاد الأول ليس كل البداية، كما أن الموت ليس النهاية، كما تعتقد».

■■■

١٢- لاينتشوا تعيد الأرواح الميتة للحياة!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ صدق الله العظيم (سورة الطارق ٥ - ١٨)

فى تاريخ الشرق كله لم يكن هناك من يعتقد أن الموت نهاية. كل الديانات الشرقية القديمة تعتقد أن الموت مجرد كوبرى أو «قنطرة» يعبرها الإنسان، فيما تظل روحه معلقة فى مكان مَّا حتى تجد من يصدر لها الإذن فتهبط كى تلبس جسدا إنسانيا آخر، فى زمن آخر وفى مكان آخر «!!».

ابتكر البدائى فلسفاته الروحية.. وضع خلاصة فكره حول الروح من منطلق أنها لا تموت، وأنها تنطلق للأفق لتعود من جديد.

عام ١٩٠٢ قال الراهب البوذى «سالا»: «إن الروح ليست صعبة المراس كما يقول البعض، ولا هى عنصر سرى والإنسان ليس غبيا، فعندما تراقب شيئا، فلابد أن تستطيع أن تتنبأ بقانون ما يربط هذا الشىء بظواهر أخرى مختلفة.»

وكتب «سالا» فى مدخل معبد «أديشو» بالتبت هذه الجملة «إن أرواح البوذيين مختلفة كل الاختلاف عن أرواح من ليسوا على تعاليم بوذا.. نحن استطعنا أن نحرر روحنا ونخففها إلى حد وصلت فيه إلى أبعد ما يمكن أن

يتخيله باقى البشر.

يقول البوذيون- حسب المراجع والمذكرات البوذية لمعابد «أديشو»- إن الراهب سالا كان يقف على الأرض، ويبعث روحه للسماء، فيشاهده الناس على الأرض، فيما يشاهدون طيفا فى السماء أيضا!!

وقال «سالا» ذات مرة عندما سألوه عن قدرته على أن يفعل ما يفعله: «أنه التركيز الشديد».

على «التركيز الشديد» قامت فلسفة «الأبنتشوا» الهندية، وهى التى يمارسها أيضا الرهبان البوذيون. تلك التدريبات التى يقال إنك عن طريقها تحدث نوعا من الانفصال السهل بين روحك ونفسك. وإذا استطعت أن تحدث هذا الانفصال، فإن الزمن بالنسبة لجسدك ينفصل عن الزمن بالنسبة لروحك، فيهرم جسدك، بينما تبقى روحك كما هى، فلا تشعر بالعجز، ويمكنها وقتها أن تنتقل وبأوامر منك لمكان آخر وربما جسد آخر.

إلا أن الراهب «دينى»- بوذى هندى مات عام ١٧٠٢- أسس مذهب «الروب» وترجمته بالعربية «الهاربون»، وهم الذين هربوا من الدنيا، أو تصعد أرواحهم من الدنيا وتستقر فترة فى السماء، ثم تعود للأرض من جديد، عندما تكون الأجساد الإنسانية مستعدة لاكتسابها مرة أخرى.

أين تذهب الروح فى اعتقادهم؟! عند المُذَنَّب «كورا» أحد المذنبات التى تدور حول الأرض بطريقة لولبية، وأحيانا يتقدم ويسبق الأرض، وأحياناً يتأخر ويجعل الأرض تسبقه.

الفارسيين القدماء استطاعوا رصد هذا المُذَنَّب الذى يقال إنه دخل المنطقة السوداء أو «الهالة السوداء» وعاد عام ١٥٠٩م.

إذا كان هذا صحيحا، فإن الراهب «دينى» كان أول جسم يدخل الهالات السوداء ويعود من جديد. والأرواح لدى مذهب «الروب» البوذى تكمن فى هذا المذنب لنفس السبب.. فالأسطورة القديمة تقول إن المذنب «كورا» لم يمت مع

أنه دخل الهالات السوداء فى السماء، رغم أن كل من دخل هذه المنطقة لم يعد أبدا. إضافة إلى أن الهالات السوداء نفسها تأكل بعضها.. الأهم أن المذنب «كورا»- غير كل الأجرام الفضائية.. يظهر عليه الضعف أحيانا والهزل، بينما كثيرا ما تظهر عليه الصحة، والتحسن، ولو شاهدته بالتليسكوب الفضائى فستجده فى صحته «مشعا» بينما تجده فى ضعفه محاطا بالظلام.

«الروب» يعتقدون أن تدريبات «الأبنتشوا» تجعل الروح الإنسانية فى حالة محاكاة دائمة وأبدية مع المذنب «كورا».. ولما كان الراهب «سالا» كما يقول عنه البوذيون يبعث بروحه للسماء، فإنه كان يرسلها للمذنب «كورا» بعدما واتته القدرة على أن يجعل روحه خاتما فى إصبعه.

الفراعنة المصريون قسموا الجسم الإنسانى لـ«كا» و«با».. روح ونفس، وأكدوا فى بردياتهم أن الروح غير النفس، خلاف ما كان سائداً ذلك الوقت، فقصص اليهود والآراميين والكنعانيين، تؤكد أن «الروح هى النفس» وأن «النفس هى الروح».

وأطلقت شعوب العالم القديم فى شمال الجزيرة العربية على الشيطان لفظ «روح»، وقالوا إن الأرواح إما طيبة «ملائكة» أو أنهم أشرار «شياطين».. وجاهد فلاسفة القبائل الإفريقية القديمة فى محاولات اختراع أنواع كثيرة من الموسيقى الصاخبة لطرد الأرواح الشريرة.

ولبست معظم نساء القبائل أقنعة غاية فى القبح حتى تخاف منهن الأرواح، لكن مع كل هذا لم يطور شعب واحد فكرة ولو بدائية عن الروح سوى مذاهب «الروب» أو «الهاربين»، الذين عرفوا بهذا الاسم فى القرن السادس عشر الميلادى.

«الروب» كانوا موجودين من قبل، إلا أن أحدا لم يسمع عن آرائهم ومعتقداتهم، ولا حتى عن تمارينهم الروحية التى تعطى الواحد منهم قدرة هائلة على «التناسخ» واستخدام الأرواح للأجساد كما نركب سيارة مختلفة كل يوم.

يقول أحد رهبانهم: «الروح كالظل، والإنسان يظل أسير ظله طالما أنه يواجه أشعة الشمس، فأشعة الشمس تكشف دائما عن ظلك، فلا يمكنك أن تبتعد عنه ولا تبعده عنك ولا تهرب منه.. الظل يشبهك تماما، أو يشبه جسدك إلى حد التطابق، وهناك من يستطيع إذا رأى ظلك أن يعرف أنه أنت، لأن ملامحك الشخصية فى هذا الظل، والظل يتحرك، كما أن جسدك يتحرك، لكن ظلك ليس مادة، ولا هو قليل من المادة، ولا أشعة الشمس مادة صلبة، ولكنها عندما تأتى وتصطدم بجسدك فإنها تطبع ظلك على المياه وعلى الثلج وعلى الشجر، فالظل إذن هو انعكاس غير مادى نتيجة مادة. كذلك الروح، فالروح ليست مادة فى حد ذاتها، ولا ترى منا ما هو مادى، إنما جسدك «المادى» تنعكس عليه الآثار الروحية، أو أن انعكاس الروح «غير المادية» على الجسد تظهر فى الاختلافات بين شخص وآخر.. لكن ما الذى يجعل للروح انعكاسا على الجسد؟!.

إنها الحياة.. لذلك اعتقد مذهب «الروب» الذى اعتمده «الدلاى لاما» ضمن مذاهب البوذية الأصلية عام ١٩٧٥ أن الروح هى انعكاس للحياة، وليس العكس، كما يعتقد الكثيرون. وأن الوصول لطبيعة انتقال الروح ومرونتها وكيفية «تناسخها» وانتقالها من جسد لجسد يبدأ بدراسة الحياة أولا. وقالوا إن أحداً من أى مذهب آخر لن يستطيع التوصل لسر الروح الحقيقى، لأنهم كلهم يبحثون فى الطريق الخطأ.

الراهب «بنشوا» بدأ دراسة تراكيب الحياة الإنسانية، وكيفية تحرر الإنسان من روحه وهو حى، وهى الطريقة التى يمكن أن يصل معها لدرجة من درجات السمو الروحى بعدما يستطيع بالفعل التحكم فى روحه.. بسلاسة ويسر.

وصل «بنشوا» إلى أن «الحياة» المادية عبارة عن أربعة عناصر: الماء، والتراب، والهواء، والنار، وأن أى من المركبات الموجودة فى أى كائن حى يجب أن يشتمل على هذه العناصر، وبالتالى تؤثر فيه هذه العناصر أيضا!!

فالإنسان يمكن أن يغرقه الماء، وتحرقه النار فتنتهى حياته.. لماذا؟.

لأن هذه العناصر الأربعة موجودة بالجسم المادى بتراكيب متناصفة.. فالجسم نصفه عناصر مائية ونصفه عناصر ترابية، إضافة إلى أن نصفه أيضا عناصر هوائية ونصفه عناصر حارقة، أحماض المعدة على سبيل المثال لو صعدت للمرىء، يشعر الإنسان بنار حقيقية، أما الماء فلو دخل الرئة فإنه يشعر الإنسان بالاختناق، مع أن الإنسان فى الوقت نفسه يمكن أن يستحم فى النهر وينزل فيه بكل جسده ولا يحدث له أى شىء.. كيف هذا التناقض؟!.

لا تناقض ولا غيره، إنما الروح مرتبطة بالجسم المادى، فإذا زادت أى عناصر من عناصر الحياة وضلت طريقها للجسم الإنسانى، يموت البنى ادم، ومع أن الماء عنصر أساسى من عناصر الحياة لأى كائن حى، إلا أن العنصر نفسه قد ينقلب لعنصر مميت، لأنه استعمل بالطريقة الخطأ.

وقال «بنشوا» إن فصل عناصر الحياة عن الجسد، وتطويع المادة عن طريق الروح يجعل الإنسان يمشى على النار ولا يحترق، كما ينزل الماء فيسبح فيه ولا يغرق.

فصل الحياة عن الجسد معناه ألا ينساق الإنسان لرغباته، وإذا أراد الماء يمكن أن يصبر وأن يمنع نفسه عنه لفترة طويلة، وعليه أن يعتقد أن روحه ليست فى حاجة إلى ماء، إنما جسده هو الذى يريد، إذا اقتنع بهذا سوف تضمر رغبته فى الماء بعد فترة، وربما يستطيع أن يحيا أياما طويلة دون رغبة حقيقية فى نقطة.

ومثلما يفعل مع الماء يفعل مع الطعام، الذى يحتوى على كل عناصر النار، فالطعام فيه الصوديوم والفوسفات والحديد والأملاح.. وكلها مركبات «نارية».. وإذا روض جسده بالاستغناء عن الطعام، استطاع أن يطوعه لصالح روحه، وربما استطاع فيما بعد أن يمشى على النار دون ألم، ودون أن يصيبه مكروه.

وقال «بنشوا» كما قال سالا البوذى من قبل: إن الذى يقتل الإنسان ليس

احتياجه للماء حالة عطشه، إنما الذى يقتله هو عدم تحقق رغبته الملحة فى أن يحصل على ماء.

فلسفة «بنشوا» حاولت معرفة سر الروح، ثم السيطرة عليها عن طريق معرفة سر الحياة. هم عكسوا المسألة، فلم يبحثوا عن الروح عند الموت، وإنما تتبعوها «عند الحياة».. وكان دليلهم على صحة فلسفتهم أن التحرر من أى عنصر من عناصر الحياة هو الذى يزيد الروح قوة.

الراهب البوذى «زوشى» قال عام ١٩٠٧ فقال إن سمك «النينوا» لا يشرب الماء أبدا، ولا يدخل فمه ولا قطرة ماء طوال حياته، لذلك فإن هذه السمكة لو حدث وأخرجت من الماء لا تموت أبدا. واختبر الطبيب الهندى «نورمى» هذه النظرية عام ٧٩ فوجدها صحيحة، «فالنينوا» بالفعل ظل على قيد الحياة بالرغم من أنهم أخرجوه من الماء مدة زادت على ٤٢ يوما وعندما أحرقوه بالنار، كان جلده الداخلى لا يحترق إلا بعد ٩ دقائق.

غريبة.. لأنه لا يوجد كائن حى يمكن أن يقاوم عوارض الموت كما يفعل هذا النوع من الأسماك.

قالت طائفة «الروب» البوذية إن هذا السمك لا يملك فلسفة، ولا يملك أى طريقة لفصل روحه عن جسده، ولا قصد أن يمنع نفسه أى تفصيلة من تفاصيل الحياة، لكن هى طبيعته التى جعلته يستطيع مقاومة الموت.. سبحان الله.

ولو حدث وفعل الإنسان مثلما يفعل «النينوا»، فقد وضع قدمه على أول درجات سلم «السيطرة».. ولو مارس أى تدريب من تدريبات البوذية، فإن جزءا ما فى جسده سوف يستفيد.

أما لو مارسها كلها، فإن جسده سوف يكون صلبا، تكون روحه أكثر صلابة، ومادامت الروح أصبحت صلبة، فإن الإنسان يمكن له أن يأمرها فتطيع، وربما استطاع أحدهم أن يرسلها- يرسل روحه للسماء- ويعيدها من جديد إلى جسده، أو إلى جسد آخر!!. كما يقول هؤلاء.

منذ عام ٦٨ ارتفع سعر الراهب البوذى المعلم إلى ١٥٠ دولاراً فى الساعة ليعلم الأمريكيين فلسفة السيطرة على الروح، فقد حاول أكثر من ٧٥٠٠ ألف أمريكى حتى عام ٧٢ أن يخرجوا أرواحهم من أجسادهم، ويعيدوها من جديد!!.

الجنون فنون.. ولله فى خلقه شئون!!

■■■

١٣- الصينيون يقرأون طلاسم الحياة لو عكسوها ماتوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)﴾ صدق الله العظيم (سورة التوبة ١٠٩ - ١١٠)

فى الصين ملايين البيوت، لا يستطيع المرء أن يدخلها إلا إذا مر فى ممرات ملتوية متعرجة. قبل أول حجرة من الحجرات لابد للداخل أن يجد فى وجهه غابة كثيفة الأشجار.. قائمة.. حتى ولو كانت مرسومة على لوحة عريضة.. لينحدر بعدها فى الممرات الجانبية للبيت

أصحاب هذه البيوت يسمون بالداويين.. وهم المؤمنون بحكيم عاش فى نفس أيام كونفوشيوس.. ولكنه كان يكبره ببضع سنوات.

الأشجار والرسوم والممرات المتعرجة يقولون إنها تصد الشياطين والجن والمردة وأرواح الشر عن دخول البيت.

والداويون يؤمنون بكل هذه المخلوقات.. تماما كما يؤمنون بوجود مصاصى الدماء والغيلان والتنانين.. حتى إنهم عندما يأكلون أو يشربون وقبل أن يمشى الواحد منهم أو يستريح.. لابد أن يهمس ببضع تمائم تبعد كل هذه الشرور عنه.. وإذا مشى فى غابة فهو إما يغنى أو يصفر، لأنه يعتقد أن الموسيقى تبقى الشياطين بعيدة، فلا تقترب.. وشياطين الغابة تكره الموسيقى كما يكره البعوض الدخان.

ذلك هو السر فى الممرات الملتوية فى بيوت الداويين.. فالداوىّ يؤمن بأن بالإمكان منع الروح الشريرة إذا وجدت فى وجهها جدارا يصدها.. فهى تفاجأ بالجدار أثناء اندفاعها السريع فتصدم به.. وتموت!!.

من أجل ذلك أيضا أقام الداويون الأشجار الكثيفة أمام مداخل بيوتهم، فإذا لم يكن لديهم القدرة على ذلك رسموا مناظر الغابات والأشجار على لوحات حتى إذا ما جاءت الأرواح الشريرة محاولة دخول البيت.. اندفعت داخل الغابات المقامة أو المرسومة.. فلا يسمع بها بعد ذلك أبدا.

آمن الداويون بأرواح الشر.. وعرفوها.. وحاولوا تجنبها.. ولكنهم فعلوا ذلك بعد موت الحكيم لاو تسى بمئات السنين.

الدارسون لتاريخ الداوية يقولون: إن لاو تسى نفسه لم يقل ذلك قط.. ولا كان يؤمن به.. فقد كان له آراء أخرى غير تلك التى آمن بها أتباعه بعد ذلك بسنوات.

بدت أفكار لاو تسى واضحة صريحة خلال ذلك النقاش الطويل الذى دار بينه وبين كونفوشيوس.. عندما التقيا معاً لأول مرة.. حدث هذا ذات يوم منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة.

بدأ النقاش، وكاد يتحول إلى خلاف حاد، وقلب الحكيم لاو تسى شفته فى شبه احتقار وهو ينظر إلى كونفوشيوس الشاب الجالس أمامه على حصير قاعة مكتبة المحفوظات فى مدينة لو- يانج، وراح يبدى تأففه من الكلمتين اللتين سمعهما من كونفوشيوس عن الإنسانية والعدالة.. وبعد أن أخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا توقف فجأة وقال لكونفوشيوس: «تتكلم عن الإنسانية والعدالة.. لتغير طبائع الناس.. فهل تستحم الحمامة طول يومها لكى تصبح بيضاء؟ هى لا تفعل ذلك.. لأنها بطبيعتها بيضاء، وهكذا شأن الناس.. إذا كانوا خيرين وعادلين فى أعماقهم فليسوا فى حاجة لأن تعلمهم العدالة..».

وسكت كونفوشيوس.. كان يتوقع الغرابة فى الحديث الذى سيدور بينه

وبين لاو- تسى.

كونفوشيوس أرسل مذكرة إلى لاو- تسى يقول له فيها: إنه يتمنى أن يلقاه وعندما مضى الرسول بالمذكرة جلس الشاب على حصير وبدأ يقرأ مخطوطة كتبت على الخيزران.. ولم ينتبه إلا عندما سمع وقع أقدام تقترب منه، ودخل شيخ أصلع طويل اللحية، وبسرعة نهض كونفوشيوس ليعرب عن احترامه وتقديره للحكيم الشيخ.

لم يتصور كونفوشيوس أن نقاشهما سيبدأ بهذا الشكل الحاد بسبب قراءته لكتاب «التغيرات» الذى كان يضعه بين يديه، فقد كان يعرف أن كل الحكماء القدامى درسوا هذا الكتاب وتعلموا منه العدالة.. ولهذا فوجئ كونفوشيوس وهو ينصت إلى سخرية لاو- تسى فسكت أول الأمر، ثم راح يواصل مناقشة الحكيم العجوز الذى كان له النصيب الأكبر فى الكلام وفى السؤال.

قال لاو- تسى يخاطب كونفوشيوس:

- لماذا تدرس كثيرا تلك الأشياء التى دُرست فى السنوات السابقة؟ وما هى الأهمية أو الفائدة التى تجنيها من وراء ذلك؟

أجاب كونفوشيوس إنه يعتقد أن الناس ولدوا أخيارا وأن التعليم والمعرفة يبقيانهم أخيارا.. ولكن قبل أن نحصل على المعرفة الجديدة يجب أولا أن نقف على المعرفة القديمة، وإن هذا هو السبب فى وجوب دراسة حكمة الآباء الأولين بعناية واهتمام.

أغضب الرد لاو- تسى وقال للفتى: الناس الذين تتحدث عنهم قد تحولوا لتراب، ولقد سمعت أن التاجر الموفق يحرص على إخفاء ثروته ويعمل عمل من لا يملك شيئا على الإطلاق.. فدعك من غرورك ومن برامجك الكبرى لتعليم العدالة للعالم، فكل ذلك لن يجدى، هذا هو ما أحببت أن أقوله لك.

وعندما انتهى لاو تسى من كلامه أدار ظهره لكونفوشيوس وغادر القاعة. وعاد كونفوشيوس بعد ذلك إلى تلاميذه فسألوه عن لقائه مع لاو- تسى وعن

رأيه فيه؟! وفكر الحكيم قليلاً ثم قال: إننى أعرف كيف يطير الطير، وكيف يسبح السمك وكيف تجرى الحيوانات.. ولكن الذى يجرى على الأرض قد يقع فى فخ والذى يسبح فى الماء قد يصيبه السهم.. وأكمل: رايت تتينا مهولا.. ولا أستطيع أن أقول كيف يركب الريح ويخترق به السحاب، ويعلو فى أجواز الفضاء.

لقد قابلت اليوم لاو - تسى.. ولا أستطيع أن أجد مثيلا له غير التنين. وفهم أتباع كونفوشيوس من الرد أن أستاذهم قد تأثر كثيرا بلاو- تسى الذى لم يفهم ما قاله كونفوشيوس، وكما لم يفهوا هم وقتها.. كيف يصعد استاذهم إلى السماء ولا كيف يعود لاو تسى من الموت.. إذا مات.

■■■

فى قرية كيوه- جنى بإقليم تشو، عاش رجل شديد الفقر اسمه لى- لى.

رغم شدة فقره لم يجد صعوبة فى أن يتزوج، وفى السنة الثانية من عهد الإمبراطور الحادى والعشرين من أسرة شو، أى منذ نحو ٢٥٥٠ سنة، رزق الفقير من زوجته ولدا سمياه «لى- بيه- يانج».

لا يعرف أحد عن حياة لى بيه يانج سوى القليل.. كل ما قاله التاريخ أنه أصبح فى شبابه أمينا لمحفوظات الإمبراطورية بمدينة لو- يانج، وأنه ظل يشغل هذا المركز أعواما عديدة.

أتاح ذلك العمل للفتى فرصة الدراسة والبحث، وعندما بدأ فيما بعد يعبر عن آرائه فى الفلسفة والدين.. نال إعجاب الكثيرين فأطلقوا عليه اسمه الذى عرف به وهو «لاو- تسى» ومعناها الفيلسوف العجوز.. لكن الشهرة لم تغير من حياة لاو- تسى. ومضت السنوات تتابع وهو لا يزال أمينا للمحفوظات، وكان من المحتمل أن يظل فى المكتبة حتى نهاية عمره الطويل، لولا أن حكام الولاية ازداد بهم السوء واستشرى فيهم الفساد واشتدت عليهم الأنانية، وبعد بهم السفه عن الشرف.. فمل الفيلسوف سفالة السياسيين وعمله فى المكتبة،

وشعر بأنه من المهين أن يعيش تحت حكم السفهاء.

لذلك قرر أن يترك المكان الذى قضى فيه معظم حياته.. على الرغم من أنه كان وقتئذ فى التسعين من عمره.

صمم لاو- تسى على مغادرة المكتبة الإمبراطورية والهجرة بعيدا عن المدينة ليعيش فى الريف بمعزل عن الناس.

وعندما بلغ حدود الإقليم عرفه حارس الحدود ولم يسمح له بالمرور، وسأله لاو- تسى: لماذا تمنعنى من المرور؟ وأجابه الحارس: أنت فيلسوف عظيم يا أستاذى وقد عمت شهرتك الآفاق دون أن تسجل تعاليمك.. فإذا أنت تركتنا الآن فلن يكون لدنيا أى سجل لهذه التعاليم.

سأله الحكيم: هل إذا سجلت تعليمى تدعنى أمر؟

أجاب الحارس: نعم يا أستاذى.

فجلس لاو- تسى ليكتب الأجزاء المهمة من تعاليمه، وسجلها فى كتاب صغير يضم نحو خمس وعشرين صفحة سماه «داو- تيه- كينج» ويمكن ترجمتها إلى «كتاب العقل والفضيلة».

عندما أعطى الحكيم هذا الكتاب الصغير لحارس الحدود، سمح له بالخروج من الإقليم، ومنذ ذلك الوقت لم يسمع به أحد بعد ذلك قط.

قال أتباعه: إنه صعد للسماء وأنه مثل كوكب الزُّهرة تصعد وتعود للأرض دون أن يعرف أحد كيف صعدت ولا كيف تنزل، وحتى الآن يعتقدون أن «لاو» يعود للأرض ويأخذ الصالحين قبل أن يموتوا ويصعد بهم إلى السماء.. وهو الذى يعيدهم للحياة بعد أن يموتوا!!

لكن هناك من يشك فى وجود هذا الحكيم من الأساس.. إلا أن الدليل الوحيد على وجوده.. الكتاب الصغير الذى كتبه فى سن التسعين قبل اختفائه.

ما الذى كان يعلمه هذا الحكيم القديم حتى يبقى كتابه الصغير كل هذه

القرون؟.. وحتى يكون ذلك الكتاب هو أهم النصوص الخاصة بالعقيدة الداوية التى كان لها من بعده أنصار كثيرون والتى صارت فيما بعد دينا يعتنقه أعداد كبيرة من الصينيين حتى وقتنا الحالى؟

الكتاب فيه بعض الأفكار السهلة، بينما معظمها صعب من المستحيل فهم أى شىء منه.

يقول لاو- تسى: «إن «داو» هو البداية العظمى لجميع الأشياء فى العالم، وأن الناس الذى يريدون أن يحيوا حياة صالحة يجب أن يتبعوا «داو» وأن هؤلاء الصالحين لن يموتوا، أو يموتوا ويعودوا من جديد!! هكذا قال.

المعنى الصحيح لكلمة «داو» هو «طريقة التفكير».. وهناك من يؤكد أنها تعنى الامتناع عن التفكير فالداويون يرون أن التفكير أمر عادى سطحى لا خير فيه.. يضر الحياة أكثر مما ينفعها.

ويقولون ان اسرار الكون يمكن الوصول إليها بترك العقل، واللجوء إلى حياة العزلة والتقشف والتأمل الهادئ فى الطبيعة، وليس العلم فى رأى صاحب كتاب الداويين فضيلة، بل إن السفلة قد زاد عددهم من يوم أن انتشر العلم.

ليس العلم هو الحكمة، ذلك أنه لا شىء أبعد عن الرجل الحكيم من صاحب العقل.. وشر أنواع الحكومات التى يمكن تصورها حكومة الفلاسفة، إذ أنهم يقحمون النظريات فى كل نظام طبيعى.

على أن لاو- تسى نفسه قال: إننا لن نستطيع أن نعرف شيئا عن «الداو» وقد كتب يقول فى كتابه «إن الذين يعرفون لن يقولوا.. والذى يقولون لا يعرفون. والذين يعرفون يقفلون أفواههم».

وفى كتاب لاو- تسى أيضا آراء أخرى ضد الحرب.. يقول: «إن الهدف العظيم للرجل الصالح هو المحافظة على السلام، وهو لا يجد لذة فى كسب المعارك وفى قتل رفاقه من البشرية».

لاو- تسى ليس ضد قتل الناس فى الحرب فحسب، بل هو أيضا ضد قتل المجرمين عقابا لهم على جرائمهم، وقد قال: إن الناس بقتلهم المجرمين لن يكونوا أحسن حالا ولن يقضوا على الجريمة.. والطريقة الوحيدة لجعل الناس خيرين صالحين هى معاملتهم بالرفق كل وقت.

ثم يقول: «إذا لم تقاتل الناس فإن أحدا على ظهر الأرض لن يستطيع أن يقاتلك: قابل الإساءة بالإحسان، فأنا طيب مع أولئك الذين ليسوا طيبين معى، لذلك لابد أن يصبح الجميع طيبين» وقال: «أنا مخلص، ومخلص أيضا لأولئك الذين لا يخلصون، لهذا سيصبح الجميع مخلصين».

وقال: «ألين الأشياء فى العالم تصدم أصلبها وتتغلب عليها.. فليس فى العالم شىء لين وضعيف مثل الماء.. ولكن لا شىء أقوى من الماء فى مغالبة الأشياء الصلبة القوية».

والرجل الصالح حقا يحب جميع الناس ولا يكره أحداً قط.

لاو تسى كان يميل إلى السكون والهدوء والاستسلام.. وهى أسس العقيدة الداوية فى إيمانها بالطبيعة، والدعوة للعودة إليها، لتكون مرشدا هاديا للناس.

يتضح إيمان الداوية فيما يقوله لاو- تسى: «كثرة النواهى والمحرمات فى المملكة تزيد من الفقر، وكلما كثرت الشرائع والقوانين كثر عدد اللصوص وقطاع الطرق.. ولهذا أقول إننى لن أفعل شيئا، فيتبدل الناس من تلقاء أنفسهم، وسأولع بأن أَبْقَى ساكنا فينصلح الناس من تلقاء أنفسهم، ولن أشغل بالى بأمور الناس فيثرى الناس من تلقاء أنفسهم، ولن أظهر شيئا من المطامع فيصل الناس من تلقاء أنفسهم إلى ما كانوا عليه من سذاجة بدائية، وسأنظم الدولة الصغيرة قليلة السكان، بحيث إذا وجد فيها أفراد للواحد منهم من الكفايات ما لعشرة رجال أو مائة رجل لن يكون لهؤلاء الأفراد عمل. وسأجعل الناس فيها، إن نظروا إلى الموت على شىء محزن مؤسف له لا يخرجون منها. ومع أن لهم سفنا وعربات فإنهم لا يرون ما يدعو إلى ركوبها، ومع أن لهم ثيابا منتفخة واسعة

وأسلحة حادة فإنهم لا يجدون ما يدعو إلى لبس الأولى أو استخدام الثانية، وسأجعل الناس يعودون إلى استخدام الحبال المعقودة، وعندئذ سيرون أن طعامهم الخشن وملابسهم البسيطة جميلة، ومساكنهم الحقيرة أمكنة للراحة، وأساليبهم العادية المألوفة مصادر للذة والمتعة».

ترى الداوية أن الطبيعة هى النشاط التلقائى، وانسياب الحياة العادية المألوفة، وهى النظام العظيم الذى تتبعه الفصول وتتبعه السماء.. وهى نفسها «الداو» أو الطريقة المثلة المجسمة فى كل مجرى وكل صخرة وكل نجم، وهى قانون الأشياء العادل.

فى أفكار لاو تسى أن الطبيعة جعلت حياة الناس الأيام السابقة بسيطة آمنة. فكان العالم كله هنيئا سعيدا، ثم حصل الناس على المعرفة فعقدوا الحياة بالمخترعات، وخسروا كل طهارتهم الذهنية والخُلُقِية، وانتقلوا من الحقول إلى المدن، وشرعوا يؤلفون الكتب، فنشأ من ذلك كل ما أصاب الناس من شقاء، وجرت من أجل ذلك دموع الحكماء. فالعاقل إذن هو من يبتعد عن هذا التعقيد وهذا التيه، ويختفى بين أحضان الطبيعة بعيدا عن المدن والكتب والموظفين والمرتشين والمصلحين والمخترعين.

سر الحكمة كلها الطاعة العمياء لقوانين الطبيعة، ونبذ الخداع وأفانين العقل، وقبول جميع أوامر الطبيعة الصادرة من الغرائز، فتظل روحه متحررة صالحة لأن تحيا للأبد بلا مرض ولا فقر.. وبلا أى شىء.

على أنه إذا كانت بعض تعاليم لاو- تسى واضحة بهذا الشكل.. فإن جزءا كبيرا مما جاء فى كتابه الصغير ظل غير مفهوم.. نادرا ما نعرف ما يعنيه وماذا كان يريد أن نفهمه.

بعد بضع عشرات من السنين نسى الناس كل ما كتبه لاو- تسى، وبدأوا يفسرون تعاليمه تفسيرات جديدة وقالوا: إن من يستطيع أن يفهم كتاب «داو- تيه- كينج» ويصدقه ويؤمن به.. لن يجد صعوبة فى تحويل الحديد الزهر إلى

ذهب وفضة.. وبذلك يصبح الداوى الحقيقى أغنى أغنياء الوجود.

بعد موت لاو- تسى بسنوات تحولت الداوية من عقيدة فلسفية لم يكن يعرف الناس عنها إلا القليل.. إلى عقيدة تؤمن بمعبودات لم يذكرها صاحب العقيدة نفسه فى حياته.. وراح أتباعه يعبدون كل أنواع التنين والفئران.. وبنات آوى.. والثعابين.

ولم يكتف الداويون بهذا إنما اعتقدوا فى أشياء أخرى غريبة.. فآمنوا بأن هناك رمادا معينا ونوعا آخر من الحجارة والكتابة لها قوة أكثر من السحر.. إذا حملها المرء فإن الرصاص لا ينفذ فيه ولا يستطيع أن يقضى على حياته.. بل إن حامله لا يمكن أن يغرق فى الماء قط.. كما لا تستطيع النار أن تحرقه!!

وبمضى الزمن زاد اعتقادهم فى الشياطين والمردة والجن ومصاصى الدماء والغيلان وكل أرواح الشر.

واعتقد الداويون أن أسوأ الأرواح الشريرة موجودة فى الجبال.. وأن لجميع الجبال أرواحها وكلما زاد حجم الجبل زادت قوة روح الشر فيه.

وبدأ الداويون يحكون آلاف القصص عن الشياطين فى الجبال وبدأوا يقصون كيف يتمكن بعض المؤمنين من قتل مردة الشياطين فى هذه الجبال.

من بين هذه القصص التى تناقلوها قصة سفح جبل «لى- لو» حيث كان المسافرون يقفون لدى مرورهم عند فندق صغير يستريحون فيه.. ولكن أحدا لم يجرؤ قط على دخول الفندق، فقد كان الناس يتحدثون عن الروح الشريرة التى تهبط من الجبل ومعها خمسون شيطانا فى زى رجال ونساء يقتلون كل من قضى فى الفندق ليلته.

ذات يوم نزل بالفندق ساحر اسمه «بيه- هى» أقسم أن يبيت فيه ليلته، على الرغم من كل ما عرفه عن روح الجبل.. وشياطينه.

كان «بيه- هى» قد وصل بعد ظهر ذلك اليوم واستراح، وعندما أظلم الليل أشعل شمعة وأخذ يقرأ بعض القراءات التى تبعد كل أرواح الشر عنه.

وظل «بيه- هى» يقرأ على ضوء الشمعة، ومرت ساعة تبعتها أخرى وأخذت الشمعة تذوب شيئا فشيئا ويتناقص حجمها ويقل منها الضوء، ولم يكَد الليل ينتصف حتى انفتح الباب فجأة واندفع عشرة رجال طوال القامة يرتدون ملابس قاتمة السواد.. وجلسوا جميعا على مقربة من «بيه- هى» ودون أن يقولوا كلمة واحدة راحوا يلعبون القمار.

وتظاهر الساحر بأنه لا يراهم.. ولكنه أخرج من جيبه مرآة سحرية صغيرة وأطل فيها، وعندما شهد ما عكسته صفحة المرآة اصطكت أسنانه بشدة، فقد كشفت له المرآة عن عشرة كلاب رهيبة تجلس على مقربة من بعضها البعض.. يثير مرآها الخوف والرعب. على أن الساحر سرعان ما استعاد هدوءه ونظر أمامه من وراء المرآة فاذا العشرة رجال لا يزالون فى جلستهم يلعبون القمار.. وإن بدوا أمامه فى المرآة السحرية التى تكشف الحقيقة كلابا رهيبة.

عرف الساحر من هم هؤلاء المقامرون.. ومن أجل أن يزداد تأكدا التقط شمعة وأخذ يروح ويجىء فى الغرفة متظاهرا بالقراءة وراح وهو يسير يقترب قليلا قليلا من الجالسين القرفصاء.. وعندما أصبح قريبا جدا .. دفع شمعته فجأة نحو واحد منهم.. وفى لحظة ارتفعت صيحة ذعر رهيبة وانتشرت رائحة شعر يحترق.

ولم يكد يحدث ذلك.. حتى أخرج الساحر على الفور سكينا وألقاها على المقامر.. وقفز بقية المقامرين وهم يهرولون مسرعين، بيما تركوا صاحبهم الذى طعنه «بيه- هى» بسكين ملقيا على الأرض لا يتحرك.. وعندما انحنى الساحر ليرى ما إذا كان قتل المقامر حقا، رأى أمامه كلبا مهولا ميتا!

واكتشف الساحر أنها روح شريرة لكلب كان ميتا من قبل!! فقرأ طلاسم «داوية» كى تمنعه من العودة للحياة من جديد.. وهى مقلوب الطلاسم التى يحفظها الداويون لمغالبة الموت والهروب منه!!

■ ■ ■

١٤- نحن الذين صنعنا الزمن وسرنا عليه!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)﴾

صدق الله العظيم (سورة المعارج ٣ - ١٠)

فى ولاية داكوتا الأمريكية تعكف مجموعة من الباحثين التابعين لفريق دكتور «وليم برودفورد» على حل المشكلة المعقدة التى تساهم فى حل لغز «الخروج من الجسد» سواء مات الإنسان أو كان حيا، متبنين فكرة تقول أن روح الإنسان فى حالة هيام دائم سواء كان حيا أو ميتا.

وصل هؤلاء الباحثون إلى نتيجة تشير «بالتقريب» إلى علاقة وطيدة بين «الروح» وبين «زمنية» الجسم البشرى، وأن «الروح» لها زمن، والجسم البشرى له زمن آخر. يقصدون بالجسم البشرى المخ، فمخ الإنسان يحمل ما يسميه هؤلاء العلماء بـ«الزمنية الإنسانية».

ماذا الروح فلها زمن آخر.. هو الزمن «البرزخى» أو ANATOSAIBILE وهى كلمة لاتينية معناها «الزمن المتناهى.. المتجدد».

ماذا يعنى «الزمن المتناهى المتجدد»؟!

يعنى أن هناك فرقا بين زمان وضعى.. وضعه الإنسان اعتمادا على دوران الشمس وبعدها عن الأرض. ثم دوران الأرض حول محورها، ودورتها حول

الشمس فى المجموعة الشمسية، وبين زمن اخر لا علاقة له لا بالشمس ولا بالقمر ولا بالأرض.

الزمن الوضعى ليس زمنا فى حد ذاته. أى أنه ليس مادة، إنما افتراض.

فكرة وضعها الإنسان فى عقله وجرى وراءها ثم وضع لها قوانين واستمر عليها فقط ليضبط حياته، بمعنى أن أى شخص يمكن أن يستقل بوقته الخاص، فيضبط ساعته الشخصية على الرابعة، بينما الساعة الحقيقية أو ساعات الآخرين الخامسة. ويمكن للناس كلهم فى مكان واحد أن يغيروا ساعاتهم، فى حين أن الوقت عند بلد آخر يخالف الوقت لدى هؤلاء، على الرغم من وحدة خطوط الطول.

المعنى أن الزمن ملك للإنسان، والزمن فى حد ذاته ليس موجودا.

التجربة التى قام بها عالم روسى اسمه «لاوفونوف» عام ٢٠٠٢ تثبت مسألة الزمن، والنتائج التى وصل لها «لاوفونوف» أحرجت الأكاديمية الروسية. فقد دعا «لاوفونوف» مجموعة من الصحفيين الدوليين والمراسلين الأجانب.. للوقوف على بعد ١٢٠ كم من منطقة «تونجوسكا». وقال إنهم يقتربون الآن من المنطقة التى سقطت فيها مركبة فضائية عام ١٩٠٨، وعندما حاول الفضائيون الصعود بمركبتهم مرة أخرى للفضاء، انفجرت المركبة وقال «لاوفونوف» إن وقود المركبة المستخدم بقيت آثاره فى منطقة الانفجار.. وظهر فى تحليل الأحجار على الأرض، وأن معامل التحليل وجدت آثارا لمواد نباتية مخلوطة بمواد كيميائية فائقة الاشتعال، تستخدم كوقود بطريقة تشبه إلى حد كبير الوقود الذرى الذى تستخدمه الغواصات الحربية الروسية.

والمفاجأة أن طلب «لاوفونوف» من الصحفيين أن ينظروا لساعاتهم وهم واقفون على بعد ١٢ كيلومترا من منطقة الهوة التى أحدثتها المركبة الفضائية المزعومة.

ورغم أن الصحفيين- على حد ما قاله مندوب وكالة إنترفاكس - وقفوا ما

يزيد على ساعة بالتقريب فى المكان، إلا أن عقارب الساعة لم تشر إلا إلى ربع ساعة فقط، مما يعنى أن ميكانيكية الزمن تنخفض بنسبة ٧٥٪ فى مكان الانفجار!!

تحليل «لاوفونوف» لظاهرة تباطؤ الزمن، هو التأثير المغناطيسى لمواد ومخلفات المركبة الفضائية، إضافة لحجم الانفجار غير الأرضى الذى حدث، والذى بدوره أحدث خللا ما بأنظمة الميكانيكا فى ساعات المراسلين الأجانب وفى بعض موتورات السيارات.

قال «لاوفونوف» إن حركة ديناميكية تسير وفق نظام مغناطيسى أرضى، ولو حدث وتغير وزن هذا النظام المغناطيسى فإن الحركة تختل هى الأخرى وتظهر نتائج ليست معروفة ولا متوقعة.

والسبب هو اختلال فى مادة «الأيونسفير» التى تحيط بالغلاف الجوى الأرضى، والتى لا يمكن أن تتأثر إلا بمركب فضائى يخترقها، وتكون له مواصفات تكنولوجية عالمية.

ولما كانت رحلة «لاوفونوف» قد سببت كثيرا من الحرج للأكاديمية الروسية، فقد سمحوا له بالظهور على شاشة التليفزيون بصحبة أحد متخصصى الأكاديمية الذى قال أمام الصحفيين: «إن ما ذكره لاوفونوف يعتبر صحيحا من الناحية النظرية، لكن الموضوع لم ينته بحثه حتى الآن».

وحول التأثير المغناطيسى على ساعات المراسلين قال المتخصص: «اكتشفنا هذا التأثير عام ١٩٥٩، عندما قرر العلماء بحث بعض الظواهر المغناطيسية فى المنطقة.

وقد ظهر أن هذا التأثير لا يحدث إلا عند انفجار يحدث بواسطة تكنولوجيا مرتفعة جدا، ومواد مصنعة بدرجة لم نعهدها على هذا الكوكب».

تأثير مادة المركبة المحطمة فى سيبيريا الممتد حتى ٢٥ كيلومترا من موقع حطامها بخصائصه المغناطيسية، هو الذى ترك الأثر على ساعات المراسلين

أثناء زيارتهم للموقع.

يعتقد «لاوفونوف» وفريق بحثه أن المركبة الفضائية التى تحطمت كانت تحاول الصعود للفضاء بعد مكوثها على الأرض فترة، وأنها حلقت بنجاح فوق أجزاء من غرب أوروبا، ثم حدثت مشاكل فنية من نوع ما، جعلت المركبة تعود لتحاول الهبوط فى مكان إقلاعها بسيبيريا، وأن هذه المركبة كانت توجه من خارج الفضاء، إذ أن مواد صنعها ومعادنها لا تجعل ميكانيكيتها تعمل فى ظل نظام جاذبية الأرض ونظامه المغناطيسى.. لكن المركبة انفجرت لسبب.. مازال مجهولا حتى الآن.

لم يفتح إعلان وكالة الأنباء أو تصريحات العلماء الروس ملف الكائنات والمراكب الفضائية، لأن الملف مفتوح منذ عشرين عاما، إنما الجديد هو التصريحات «الرسمية» لعلماء رسميين. والتى تعتبر أول تصريحات على أعلى المستويات، وللمرة الأولى بخصوص «أهل الفضاء».

ليس هذا فقط، إنما أشارت بعض الصحف الروسية «الرسمية» أيضا إلى أكثر من سبع وعشرين محاولة قامت بها المخابرات الأمريكية سراً داخل الأراضى الروسية محاولة الحصول على بعض الأحجار التى عثر عليها فى الموقع، فيما كانت أمريكا نفسها تقول حتى وقت قريب إنها تشك فيما يسمى بالأطباق الفضائية و«قصص هبوط أهل الفضاء» و«الفضائيين» وكل ما يتعلق بالموضوع.

أما «يورى إيدراواف» المتخصص الروسى فى برنامج «بحوث الفضاء» الذى أعلنت وكالة الأنباء الروسية كلامه، قال: «لابد أن الأعوام القادمة سوف تشهد كثيرا من العمليات السرية والدموية، ومزيدا من إنفاق الأموال بسخاء لأن دولا كثيرة كبرى سوف تحاول لملمة خيوط الاكتشاف الروسى، وأن دولا كبرى سوف تحاول الوصول لنتائج بحثية سريعة مستخدمة كل الوسائل».

«إيدراواف» يقصد الولايات المتحدة التى سوف تعمل على فك طلاسم «المركبة الفضائية» على الأراضى الروسية.. وتفعيل عمليات التجسس للحصول

على مزيد من المعلومات.. بأية طريقة.

قال «إيدراواف» أيضاً: «لم تعد قصص الفضاء أساطير يتناقلها الناس على العشاء، إنما تحولت إلى ملفات يدرسها العلماء بعد الإفطار فى معاملهم».

صاحب الاكتشاف الأخير فى صحراء سيبيريا الروسية العالم «يورى لاوفونوف» مدير متحف «تونجوسكا للأجسام الفضائية» فى سيبيريا وهو الذى أعلن على التليفزيون الروسى منذ سنوات قليلة قصة «حطام سيبيريا» والأحجار التى حللها فريق بحثه فى المكان، ورغم أن هذا كان أول إعلان يصوره ويبثه التليفزيون الروسى الرسمى على قناته الرئيسية فى التاريخ، إلا أن «يورى لاوفونوف» سبق وطرح أكثر من نظرية مهمة خلال العشرين عاما الماضية لم يلتفت إليها أحد، أو بالأصح لم يظهر على السطح أن هناك من يلتفت إليها.. فيما كانت الأمور تسير فى الظل على غير الظاهر. إذ تعرض يورى لاوفونوف لمحاولة اختطاف يقال إن جهاز الخدمة السرية الأمريكية قد دبرها له وهو فى ألمانيا بدعوى من جامعة شتوتجارت عام ٩٦.

ونجحت عناصر الخدمة السرية الأمريكية فى خطف «لاوفونوف» بالفعل، ونقلته لغرفة أخرى غير غرفته فى الفندق، لكن السلطات الروسية احتجت خلال أقل من ثلاث ساعات من اختفاء «لاوفونوف» لدى واشنطن، التى أكدت أنها لم تنفذ أية عملية اختطاف وأن العالم الروسى «ربما ضل الطريق لغرفته فى الفندق».

وبعد ساعة كانت إدارة الفندق الألمانى تعلن أن العالم الروسى «يورى لاوفونوف» وجد نائما فى غرفة أخرى، وقال العالم نفسه لوسائل الإعلام إنه لم يكن يظن أن المشروبات الكحولية الألمانية يمكن أن تفعل به ما فعلت.. وقال إن الروس تعودوا على البطاطا المخمرة «الفودكا» بينما أى أنواع أخرى من الخمر تجعلهم ينامون فى غرفة غير غرفهم فى الفنادق «!!».

■■■

عام ١٩٩٨ عادت آراء «لاوفونوف» من جديد على الساحة العلمية وبقوة، إذ أنه تقريبا الوحيد بين فصائل العلماء الروس الذى طالب بميزانية كبيرة من الحكومة الروسية لبحث ظاهرة «الكائنات الفضائية« وتحليل آثارها.

اما الحجر الذى عثر عليه «لاوفونوف» ويزن خمسين طنا، فقد أرسل للتحليل فى مركز «كلاسوكوف».. وأفادت النتيجة بأنه حجر «ليس أرضيا» وأن هناك آثارا لنباتات «ليست أرضية» أيضا حوله. احترقت مع احتراق الحجر فى انفجار كبير.

ورغم أن الحكومة الروسية أغلقت ملف «قضية الفضائيين» عام ١٩٧٢ ومنعت الأبحاث الأكاديمية فى هذا الخصوص. الا ان «لاوفونوف» ظل مع فريق بحث صغير يقلب فى الملف ويبحث الظواهر ويحاول أن يقدم براهين على هبوط كائنات فضائية فى مركبة فضائية من حضارة سماوية على الأرض.

يحاول أن يبرهن بما لديه من أدلة وأحجار وأكثر من قضيب معدنى عثر عليه فى أكثر من موقع على الأراضى الروسية.

فى المقابل يميل أغلب الباحثين الروس إلى أن ما كان يجرى «لاوفونوف» خلفه ليس إلا «سرابا» فلا هى حضارة فضائية ولا يحزنون، وأن كل ما يجمعه فريق بحث «لاوفونوف» من صحراء «سيبيريا» بقايا نيزك ضخم، احترق فور دخول المجال الأرضى ثم سقط واستقر قرب نهر «تونجوسكا» عام ١٩٠٨.

وظل «لاوفونوف» من المنبوذين رغم أنه باع كل ما يملك، ويقال إن جمعيات كثيرة وأصحاب رؤوس أموال أكثر قد دفعوا له كثيرا من الأموال دعما لمشروعه، وقد تخلوا عنه كلهم عام ٩٩ بعد نتائج تحليلات حجر نهر «تونجوسكا».

إذن الزمن ليس موجوداً بالفعل، لكن مع ذلك نحن نصنعه ونقدسه ونجعله يتحكم فينا ولولا الزمن لم يكن هناك لا عمل ولا ساعات نوم ولا ساعات للأكل ولا ساعات لأى شىء، لكن مع هذا كنا سنأكل وننام والشمس تغرب وتشرق، ويكون للجسم ساعات لكنها ليست محددة.. وسوف يكون الإنسان

وقتها قادرا على تحريك زمنه، وربما أزمان الآخرين.

افرض مثلا أن حكومات العالم كلها اتفقت على أن يكون الزمن فى الثانية عشر ظهرا غدا هو تمام الساعة الواحدة ظهرا، هنا يكون الإنسان تخلص من زمنه، وأضاف زمنا جديدا، بمزاجه ووفق هواه.

هذا هو الزمن الذى قال عنه علماء «داكوتا» إنه الزمن الافتراضى للعقل الإنسانى أو هو العلاقة المنطقية الخاضعة لقانون التبادل بين الثوانى والدقائق ثم الساعات.. وهى أيضا الخبرة التقريبية للتوازن بين ساعات الليل وساعات النهار.

أما الزمن الآخر الذى يعتقد فيه العلماء «داكوتا» أو فريق باحثين دكتور «درودفورد». فهو الذى يطلقون عليه «زمن الروح».. وهو الوصول إلى «خبرة الإنسان» عند خروج الروح من جسده، أو على حسب اعتقادهم موته ورجوعه للحياة من جديد!!

الوصول لأى سر من أسرار الروح الإنسانية يبدأ بمعرفة الزمن الروحى وإمكانية تواصل الأرواح أو الوصول إلى طريقة تعتبر مدخلا «لأسرار الروح الإنسانية» كما يزعمون.

شطحاتهم تتحكم فيهم، وتتحكم فى معامل أبحاث رهيبة الإمكانيات ورهيبة التكاليف.

أبحاث مركز «داكوتا» كانت تسير فى اتجاهين.. اتجاه النوم.. وأحلامه واتجاه أحلام اليقظة.

الحقيقة العلمية المؤكدة أن كلا منا يرى فى حياته ما يشعر بأنه رآه من قبل، ويسمع أحيانا كلاماً سمعه من قبل.. نفس المنظر ونفس الكلام ونفس الأشخاص.. الأمر الذى يصل ببعضهم إلى التأكد من أن الآخرين سوف يدخلون الغرفة عليهم الآن.. ويحدث ما توقعوا.. ويحدث أن بعضهم وهو يمشى فى الشارع يقف فجأة لأنه متأكد أنه شاهد نفس المنظر وشعر بنفس الإحساس من قبل.. وفعلا.. لقد شاهد نفس الأحداث من قبل.

هذا هو ما يسميه كثير من الناس الشفافية العالية.. وبعضهم يسمونه «انكشاف الحجاب». فالحجاب بين شخص وبين المستقبل ينكشف، وأن لهذا الحجاب درجات.

لكن علماء «داكوتا» يؤكدون شيئين: أولاً أن الأجساد الإنسانية كما أن لها نفس العناصر البيولوجية والكيميائية، لذلك يستطيع الطب ان يحدد أمراض البشر فان الصفات الإنسانية كذلك.. الأنانى فى الهند مثل الأنانى فى المغرب، والبخيل هنا مثل البخيل هناك.

والأرواح لها أمراض، ولها سمات، ولها نسيج واحد تتعلق به، تماما كالنسيج الإنسانى للجسم.. وهنا يأتى أول الأفكار حول «الزمن الروحى» و«زمن الدماغ».

علماء «داكوتا» قالوا إن الأرواح كلها هائمة لا حصر ولا عدد، تماما كالأجسام البشرية، يمكن أن تتكاثر وتولد بلا ضابط ولا رابط.

والأرواح الهائمة نوعان: نوع يدخل الأجسام، ونوع آخر له نفس مادة الروح التى سبق لها أن دخلت جسم الإنسان، لكن تلك الأرواح لها سمات مختلفة، فالروح التى لم يسبق أن دخلت جسم إنسان مازالت تحيا على الميقات الروحى، بينما الروح الأخرى التى كانت إنسانية يختلط فيها الزمن الإنسانى بالزمن الروحى.

وترجع أبحاث «داكوتا» إلى فلسفة، مازال يعتقد فيها أهالى الجنوب الأمريكى، وشمال المكسيك، وبعض مناطق أمريكا اللاتينية، وهم ممن يسمون «الديبرشك». هؤلاء يستعينون بالقطط ويحملونها معهم سواء فى البيت أو فى الطريق العام، لأنهم يعتقدون أن القطط هى أكثر المخلوقات التى لها القدرة على الموازنة بين «توقيت الروح» و«توقيت الزمن العادى».

لذلك فالقطط عند مختلف الحضارات «بسبعة أرواح» وأنها قطط «صباحا» وأرواح فى المساء.

ابتكرت هذه النظرية الشعوب القديمة من الهنود الحمر التى سكنت

جنوب قارة أمريكا الشمالية وتوارث «الديبرشك» النظرية نفسها.

السؤال: هل اختلاط «الزمن الروحى» بـ«الزمن الإنسانى» ممكن؟! وهل لهذا الاختلاط إحداثيات معينة؟

ثم هل هناك نقطة تماس يمكن تتبعها لنعرف بها الزمن الروحى؟

هذا ما يبحث عنه المتخصصون.

«اليانور سفرك» الفنلندى سافر سنة ٦٧ لجنوب المكسيك، حيث مقار كثيرة لجماعة «الديبرشك» ووصل لنتائج مؤكدة، وطريفة على مستوى المعلومات العامة.

قال «اليانور» نقلا عن «الديبرشك» إن الروح الإنسانية مرنة للغاية وعندما يموت الإنسان، تموت فقط زمنية الحواس، والوعى. وقال ان الإنسان وهو على قيد الحياة لا يعى وعيه نفسه، وعندما يموت يعى أنه مات، لكنه لا يعى وعيه الذى يعى به.. أنه مات.

الفكرة ليست معقدة، إنما نظرية مؤكدة، فلو سألت شخصا.. ماذا يعى الآن؟ يقول لك: إنه يراك ويرى الأشجار ويعى أنه يرى كل هذا، لكن لو سألته هل تعى وعيك نفسه؟! سيقف صامتا.. وتعتبر وقفته الصامتة عن الكلام هى طريقة تعبيره عن أنه لا يستطيع أن يعى وعيه الحى.

الجسم الإنسانى عند موته له نفس رد الفعل، فالروح تصمت.. وصمتها هو طريق التعبير الوحيد عن عدم وعيها لوعيها الميت.

وعندما يشاهد الإنسان مشهدا ما فى حياته وهو متأكد أنه رأى هذا المنظر من قبل، مع أنه متأكد أيضا أنه لم يمر بهذه الظروف مطلقا.. فالتفسير الوحيد أن روحه اخترقت الزمان الإنسانى، وسافرت للمستقبل، ولما أكملت جولتها عادت لجسمه من جديد بزمانه وتجربته المادية التى لا تستطيع أن تلاحق الروح فى تحليقها. إضافة إلى أن الطبيعة الإنسانية المرتبطة بزمان

ما، لا يمكنها استيعاب زمان الروح غير المحدد، أو غير المعروف حتى الآن.

أما متى تغيب الروح وتخرج من الجسد؟!

«الديرشك» أكدوا أن الروح غالبا ما تغيب عن الإنسان عند النوم، أو في غيابه عن الوعى فيما يسمى بـ«أحلام اليقظة» أو غياب اليقظة. وقد اعتبر «الديبرشك» هذه النتيجة أول القبض على زمام تفسير الزمان الروحى.

«اليانور سفرك» حكى تفاصيل مهمة عن نتائج تنقيبه فى معتقدات «الديبرشك»، فهو ترجم كلامهم البدائى بكلام أكثر منطقية وأكثر اعتمادا على العلم، ولما عاد من رحلته عام ٦٨، حاول الاتصال بأحد أستاذة علوم «الفيزياء النووية» أو الأساتذة المتخصصين فى طب المخ والأعصاب لكنه فشل فى أن يقنع أياً من هؤلاء ببحث ما يدور فى رأسه من أسئلة، لذلك لجأ بنفسه لإكمال أبحاثه، وعندما فحص دراسات البروفيسور «راك» حول رسم كهرباء المخ للمرضى المجانين «بمستشفى دورك» شمال ويلز بإنجلترا.. وجد شيئا غريبا.

حسب ما كتبه «سفرك» فى أحد أعداد مجلة «الأصدقاء».. (مجلة مهتمة بالأبحاث الروحانية والتجارب الغريبة) فإن البروفيسور «راك» اكتشف نشاطا غير عادى فى الجزء الأمامى من المخ، فى الجزء المسئول عن الوعى والإدراك، إضافة إلى نشاط غير عادى أيضا فى الجزء الخلفى من مخ المرضى، وهو المكان المسئول عن الذاكرة.

والذاكرة سائل- كما عرفه البروفيسور راك- يدور حول الغلاف المبطن للمخ، عندما تصله الأوامر يحدث استدعاء الخبرات للجزء الأمامى وتحدث عملية التذكر.

على الرغم من أن أبحاث دكتور «راك» أكدت شبه توقف كامل فى جميع وظائف الجسم الفسيولوجية، فإن المخ هو الوحيد الذى يعمل بنشاط مًّا خلال النوم.

وأن الحلم الذى يراه الإنسان على الرغم من نومه- يستطيع تذكره بعد استيقاظه، هو دليل على أن أجزاء المخ بالفعل تعمل، ما يعنى أن المخ هو العضو الوحيد الذى يخضع للزمن الإنسانى والزمن الروحى.

الأكثر إثارة أن «سفرك» اكتشف أن البروفيسور «راك» قال فى أحد أبحاثه: إن «حالة الوعى الزائد» أو «الانتقال الروحى» تحدث للإنسان كما تحدث لدى القطط. ووصل «سفرك» إلى أن نظريات «الديبرشك» يشير إليها العلم الحديث، أو الذى كان حديثا فى زمنه، مؤكدا أن هناك سراً ما فى انتقال الأرواح وخروجها وعودتها لاجسام القطط.. لكن «سفرك» مات دون أن يعرف أكثر من هذا.

■ ■ ■

١٥- عادت أكثر من ألفى عام للوراء وماتت بعد ذلك بسنوات!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)﴾ صدق الله العظيم (سورة الرحمن ٢٦ - ٢٨)

الغريب هو ما كتبته أرسولا روبرتس بعد زيارتها لمصر عام ١٩٦٦.

قالت إنها اتصلت بروح «تيك- سيك» رفيق النبى موسى عليه السلام- وفى الاتصال، حكى لها «تيك- سيك» ما دار فى رحلة خروج اليهود من مصر.. وتطابق ما قالته «أرسولا» مع سفر الخروج فى التوراة باختلاف تفاصيل صغيرة، على الرغم من أن أرسولا هذه ليست من دارسى التوراة ولا القرآن.. ثم إنها ليست ممن يؤمن أصلاً بإله. فلا رب عند «أرسولا» ولا رسل ولا أنبياء، هى دهرية كل ما تؤمن به أرسولا فى حياتها أن هناك شعرة رفيعة بين الحى والميت، تلك الشعرة تفصح فى معناها عن قوة الروح وتعطى تفسيرات عديدة لأشياء مختلفة.

أما كون الروح نفسها «مخلوقاً» أو من خلقها؟ فهو ما لا تهتم به.

فى زيارة «أرسولا» لمصر، اتصلت بـ«تيك» اتصال استمر أيام، حكى تيك عن تفاصيل مختلفة، قال مثلا إن موسى عندما ألقى عصاه أمام فرعون، تحولت فعلا إلى حية حقيقية، تخرج وتدخل وتتحرك. وعرفت «أرسولا» من «تيك- سيك» «وهو اسم الشخص الذى اتصلت به» أن موسى النبى قد طلب من بنى إسرائيل إقامة سد من الماء ليلا، قبل أن يضرب البحر بعصاه فينقسم قسمين.

عرفت أيضا- كما قالت- إن الشخص الذى تحكى عنه كان مؤمناً بالقوة الخفية والطاقة الكامنة فى النفس.

تقول «أرسولا»: إن روح «تيك» كما بدى لها نبيلة الخلق، فـ«تيك- سيك» على حد رواية «أرسولا» كان محبا للمساكين، عطوفا على المظلومين والمسخرين بالقوة، عمل لفترة فى وظيفة كاتب للفرعون المصرى، أما عن سبب هيام روحه للآن، فهو الإيمان بالطاقة الكامنة التى تعنى بصورة من الصور، ارتباط حياة الإنسان قبل وبعد موته بعنصر واحد مشترك مع الآخرين.

الروح هى العنصر الذى يمكنه الانتقال بحرية فى كلا الاتجاهين.. حياته قبل الموت، وحياته بعد الموت.. وليس هناك ما يمكن التصديق بأنه «وفاة» لأن سمو الروح يجعل الحياة مستمرة من هنا لهناك، ثم من هناك لمكان آخر.

فالطاقة الكامنة داخل كل نفس، هى خليفة الروح الأعظم فى هذا العالم، والاتصال بالروح الكبرى لا يقوم به إلا من يملك الجهاز القادر على ذلك، ولا جدال فى أن هناك قوانين لا نعرفها، تمكن أرواحا عديدة الاقتراب من العودة إلى الحياة مرة أخرى!! (كذا)

يبدو أن «تيك- سيك» وأرسولا روبرتس كانا من بين هذه الأرواح.

قالت أرسولا روبرتس فى مقدمة كتابها «عرفت النبى موسى عن قرب»: اتضح لى أننا كلما تعلمنا المزيد عن هذه المملكة الخاصة- تقصد مملكة الروح والطاقة الكامنة- فإننا فى النهاية سندرك تماما نقصان ذلك العلم وتلك المعرفة.

تكمل: «لا أطلب من أى شخص تقبل قصتى مع «تيك- سيك» على أنها صادقة، أيضا لا أطلب الاعتقاد فى كذبها حتما، إنما أطلب فقط قراءتها بذهن متفتح، وضع فى اعتبارك أننى استقبلتها ودونتها فى فترة سادها «الإخلاص الكبير، والالهام السامى».

لقد كانت علاقة روحية، خافية بينى وبين روح تيك- سيك.. أو قد نكون اختلقنا أنا وهو هذه العلاقة، فحدث الاتصال.. لكن يكفينى أمام نفسى أننى

تحدثت معه فى وعيى الكامل، وباستخدام ملكاتى الباطنية، سمعت ورأيت الأحداث والمناظر التى عرضها علىّ، تماما مثلما وقعت فى تلك الفترة التاريخية البعيدة التى أصبحت تقريبا فى طى النسيان.

فى موضع آخر فى كتابها قالت «أرسولا»: «ملهم هذا الكتاب، بدأ وكأنه يكن شيئا من الازدراء لبنى إسرائيل، هذا يبدو مفهوما إذا ما كان الشخص على معرفة أولية بالتاريخ، فمن الواضح أنه كان لدى قدماء المصريين ثقافة عالية فى الوقت الذى لم يكن بنو إسرائيل سوى بدو رحل قبل أن يستقروا».

تكمل: «ليس من العسير تصور موظف عالى التعليم بالقصر الفرعونى - تقصد تيك- يرى الأحداث ويسجلها بطريقة تختلف عن تلك التى اتبعها الكتاب العبرانيون فى العهد القديم، الذى طالعته بعد اتصال بـ«تيك».

تضيف: لا أنكر أن الجو هناك حرك مشاعرى ومواهبى الروحية شديدة الحساسية، مع أننى لم أشعر بشىء غريب ذلك الوقت.

وفيما تنهى «أرسولا روبرتس» مقدمة كتابها «عرفت موسى من قبل»، تقول: «حاولت فى قصتى- عرض كل ما استطعت جمعه من خلال فترة قصيرة من الاتصال مع «تيك» فى تجربة استمرت أياما ثمانية، حيث روحى وروحه اتحدتا خلال تلك الأيام ولا أعرف فى أى جسد هو الآن، كما أننى لست فى سبيلى لمعرفة هذا؟!!

وتقول: لا يهم، لقد اتصلت وهذه تجربتى.

«أرسولا روبرتس» إحدى الباحثات عن «السمو الروحى».. والسمو موضوع جماعات الأرواح أو المؤمنين بالتناسخ حول العالم، والمؤمنين أيضا بأن الإنسان يحمل قدرة مؤكدة على السمو الروحى وبالتالى إمكانية خروج روحه من جسده دون أن يموت؟!!

لكن ما هو السموّ؟!!

السمو هو الخلق، فعل جديد. إنه إعادة تشكيل العالم من حولك وتبديل صورته فى عينيك ليتفق مع أهدافك. فالعالم المادى- مهما اختلفت صوره واحد، أما بالنسبة للإنسان، أنا وأنت، وهؤلاء، فالعالم هو ما تحب أن يكون، أو كما تحب أن تراه. بمعنى آخر العالم فى حقيقته لا شىء، فى طبيعته خاو، فاض، كالماء، لا طعم ولا لون ولا رائحة.. لكنه موجود.

الوجود الذى يكون كما تريد له أنت أن يكون هو السمو، والذين يطلبونه قوامون على البشر.

هم أفضل ممن دونهم من الذين لا يهتمون بطلبه. فالذى يطلب السمو هو الذى استوعب العالم كله فى خياله وكانت الروح هى حلمه الحقيقى أو حقيقة الحلم. من أجلها فرض على نفسه فى عصر الماديات- قوة مضادة للمادة.. تعمل على سحق المادة، وتحرير كل شىء وأى شىء منها.

فالمادة فى حياة البشر، تبدو وتنتهى عند أجسادهم، وإن كان السمو هو آخر مراحل تحرر الجسم البشرى من المادة، فإنه أول خطوة فى طريق الخلاص من المادة أيضا.

والسمو عند جماعات «التناسخ» عكس الدين، فجميع الأديان غالبا ما تَظهر، أو تُظهر نفسها فى شكل من السمو والتعالى عن الصغائر ترفعها وعلوا، مع أن الدين هو الارتباط، وهو الولاء لشىء واحد أو شخص واحد، وعلى العكس – كما يدعون – كان السمو هو التحرر، وعدم التقييد بأى شىء، أو أى شخص، وعدم الاعتقاد فى فكرة بذاتها، فلا فكرة جديرة بالتأمل سوى الخلاص الذى هو ليس مجرد فكرة، إنما حقيقة.

ولأن هذا هو الدين.. وهذا هو السمو.. فالاثنان ضدان لا يتفقان.. لانه اتفاق بين مربوط ومطلق.

وعلى الرغم من أن إنكار الدين يظل هو الحب وهو القانون عند كثير من جماعات الأرواح حول العالم. ومع أن الدين حب، لكنهم يرون أن الحب نابع

من الإرادة، فإذا حدث ووصلنا لذلك المعنى، فقد قطعنا شوطا طويلا للأمام وأصبحنا مهيئين للكثير، لا يهم ما هو هذا الكثير، فقط هناك كثير من المعانى يوصلنا إليها تفسير ثلاثة ألفاظ: القانون.. الحب ثم الإرادة.

الثلاثة هى الكلمات السحرية التى تفتح باب السمو على مصراعيه. الإرادة هنا ليس المقصود بها الإرادة الفكرية فقط، إنما هى الأسلوب البلاغى الأمثل الذى يشير إلى الحقيقة المحيطة. من خلالها تتغير الرغبة إلى حدث واقع، فالإرادة لا تعنى الاعتراف بما تحتاجه، إنما الحصول على ما تريده، ولأنها الأسلوب البلاغى الوحيد للحقيقة المحيطة واكتشافها، فهى لذلك الوصلة الحساسة بينك وبين نفسك وذاتك أو ما فى باطنك.. من روح. الإرادة هى الفرق بين أن ترغب فى أن تكون موجودا، وبين أن توجد بالفعل.

إرادة الإنسان ليست فكرة بسيطة، إنها بدء الوجود والرغبة فى التغيير، والتنويع ثم طريق الاتصال بما حولك.

لذلك لا تؤمن جماعات الروح بأن هناك «عدما» لأن هناك إرادة بعدم وجود العدم. لفظ «عدم» نفسه لا يشكل لديهم أية معان.. فالعدم هو انتفاء المعنى، وانتفاء المعنى ليس إلا رفض الإرادة أو إلغائها، ومن ثم فمن دون إلغاء الروح، يصبح الإنسان شبحا، من دون إرادة يصبح لا شىء، فى حين أن الإنسان لم يكن- أبدا- أداة، إنما جعلت الروح من كل شىء أداة.. وسكنت الإنسان.. وزودته بالطاقة، لذلك كانت كل الأشياء أداة للإنسان نفسه، الإنسان الذى تسكنه الروح.

الإرادة هى طاقة البشر.. أما القانون فهو نظام معين يفرضه الإنسان، دون أن يكون كنزا يورث.. إنه أخلاقيات وضعت لخدمة الاستخدام الأفضل للإرادة، لذلك لا يجب عليك اتباع أى قانون، وأنت أعمى، فأى قانون مهما كان قابلا للتغيير، يؤخذ منه ويرد عليه، يخضع دائما للمراجعة الدائمة، والأفضل أن نفهم القانون على أنه تعريف لما تريد إرادتك تحقيقه، فإذا كانت الإرادة

طاقة، فالقانون هو مسار وطريق طاقتك.

وإذا كانت الإرادة هى الروح وبدء الخلق، فالحب هو الاحتياج الشديد لتلك البداية، وهو المعرفة الأكيدة بأن الخلق يبدأ كل يوم من كل فجر جديد ويعاود نفسه اليوم التالى.. فى الفجر الآخر.

فالخلق مستمر، تماما كالروح التى لا تموت وتظل الإرادة مع الحب والقانون بمعانيها السابقة الطريق الوحيد للسمو خطوة الخلاص الأولى.

الغريب أن هؤلاء يقدمون أفضل المعانى. مع ذلك ليسوا متدينين ولا مؤمنين بالله!

■■■

١٦- إكسير الحياة
كان سببا فى الوفاة!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨) وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠)﴾ صدق الله العظيم (سورة الأنعام ٥٨ - ٦٠)

لماذا عبد الداويون التنانين؟ ولماذا يؤمنون حتى الآن بالجن والمردة وتناسخ الأرواح؟!

السر فى الكتاب الذى يضم تعاليم لاو-تسى، وفى الغموض الذى يكمن فى فقراته الكثيرة.

إذا وضعنا تعاليم كونفوشيوس جنبا إلى جنب مع تعاليم لاو- تسى، سوف تكتشف انهما تمثالين قديمين.. بمتحف هو الآخر قديم.

لكن تعاليم كونفوشيوس نستطيع فهمها بسهولة بالغة، فهو يقول مثلا: «لا حاجة بالناس أن يشغلوا أنفسهم بالله فى سمائه أو بالحياة الأخرى»!! «الناس قد ولدوا صالحين ويجب أن يبقوا صالحين ماداموا أحياء». «الطريق إلى البقاء صالحين، هو طريق المعرفة وعبادة الأسلاف ووفاء الأبناء والآباء ووفاء المواطنين لحاكمهم وقبل كل شئ للعدالة»!!

اما تعاليم الفيلسوف لاو- تسى فتشبه الظلمة ونادرا ما نعرف تماما ما

يعنيه.. وما الذى يريد منا أن نفهمه.

هذا الغموض هو سر التحول الكبير الذى تحولت إليه عقيدة «الداوية» والتغيرات التى طرأت عليها من أيام لاو- تسى.. ومن جاءوا بعده يحملون عبء الدعوة لعقيدته.

فكل ما هو جيد.. واضح.. جميل فى تعاليم لاو- تسى نسيه الناس، أما الكلام الغامض.. حفظوه ووضعوا كتبا مطولة يشرحون فيها معناه.. ثم جاء بعدهم آخرون ووضعوا كتبا يفسرون بها تلك التفسيرات، وجاء أتباعهم يضعون تفسيرات لتفسيراته حتى لم يعد أتباع الداوية بعد مائتين سنة أو ثلاثمائة يدرسون أعمال لاو- تسى كما هى انما يقضون وقتا طويلا ويبذلون جهدا طائلا فى دراسة التفسيرات التى تفسر تفسيرات الذين فسروا التفسير الأول لكتاب لاو- تسى!!

أغلب التفسيرات تبعث على الدوار. كلها أشياء ربما لم يفكر لاو- تسى قط فيها ولم يحلم بها، ولم يكتبها فى كتابه على الإطلاق.

هناك مثل غريب، فقد جاء فى كتاب لاو- تسى أن هناك جزيرة فى البحر رائعة، عجيبة فى روعتها إلى حد أن من يطأها بقدميه يعيش فيها إلى الأبد.. وفى تلك الجزيرة نهر يعيش كل من يستحم فيه أبد الدهر.

ولما عجز الداويون عن العثور على الجزيرة العجيبة، فسروا ذلك بوجود حبوب أو دواء يجعل المرء يعيش إلى الأبد.. وأن يصير شبابه خالدا لا ينتهى!!

قبل ذلك.. عرف الناس كيف أن تعاليم العظماء غالبا ما يساء فهمها ويفسرها الأتباع بعكس ما كان يقصدها الأولون.. بوذا علم أتباعه ألا يؤمنوا بأى شىء.. لكنهم بعد موته، عبدوه هو نفسه.. وماهافيرا علم أتباعه أنه ليس هناك إله على الناس أن يعبدوه، فجعل منه هؤلاء الأتباع إلها مع ثلاثة وعشرين إلها آخرين!

لم يحدث أن أسىء فهم معلم عظيم من المعلمين القدماء أو أسىء تفسيره

مثلما حدث للحكيم القديم لاو- تسى.

فقد علم لاو- تسى الناس فى الجزء الواضح من كتابه أن يعيشوا ببساطة، وأن يتجنبوا الحرب.. وأن يتبعوا الطريق الطبيعى للحياة.. لكن أتباعه فسروا آراءه على أنها تعنى شيئا خفيا يوجب عليهم أن يتعلموا كيف يصبحون شبابا وأن يعمروا إلى الأبد، وإذا ماتوا يمكنهم أن يقهروا الموت ويعودوا أحياء.

بعد انقضاء خمسمائة سنة على موت لاو- تسى، قيل إن أحد الداويين اكتشف شرابا يجعل الناس يحيون حياة الخلود.. وسمى هذا الشراب «إكسير الحياة» وأسرفوا فى استعماله إسرافا يقال إنه أودى بحياة بضع عشرات من أباطرة الصين المدمنين.

وبدأ الداويون على الفور يعبدون الرجل الذى اخترع «إكسير الحياة»، حتى إن سلالته لا تزال تُعبد حتى اليوم. ويسمى زعيمهم الإمبراطور اللؤلؤى الذى يعيش فى جبال التنين ويحكم أتباعه كملك.. يقولون إنه لا يموت. ولما مات قالوا إنه هو الذى يريد ذلك، وإنه يعيش فى مكان ما خفى لا يراه أحد.

ثم ألف أحد الداويين كتابا قال فيه «إن المرور من المعدن الجامد أو الصخر الصلد والمشى فى النار أو على سطح الماء.. كل هذه الأشياء ممكنة لمن هو على وفاق مع داو».

ثم ظهر عام ١٤٨ ميلادية معلم من رجال الدين يعرض على الناس أن يشفيهم من الأمراض كلها بطلسم بسيط مقابل خمس حفنات من الأرز.. وبدا لبعض الناس أنهم قد شفوا من أمراضهم بفضل هذه الأعمال السحرية، وقيل لمن لم يثمر فيهم الطلسم إن إخفاقه لم يكن له سبب إلا ضعف إيمانهم..!

ازدادت قصص الخلود وأرواح ما بعد الموت غزارة بمرور الزمن، وبدأ ملايين الصينيين يؤمنون بها.. ويخافون السحرة والكهان الذين ادعوا أن لهم سلطانا على الأرواح، خوفا من أن يجعلوا طلاسم الحياة تفسد موت من غضبوا عليه.. ولا يستطيع أن يعود.

زاد عدد أتباع الداوية بسرعة كبيرة.. أناس كثيرون كلهم يطلبون الخلود وشيدوا لها الهياكل وأغدقوا المال على كهنته بسخاء عظيم ومزجوا به جزءا من قَصصهم الشعبى.

ليس صعباً فهم سبب اعتناق الكثيرين «الداوية».. والإيمان بتعاليم لاو- تسى، الذى كان يقول إنه إذا كانت الدولة مضطربة مختلة النظام فخير ما يفعل بها ألا يحاول الإنسان إصلاح أمورها. إنما يجعل حياته نفسها أداء منظما للواجب الذى عليه أن يؤديه.. وإذا ما لقى الإنسان مقاومة فأحكم السبل ألا يكافح أو يقاتل أو يحارب.. بل يتروى فى سكون ويكسب ما يريد أن يكسبه بالخضوع والصبر، فالمرء ينال من الفوز والنصر والسكون أكثر مما يناله بالجهد والعمل!!

أفكار لاو- تسى كانت عاملا أساسيا فى جعل الصينيين يعتقدون أن كل شىء فى الطبيعة له روح، وقسموا أرواح الطبيعة إلى مجموعتين: أرواح خيرة، تفعل الأشياء الطيبة للناس وتسمى «شين» وأرواح شريرة اسمها «كوى».

ولا يزال هناك من يعتقد أن «شين» تعمل الخير للناس. وأن الشر مصدره الأرواح الشريرة «كوى».

ولكن «شين» الخيرة قد تكف أحيانا عن فعل الخير، فالروح الخيرة للمطر مثلا قد لا تعطى المطر أحيانا مع أن الناس فى أمس الحاجة إليه. السبب أن الروح الخيرة للمطر قد نامت.. ومن أجل إيقاظها يصنعون تنينا ضخما من الورق والخشب.. يزينونه بالألوان ويجعلونه ممثلا للروح الخيرة.. يحملونه عبر الشوارع ويغنون بصوت عالٍ لإيقاظها وتنبيهها إلى القيام بواجبها! أما إذا لم تستيقظ روح الخير فى المطر فإن الناس يكفون عن حمل التنين ويهددونه بالضرب!

وإذا لم يسقط المطر بعد ذلك يضربون التنين الخشبى ويمزقونه.. كانوا فى بعض الأوقات يحاولون إغراءه بالرشوة.. فيقدمون له الوعود بمنحه أرضا

كبيرة.. ولابد من البر بالوعد إذا سقط المطر بعد ذلك!

وعندما بدأت الداوية تقول للناس: إن هناك أرواحا شريرة تعلمهم السحر.. كان الناس مستعدين للإصغاء للسحرة وقصص العجائب التى تحكى أساطير الإمبراطور اللؤلؤى. ثم فجأة.. تحول الناس ليعبدوا لاو- تسى نفسه.. جعلوا منه إلها.. وقالوا إن أمه حملت فيه حملا سماويا، واعتقد المؤمنون الصالحون أنه ولد كامل العقل طاعناً فى السن.. لأنه أقام فى بطن أمه ثمانين عاما.. ولذلك لم يمت!!

وبعد سنوات من اختفاء لاو- تسى فى مكان لا يعلمه أحد.. ملأوا الأرض بالشياطين والآلهة الجديدة، وكانوا يخيفون الأولى بصواريخ نارية تتفجر فى أفنية الهياكل، كما كانوا يوقظون الثانية من سباتها بنواقيس ضخمة قوية الصوت لتستمع إلى دعوات عبادها ومطالبهم الملحة.

عندما أمر الإمبراطور تسينى بحرق كتب كونفوشيوس وأتباعه سمح بإبقاء تعاليم الداوين. وكان الإمبراطور تسينى نفسه يرجو أن يجد حبة السحر التى تجعله يخلد فى الحياة ويحكم الصين إلى الأبد.. وكان ذلك من الأسباب التى شجعت تعاليم الداوية خلال أيام حكمه.

لكن أتباع كونفوشيوس بعد وفاة الإمبراطور أصبحوا أقوى قوة فى الصين لكن سرعان ما عاد التجار الصينيون من رحلاتهم فى نيبال والهند ومعهم قصص رائعة عن أمير اسمه جاوتاما بوذا.

وكلما مرت الأعوام، ازدادت القصص العجيبة التى يرويها هؤلاء التجار الصينيون عن بوذا.

الصينيون عبدوا أرواح الأجداد، وكان الميت عندهم كالحى تماما لذلك كانوا بالطبع يريدون أن يعرفوا ما حدث لأسلافهم بعد الوفاة.

فلا الداوية ولا الكنفوشيوسية ردتا الأسئلة الخاصة بالحياة بعد الموت.. الداوية تقول إنه لا يوجد شىء اسمه موت، ولهذا عندما سمع الصينيون

بعقيدة تفسر الحياة بعد الموت وتفسر النيرفانا، أرادوا أن يزدادوا بها علما.

وهكذا انتشرت تعاليم بوذا فى جميع أنحاء الصين بعد أن غيرها أتباع بوذا تغييرا كبيرا أيضا.

الإمبراطور مينج أصبح بوذيا، وأمر بترجمة (الهترياتاكى)- كتاب البوذيين المقدس- إلى اللغة الصينية وتعليمه للشعب.

أما اليابانيون فيرون العالم صغير جدا.. وأنهم وحدهم أهل هذه الدنيا، وأن مملكتهم التى كانوا يسمونها بلاد الجزر الثمانى العظيمة هى كل العالم.

حتى السماء ظنوها قريبة جدا.. قريبة إلى درجة أن سهما طويلا جدا سبق أن أطلق من الأرض فى زمن قديم فاخترق السماء وصنع فيها ثقبا.. ومن ذلك الثقب هبطت على الأرض آلاف الأشجار والنباتات والأعشاب وجميع الكائنات الحية.. كل ما فوق الأرض لم يأت إليها إلا عن هذا الطريق.. السقوط من ثقب السماء!!

ولأن كل ما على الأرض جاء من السماء.. فإن المرء يستطيع أن يستنتج أنها مليئة بآلاف أخرى كثيرة من كل هذه الأشياء.

واعتقدوا إلى جانب ذلك أن الحياة فى السماء لا تختلف كثيرا عن الحياة التى على الأرض.. وإن كانت أكثر منها جمالا.

أما تحت الأرض.. فهناك عالم آخر.. فيه حياة وفيه ناس كما هو الحال فوق الأرض، وقالوا إن هناك باب يؤدى إلى العالم السفلى. وان هذا الباب كان مفتوحا، وكان الناس يستطيعون الوصول إليه وزيارته، لكن زلزالا هائلا حدث ذات يوم فأغلق المدخل بحجر كبير، ومنذ وقت طويل أيضا هناك جسر بين السماء والأرض.. يستطيع البشر الصعود منه إلى السماء لزيارتها.. لكن ذلك الجسر انكسر ذات يوم ولم يصلحه أحد بعد ذلك أبدا..!

عقيدة اليابانيين بسيطة جدا.. فهى لم تكن بحاجة إلى تفصيل مذهبى أو

طقوس معقدة أو تشريع خُلقى.. ولم تذهب إلى ما يبعث العزاء فى نفوس الناس من الخلود والفردوس، ولم يكن لدى أصحابها صور أو تماثيل أو كتب مقدسة أو وصايا أو كهنة.. كل الذى آمنوا به هو أن النجوم والقمر والشمس والجبال والأنهار والرعد والمطر لها أرواح يمكن أن تنفع وأن تضر إذا أريد منها ذلك، وأن الناس إذا عبدوها هدتهم إلى العمل الصالح وأبقت عليهم أحياء للأبد!!

لهذا عبد اليابانيون القدامى كل هذه الأشياء، إذا أرادوا المطر ذهبوا إلى النهر ودعو له.. وإذا أرادوا من المطر أن يكف وأن تشرق الشمس خرجوا وصلوا للشمس..!!

ليس بين جميع عقائد العالم القديم عقيدة بمثل سذاجة «الشنتو» التى كان يطلق عليها اسم «كامى نو- ميشى» ثم عرفت بالاسم الصينى «شنتو».

الأصل فى تلك التسمية أن الصينيين الأوائل كانوا يؤمنون بالأرواح الخيرة والأرواح الشريرة، والأرواح الخيرة تسمى «شن» وفى تعاليم الفيلسوف القديم لاو- تسى اسمها «تاو».. ومعناها الطريق.

أصبحت «شن تاو» باللغة الصينية «الطريق إلى الأرواح الخيرة» فالأرواح هى أساس العقيدة اليابانية الأولى.. وهى تسرى فى كل شىء ليس فقط فى كواكب السماء إنما فى الحقل وحشراته أيضا.. وفى الأشجار والحيوان والإنسان، وأصبح الناس يعتقدون أن عدداً كبيراً جداً من الآلهة يحوم فوق الدار وساكنيها.. ويرقص مع ضوء المصباح ووهجه.. ومن أجل الاتصال بالآلهة يستطيع المرء أن يقوم بإحراق عظام غزال أو قوقعة سلحفاة، كما يمكن الاتصال بالآلهة بفحص العلامات والخطوط التى تحدثها النار.. وبهذه الطريقة يستوثقون من العلامات الروحية الطيبة أو الخبيثة ومن ملاءمة الظروف لقيامهم برحلات برية وبحرية أو عدم ملاءمتها.

اليابانيون أيضا خافوا الموتى وعبدوهم.. لأن غضبهم ربما ينزل بالعالم

شرا كبيرا، من أجل استرضاء الموتى لابد أن يضع الناس لأسلافهم هدايا ونفائس فى القبور.. أبرز تلك الهدايا السيف.. وكل الناس يؤدون الصلاة ويقدمون الطعام الشهى الفاخر أمام صور هؤلاء الأسلاف كل يوم!!

فى أحيان كثيرة كانوا يلجأون إلى التضحية البشرية، خاصة إذا لم يتوقف المطر الغزير.. أو أريد لجدار أو بناء كبير أن يثبت ولا ينهار.. كما دُفن الأتباع مع سيدهم الذى مات ليدافعوا عنه أول مراحل حياته الجديدة.

عبادة الموتى من الأسس الرئيسية التى قامت عليها عقيدة «الشنتو»، بعدها آمنوا بأن الذى يموت من أجل الآلهة لا يموت، إنما يظل حيا فى مكان لا يراه فيه أحد!!

وعرف للعقيدة صورتان: العقيدة الدولية التى تقدس الموتى من الحكام الذين أسسوا الدولة وأقاموا بناءها.. والعقيدة المنزلية التى تقدس موتى القبيلة.

على أن العقيدة فى الحالتين لم تطلب من الناس أكثر من أن يتصلوا من آن لآخر بالموتى وأن يفعلوا ذلك أيضا لإمبراطورهم، معتنقو الديانة يحاولون الاتصال بالموتى الأوائل من عظمائهم سبع مرات كل عام.

ربما ذلك هو السبب فى عبادة اليابانيين لإمبراطور دولتهم الذى سموه الميكادو.. إذ كانوا يرون أن الميكادو ليس بشرا مثلهم، بل هو أقرب شبها بالشمس أو القمر أو جبل فوجى المقدس.. وهو كائن كالآلهة لابد أن يُعبد.. وأنه أيضا لا يموت!!

■■■

١٧- أحدهم مات لكنه حى والآخر روحه حائرة رغم موته!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤)﴾

صدق الله العظيم (سورة الأنبياء ٣٤)

فلسفة «الوبيه» الصينية حتى الآن الطريقة الوحيدة المثلى للسيطرة على جميع خواص الجسم البشرى وعضلاته، وحتى أعضاء جسمه اللاإرادية.

«الوبيه» كشفها عام (٨٠ ق.م) «فوفويان» أحد سلالة أسرة هان التى حكمت الصين قبل الميلاد.

«الفونيون» يؤكدون نظرية قديمة تقول إن سيطرة الإنسان يمكن أن تجعله يتحكم فى كل ما يدخل فى قدرته وما لا يدخل فى قدرته أيضا. وأن هذه الأرواح ليست إلا نغمة أو «رنينا» يشبه ما يطلق عليه الآن الرنين المغناطيسى، تختلف النغمات باختلاف شخصية الإنسان وقدرته على التسلط على حواسه عن طريق «اليوجا».

لذلك «فالفونيون» لا «يكترثون» بحياتهم على الإطلاق، لأنهم يعتقدون أنهم لا يموتون أبدا، أو أنهم يموتون، لكن أرواحهم تعود لتلبس أجساداً أخرى. فى فكرة قريبة الشبه بفلسفه التناسخ عند الهنود.

يقولون إن «فوفويان» عندما مات، مات جسده فقط، لكن روحه ظلت تتلبس أجساداً أخرى، حتى وصلت لحفيد حفيد حفيد حفيده «فونين شان» الذى مات عام ٥٢، وظلت روحه حتى الآن حائرة، لأنه لم يكن لديه أبناء ذكور

إنما ثلاث من البنات فقط.. والروح عندهم لا تدخل أجسام البنات فقط تدخل أجساد الرجال، لكن يمكن أن يأذن الرجل أن تشاركه امرأة أخرى فى بعضها.

الصينيون من أتباع «فونين» وأحفاد «فوفويان» الكبير يحاولون منذ عام ٥٢ حتى الآن إدخال روح «فونين» جسدا آخر، أو ربما يحاولون أن يجعلوها ترتاح على الأقل قبل أن يكتشفوا طريقة لحل مشكلتها.

وفى المكسيك ظهر «سان أنطونيو» أو «أنطونيا ديوس» أحد المهاويس بقضايا «الروح» الباحث عن أموات عادوا للحياة، وأسس جماعته «سامنورا» الذين عرفوا- كما يقولون- سر هيام روح «فونين» وكيفية إدخالها جسدا آخر.

الحل كان فى رأيهم أن يخلطوا دماء ٧٠ صينيا من العجائز بماء الزهر الهندى، ثم يشربه ٧٠ من جماعة «السامنوريين» فيموتون ثم يعودون للحياة من جديد.. بروح «فونين».

وقبض البوليس على كثير من السامنوريين فى المكسيك، والولايات المتحدة وإنجلترا وأمريكا اللاتينية، لأنهم تتبعوا الصينيين كبار السن فقتلوا أكثر من ٨ فوق الـ٧٠ عاما واعترفوا أمام البوليس أنهم فى طريقهم لامتصاص دماء آخرين حتى تتحقق نبوءتهم.

وفى الوقت نفسه قام أبناء إخوة «فونين» بصنع طلاسم بوذية، ووضعوها فى معابد هضبة التبت، وشكلوا فريقا كبيرا من الرهبان البوذيين لحراستها بوصفها هى التى تجعل روح «فونين» باقية على ترحالها فى الفضاء حتى اكتشاف طريقة لإعادتها لأحدهم من جديد!!

أما «الأوبرشت» ففكرة شرقية قديمة ترى أن الإنسان الذى يعود للحياة بعد موته، لا يتكلم أبدا عن هذه التجربة لأن بها أسرارا كبيرة وكثيرة يمكن أن تقود سامعها للجنون. وأنه غالبا ما ينسى حالة موته ثم عودته للحياة، وهو ما يعنى لدى «الفونيين» أن خبرة العودة للحياة، أو «الخروج من الجسد» وعودة

الروح إليه مرة أخرى ليست بالخبرة اليسيرة التى يمكن أن تسأل عنها فيجاب عليك ببساطة.

والذى يحكونه أن «فونين» قال إن المادة والروح ليسا منفصلين فى الإنسان.. عكس ما يعتقد الروحانيون الأوروبيون: فالحقد مثلا مشاعر روحية، لكنها تؤثر على المخ البشرى، وطريقة كلام الحاقد.. ونظراته.

لكن الإله روحه صافية لأنه لا يملك حقدا ولا ضغينة، ولا نفسه ملوثة بأعراض مادية مثل الحاقد.

القاسم المشترك بين «روح الإبله» و«روح الحاقد» أن أعراض نفسيهما تتأثر بها أجسامهما!!

«فونين» قال أيضا إن أى روح إنسانية لديها ميزان اسمه «باليان»، وفيه تتعادل الطبيعة المادية مع الطبيعة الروحانية فور ولادة الطفل، ويظل متكافئا، حتى يستطيع الإنسان ترجيح إحدى الكفتين.

فالتعلق بالروحانيات أكثر من الماديات يرجح كفة الروح، وفى الطريق للسيطرة على الروح سيطرة كاملة يحدث الصراع بين بقايا الماديات فى الجسم البشرى، ويدخل الإنسان المرحلة التى سموها «الوشوا» أو «مرحلة الإشباع». إذ تبدأ أرواح أشباح الأحياء فى حماية الروحانيات فى الجسم البشرى فى محاولة أخيرة للتغلب عليها، وهى تلك المرحلة الأخيرة التى يدخل معها الإنسان عالم «الروح».. فيستطيع أن يأمرها فتطيع، وأن يخرجها من جسده فتخرج، وأن يأمرها بالرجوع فترجع.. أو أن تموت الحالة الروحانية داخل الإنسان، فتصبح روحه روحا واحدة، يموت الجسد.. فتموت هى الأخرى.

وروح «فونين» هائمة لانه تغلب على المادة بعدما صارع أشباح الأحياء الموجودين ثم طوع روحه لخدمة نفسه.

«الفونيون» يؤكدون أن الروح عندما يموت الإنسان لا تتحول إلى «أثير»،

إنما تأخذ معها جزءا من أجزاء حياة الإنسان الزمنية، وهى المسئولة عن معرفة الإنسان العائد للحياة، لطبيعة خبرة خروج روحه من جسده.

الزمن الإنسانى مسئول أيضا عن تمييز الروح بين الأجساد ودخول أحدها دون غيرها.

يقول «الفونيون» أن العائد للحياة لا تنشط ذاكرته إلا إذا واجه الأفق فى الساعات الأولى لبزوغ الشمس، عندما لا يكون هناك حاجز بينه وبين شعاعها. فالشمس هى الشىء الوحيد الذى يحفز الروح العائد على تذكير الجسم الجديد الذى دخلته بخبرة «الحياة بعد الموت».

يقول «الفونيون» أيضا إن الأهم من معرفة «خبرة الموت»، معرفة خبرة التفوق على الأرواح الإنسانية الحية. فالأرواح «المسيطرة عليها المادة» تتكالب على الأرواح التى بدأت كفة ميزانها تميل ناحية كفة «الروح». ودون أن يعرف أحد يبدأ الصراع.. الذى ربما ينتهى بأن يموت الإنسان ولا يعود للحياة من جديد

ما معنى هذا؟

المعنى كما يدعون أن يحاول كل منا السيطرة على روحه فيجعل منها أداة طيعة تدخل جسده مرة أخرى بعد الموت، أو ربما تدخل جسدا آخر حسب اختيار الميت نفسه!!

لكن الأصعب هو كيف يصل الإنسان للمرحلة الروحية؟

الإجابة حسب فكرة «الوشوا» أن يظل «الفونيون» فى حالة جهاد دائم مع المادة.. ومع أرواح البشر الأحياء الذين تتجمع حولهم.. محاولة إثناءهم عن أن يتحولوا لروحانيين.

«الفونيون» يطبقون تماما ما يطبقه قبائل «الهوسا» الافريقية والأستراليون القدماء. فهم يطردون الأرواح الشريرة بالموسيقى الصاخبة ورقصات «البارو».

الافارقة متأكدون من أن الأصوات المزعجة والأقنعة التى يلبسونها على وجوههم تفزع الأرواح وتجعلها تبعد أو تستقر فى الجبال.. ومياه البحار.

لكن «الفونيون» لا يبعدون الأرواح الهائمة، إنما يبعدون الأرواح المادية.. التى هى بالنسبة لهم ليست شريرة. إنما أرواح محارية تود أن تثنيهم عن السمو الروحى.

لذلك ففى مرحلة اعتدال الميزان ناحية الروح يلونون وجوههم ويخرجون إلى غابات التبت كل فرد وحده، ليكمل فترة طويلة من حياته هناك حتى يقتل كل الأرواح المادية، ويصل لمرحلة «الروح النقية».

وهم يعتقدون أن أرواحهم تحتفظ بأسرار انتقالها فى الجسد الجديد الذى انتقلت إليه. والشخص الذى عادت له روحه لا يتكلم أبدا عن هذه الأسرار. لكن «جاك نيكون» الأمريكى الجنسية ذو الأصول اليونانية حاول التحايل على امتناع «الفونيون» عن الكلام، وبدأ عام ٧٩ تجاربه على ثلاثة منهم.

جاك تخرج فى كلية الطب فى إلينوى عام ٥٧، والتحق بأحد المعاهد الروحية «بكنساس سيتى»، ووصل إلى درجة «عراف» إحدى الدرجات العليا التى يحصل عليها الباحثون الروحانيون بعد دراسة تزيد على عشر سنوات.

ولما بدأ عام ٦٠ التقرب «للفونيين».. حاولوا قتله أكثر من مرة، قبل أن يستطيع إقناع أحد الشباب أن يسافر معه للولايات المتحدة لاكتشاف أسرار «عالم الروح» و«خبرة الموت» وأن يكتبوا هذه الأبحاث.

الشاب «الصينى الفونينى» اسمه «سى كا»، ويقال إن إحدى أرواح «الفونيين» الصالحين دخلت جسده، لكنه مل هذه الروح صاحبة الـ٨٢ عاما، بينما هو شاب لم يتعد الخامسة والعشرين. قال «سى كا»، إن الروح العجوز تتعامل معه بنظرتها للحياة، وهو يحاول أن يجد طريقة يتخلص بها منها. لذلك بحث له «الفونيون» عن طريقة يستطيع بأداء بعض طقوسها أن يقلص

نشاط الروح العجوز داخل جسده، فتخرج بعد فترة.

وهو الذى جعل «جاك نيكون» يأخذه معه، كى يعرف منه أى شىء عن تلك الطرق.

اعتمد جاك على أنه عندما يصل إلى سر طرد الروح، فإنه سوف يعرف شيئا عن طريقة استدعائها أو السيطرة عليها داخل الجسد.

بعد أداء «سى كا» عدة تمارين مغايرة إلى حد ما للطريقة التى علمها له «الفونيون».. كانت المفاجأة، فقد نام «سى كا» وهو يقظ بينما.. استيقظ وهو نائم. فقد اكتشف «نيكون» أن نشاط الفص الأمامى لمخ «سى كا» يعمل وهو يقظ كما لو كان نائما.. والعكس.

بعد خمسة أيام فقط من شهر أغسطس سنة ٦٢، مات «سى كا»، بينما ظل مخه يعطى إشارات كهربائية بدا معها أنه لا يزال حيا.. وهو اللغز الذى حير «جاك نيكون».. وحير كثيرا من العلماء حتى بداية عام ١٩٧٥.. فالمعنى أن جسد «سى كا» مات، لكن روحه حية. أو أن مخه الذى يعطى إشارات كهربائية- بالرغم من وفاته- يعنى أنه يرى ويسمع ويشاهد رغم أنه ميت!!

هكذا قالوا!!

■■■

١٨- أحياء حتى تقوم الساعة
وربما يرفضون أن يموتوا بعدها!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ (١٤)﴾ صدق الله العظيم (سورة الواقعة ١ - ١٤)

سنة ١٩٩٢، اكتشفت لجنة فنية شكلتها ٦ جامعات أمريكية بالتعاون مع مجموعة من رجال الدين، أن هناك أكثر من ٢٢٧ حركة عنصرية ودينية متطرفة ظهرت النصف الثانى من القرن الحالى، وتشعبت من الولايات المتحدة لدول أوروبية كثيرة.

وفى ٢٦ يوليو ١٩٩٣، أعلنت هيئة العلماء التابعة للجنة الدراسات الإنسانية بجامعة ماساشوسيس أن اللجنة المكونة من ٣٧ عالما وعالمة ورجل دين.. قد اكتشفت ضمن ٢٢٧ حركة ٨٧ كنيسة جديدة.

بعض هذه الكنائس كَفَّر المسيح نفسه.. وكفر كل الأنبياء والمرسلين، وأن ٢٧ جماعة من هذه الجماعات قد اختارت لها نبيا جديدا.. وكتابا جديدا، وطقوسا جديدة.

وفى معظم الأحوال اختاروا ربا جديدا!!.

كانت مفاجأة قاسية، عصفت بالرأى العام الأمريكي كله.. طلاب المدارس

والجامعات والمراهقين، وعصفت أكثر برجال الكنيسة الأوروبيين.. ووقف المطران «باخوليوس» أحد كبار رجال الدين بالكنيسة البريطانية وهو فى زيارة للولايات المتحدة عندما سألوه فى مؤتمر صحفى عن تعليقه على النتائج التى وصلت إليها لجنة الجامعات وقال: كنا فى الماضى نعلم أن الرب واحد.. وأن المسيح نزل، وأن هناك ملائكة وشياطين.. وأن الخطيئة واضحة.. وحلال الرب أوضح، إلا أنه فيما يبدو هناك من لم يقتنع بهذه الحقيقة.. لذلك طالتنا المشكلات والكوارث.. والمصيبة الكبرى أن المسيحية فى مهدها احتاجت لأكثر من ٧٠٠ عام حتى تدخل بلدانا كثيرة.. أما ديانة الأمريكيين الجديدة، فلم تحتج إلا إلى ٥٠ عاما على الأكثر لتعم القارة الأوروبية انطلاقا من تحت تمثال الحرية.

بالطبع لم تعجب تصريحات «باخوليوس» رجال الدين الأمريكيين، وفهموا أن أهم ما قاله أو كان يقصده أن الأمريكيين أصبحوا «عالة» على العالم المتدين.. وأنهم لم يدمروا ويقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ فقط.. ولم يكتفوا بافتعال حروب متلاحقة كبيرة كى يجربوا أسلحتهم الجديدة، إنما انصرفوا للتلاعب بالعقيدة.. وأصبح الأمريكى فتوة فى السياسة.. فتوة فى الحرب فتوة فى الدين أيضا!! كل هذا يفعله وهو يأكل الآيس كريم.. (الأكلة الشعبية الأمريكية).

لذلك فتح كل ملفات الدين.. كل على هواه.. حسبما يرى ويشعر، والنتيجة ما وصلت إليه اللجنة الجامعية.. بعدما سبق السيف العذل.. وانتشرت على الأرصفة مجموعة من «الرعاع».. تلعب الجيتار وتضع سلالا أمامها فى محطات المترو.. ويقولون بلسان ثقيل بعدما يفيقون من الخمر: إنهم لا يعلمون من هو المسيح ولا ما الذى أتى به.

كلام المطران «باخوليوس» لم يعجب الرهبان الأمريكيين.. وكاد الأمر يتحول لعاصفة من «الكلام» و«السب» و«القذف» و«الحرمان من التناول»..

عندما رد أحد الأساقفة الأمريكان على «باخوليوس» فى مؤتمر صحفى أيضا وكأنه لا يعنى ما يقول: ليس من العيب على المجتمعات الجديدة أن تمسها السلبيات. حتى لو تعلقت بالعقائد.. لأن فى النهاية الدين الصحيح هو الذى يطفو فوق الماء ويغرق الباقى، أما المشكلة الكبرى التى يجب أن يجد العالم لها حلا.. فهى كيفية القضاء على مصدر العفونة فى أى مخزن طعام.

وأردف الأسقف قائلا: «لو كنت تأكل فى الغرب وتشم رائحة نتنة، فمن المؤكد أن مصدرها البر الآخر» وفهم الأساقفة الأوروبيون الرسالة، وأن كلام الأمريكى يشير إلى أن المشكلة فى البر الآخر.. والبر الآخر للولايات المتحدة هو إنجلترا.. وأوروبا كلها.

ولما وصلت المشكلة للبابا.. كلف كبير أساقفة «كانتربرى» أن يقول فى بيان له: إن المسيح سامح وتسامح. ولا ينبغى لبعضهم أن يفقد أعصابه.. المهم أن نبحث وأن نعلم.. نبحث فى الأصول ولا نهتم فقط بالتفاصيل.

أسقف كانتربرى كان يوجه كلامه للجنة الأمريكية.. كأنه يقول: لا تبحثوا فى شكل وطريقة وحياة ومعتقدات هذه الجماعات الغربية الجديدة.. إنما المطلوب هو أن تعلنوا وفى أقرب فرصة ما هى الأسباب.. والظروف والملابسات؟.. لماذا أصر هؤلاء، ومعظمهم من الشباب.. أن يخترعوا أديانا جديدة؟!

الأسقف كان على حق.. وقد التقطت لجنة الجامعات الخيط وقالت فى صفحات منشورة إن المشكلة الأساسية هى نمط الحياة فى أوروبا وأمريكا.. وأضافت أن السبب الآخر والأهم هو الحروب، وما عاناه الإنسان الأوروبى منها.. خصوصا حرب فيتنام التى كره الأمريكى فيها نفسه.. وكره العالم.

الشباب الأوروبى قال إنه لا يوجد سبب يجعل الأمريكى المتدين يسحق مواطنى العالم الثالث بالمعونة مرة، وتحت جنازير الدبابات مرة أخرى.. إلا أن يكون فيه خطأ، أو أن الخطأ فى دينه. فإما أن تتغير الطريقة.. وإما أن يتغير

الدين، وإذا كان المجتمع لن يغير الطريقة.. فإننا سوف نغير الدين!!

أى أن الشباب أصروا على أن يرفضوا الدين ويرفضوا الآباء والكهنة وعادوا يمسحون أفواههم بملابس الرهبان.. واستقروا على أن يهدموا الأديرة وأن يطعنوا القديسين بالخناجر.. وليس بمستبعد أن يبعثروا هياكلهم العظمية المحفوظة داخل سراديب الأديرة فى الشارع لتتحلل فى الأمطار.

لجنة «ماساشوسيس» قالت إن أحد أهم الأسباب أن المجتمع عندما يتحلل، فى الوقت نفسه لا تستطيع الحكومة إقناع الآخرين بمبرراتها السياسية.. فإن الأمر يصل لما لا يمكن أن يصدقه أحد.

أشهر الجماعات التى شملها تقرير لجنة «ماساشوسيس».. جماعة «المسيحيون الصرحاء» و«كنيسة الوراء»، و«كنيسة الروح».. وأخيرا «كنائس الصمت» وكلها كنائس قالت: إن المسيحية التى يعتنقها العالم مسيحية مزورة.. ولا تمت للمسيحية الحقيقية بصلة.

جماعة «المسيحيون الصرحاء» أسسها «أجاويد رفلنى» الفرنسى الذى أصبح أمريكيا عام ١٩٧٨.

أجاويد كان عاملا بأحد مناجم الفحم حتى السابعة والأربعين من عمره وفجأة.. وكما يقولون.. اكتشف أنه لا فائدة من العمل ومن الفلوس التى يحصل عليها بعد العمل.. اكتشف أيضا أنه لا فائدة من الصلاة ولا أن يلبس رجال الدين ملابس تميزهم عن بقية خلق الله، فالمسيحية ليست ملابس وكنائس ورجال دين.. المسيحية شىء آخر.

ترك «أجاويد» عمله.. وقيل إنه انتقل من الجنوب الأمريكى للشمال وعاش متقشفا فى بيته حتى مات عن عمر يناهز الـ٥٨ عاما.. جمع حوله أكثر من ١٨٠٠ شخص آمنوا بما كان يقول، وهو أن المسيحية التى يعتنقها المسيحيون حول العالم خطأ.. ومفتعلة.. ولا صلاح ولا تقوى إلا أن يعود هؤلاء ويصححوا مسيحيتهم.

وظهر «روكين رولان» وهو فرنسى أيضا.. ليؤسس جماعة «المسيحيون الصرحاء».. وقام بتقليد «روح» أجاويد وسام القداسة.. وأعلنه قديسا للجماعة.

استطاع «روكين» أن يضم للكنيسة أكثر من ٣٠٠ عضو معظمهم شباب.. وروكين نفسه كان شابا، عمره ٣٢ عاما عندما أسس الجماعة.

قال «روكين» إن القديس «أجاويد» ترك عدة رسائل يشرح فيها وجهة نظره فى الدين المسيحى.. منها أن المسيح الذى ولد من العذراء مريم ليس هو الرجل النبى الذى تكلمت عنه التوراة، إنما هو رجل صالح فحسب يأتى على نفس شكله وملامحه وسماته أربعة رجال آخرين.. وعلى فترات زمنية مختلفة.. وينتهى الأمر بأن يظهر المسيح الحقيقى.

المسيح الحقيقى مفترض أن يظهر سنة ٢٠٢٥، العام الذى قيل إن القديس أجاويد حدده فى الرسائل التى تركها.

وعام ١٩٧٩، أعلن «روكين» منزل «أجاويد» فى الجنوب الأمريكى كنيسة عامة، وعين ١٧ أسقفا معنيين بالشؤون المختلفة.. لكنه بعد فترة وجد عدد الأساقفة كثيرا جدا بالنسبة لعدد شعب الكنيسة (٣٠٠ شخص) فأصدر مرسوما يقضى بتخفيض عدد الأساقفة من ١٧ إلى ٦.. وترك الأساقفة أنفسهم يختارون الستة.. أما الباقون فعليهم أن يخلعوا أنفسهم من الرهبنة.

اختلف السبعة عشر أسقفا حول من يظل ومن يخرج.. ولما اختلفوا اعتصم ٨ منهم داخل منزل القديس أجاويد.. أو داخل هيكل كنيسة الصرحاء، ولما طلب الأساقفة الآخرون الدخول.. رفض المعتصمون.. وهدد الأساقفة فى الخارج، وتوعد من بالداخل.. وانتهى الأمر عندما أتى الأساقفة المطرودون بمجموعة من «جراكن» البنزين والسولار، وحرقوا الكنيسة بالهيكل وبالمذابح.. وبالثمانية رهبان فى الداخل وقتلوا من حاول الخروج هربا من الحريق.. ثم نصبوا شخصا منهم يونانى الأصل اسمه «فرنانديس» أسقفا عاما، ولما وصل

الخبر للزعيم الكبير «روكين» فى الشمال ركب مسرعا وعاد للجنوب.. ولما قابل الأسقف العام مسح بكرامته الأرض، والجدران.. وشبابيك الكنيسة المحروقة، إذ كيف يعينون أسقفا من دون مشورته وهو البطرك «البابا» وزعيم كل هؤلاء؟!

النتيجة أن شعب الكنيسة وأساقفتها وشمامستها قتلوا «روكين» ووجد البوليس جثته عائمة على الماء بعد أيام من الواقعة. الجثة كانت عارية، وقال المحققون: إن بها آثار تعذيب جنسى فى أماكن حساسة من جسده، وأن المعذبين استخدموا آلات حادة وأسياخا حديدة مصهورة لتعذيبه.

وفيما كانت التحقيقات على أشدها.. أعلن «فرناندس» (الذى نصبوه أسقفا عاما) أن كنيسة الصرحاء تلغى الفوارق بين الطبقات فى المال والشكل والمظهر.. ثم فى الجنس.. وأباح الزنا.. وأباح الطلاق قبل وبعد الزنا، وأباح القتل أيضا على شرط ألا يكون القتيل من «المسيحيين الصرحاء».

عندما كان «فرنانديس» يضع دستوراً جديداً «لكنيسة الصرحاء» ظهرت «كنيسة الوراء» أو «كنيسة الروح»، وهى «زنجية».. لا يصح أن يكون شعبها إلا من الزنوج.. يعنى كنيسة عنصرية تؤمن بأنه إذا كان لا يدخل الجنة غنى.. فإنه لن يقربها إلا زنجى.

والمسيحيون الصرحاء يعتقدون أن آدم أبوالبشر كان أسود البشرة.. وأن حواء هى الأخرى كانت سوداء، وأن الأصل فى الإنسان هو بشرته السوداء.. أما الإنسان الأبيض فليس إلا نوع من الألوان والأشكال والتخاريف الجديدة التى ظهرت فى العالم.

قالوا أيضاً: إن البشر كلما ازدادوا إيمانا، اسمرت ملامحهم، وأن البشرة السوداء تعلن ببساطة.. عن حياء الإنسان وأدبه أمام ربه.

«كنيسة الوراء» أسسها عام ٧٩ «سياجو أولفور» وفى العام نفسه أعلن منزل خالته التى ربته بعد موت أمه كنيسة عامة للطائفة.

فى إحدى الليالى.. تسلق سياجو ومجموعة من أتباعه سور إحدى الكنائس

فى شمال كاليفورنيا وأيقظوا القسيس وطلبوا منه التوقيع على ورقتين.. الأولى تقول: إن المسيحية التى يعتنقها القسيس ليست صحيحة.. والثانية تقول: إنها فعلا صحيحة.. ولما استجاب القسيس تحت تهديد «الخرطوش» ووقع.. قتلوه.

وخرجوا ينشرون قصة الورقتين ليؤكدوا أن رجال الدين ليسوا إلا مجموعة من أصحاب المصالح.

وقبض البوليس على «سياجو» وحاكموه عام ٨٤.

فى قاعة المحكمة طلب «سياجو» الإذن بالكلام وسأل القاضى: «سيدى هل أنت مؤمن؟!».. فرد القاضى: «طبعا.. مؤمن بالله».. فقال سياجو وهو يصرخ: «إذن قل لربك أن يكف عن مضايقة ربى» وذهل القاضى، وطلب محامى «سياجو» أن يعرضوه على الطب النفسى وأن ينتظروا التقرير، ولما جاء التقرير أكد أن سياجو يعانى اضطرابات فى الشخصية وأنه ملىء بالإحباط العام.

وأُقفلت القضية عندما انتحر سياجو فى السجن. لما مات وجدوه ملقيا على الأرض فى وضع الصليب، فاتحا يديه وضاما رجليه.. وقد ترك ورقة كتب فيها: إنه اكتشف فجأة- ودون قصد- أنه المسيح.

وقتها تناقل الأمريكيون نكتة تقول: إن سياجو أول زنجى أمريكى يتقلد منصبا مهما جدا فى الولايات المتحدة.

■■■

ضمن «الكلام الفارغ».. ظهرت ٣٦ جماعة أخرى تنتظر يوم القيامة.. معظمهم قال: إنه أول يناير سنة ٢٠٠٠.. وبدأ الكثيرون منهم الإعداد لهذا اليوم.

جماعة «الحالمون بالأطياف الأولى» مثلا خلعوا ملابسهم كلها شهر ٨ عام ١٩٩٩ ووقفوا «عرايا» عند سفح جبل «أرارات» بتركيا، انتظاراً لقيام القيامة بعد نزول «شيث» ابن آدم.. أول نبى فى التاريخ.

أما «الهارونيون» أو «أولاد هارون» فقد بدأوا الاستعداد لسنة ٢٠٠٠ منذ

عام ٩٥، بقيادة «دارو أنديانو». دارو وأصحابه مصرون على أن النبى موسى سرق النبوة من أخيه هارون!! وأن هارون عندما تم تجنيبه اكتأب، وظل «لسانه لا يخاطب لسان أخيه»، حتى مات الاثنان بعد خروج بنى إسرائيل من مصر.

«أولاد هارون» يزعمون أن الله قد وعد هارون بأنه سوف ينزله للأرض من جديد قبل سنة ٢٠٠٠، حتى يستعيد نبوته التى سُرقت منه، وأن العالم سينتهى بسرعة حتى لا يتمكن أحد من سرقتها مرة أخرى.

أما «أبناء الضوء» فقد بدأوا الصمت التام.. وكفوا عن الكلام.. بعضهم صامت فعلا، وبعضهم لا يتكلم إلا قليلا جدا.. فالصمت سيساعدهم على تحرير أرواحهم.. وسيساعدهم- ايضا- على التخلص من كل ما اقترفوه فى حياتهم من ذنوب.

معظم جماعات «يوم القيامة» بدأت تتحرك فعلا، وبدأوا التخطيط لقتل أكبر عدد من الناس- تحضيرا لليوم المشهود.

أول الذين تحركوا.. جماعة «ايهود زائيفى» (٣٦ سنة). ايهود دعا كل زملائه من كل أنحاء العالم للتجمع فى إسرائيل على أبواب القدس القديمة انتظاراً لنزول المسيح.. وقيام القيامة عام ٢٠٠٠.

لم يكذب زملاء إيهود خبرا، فانطلقوا يأتونه من كل فج عميق، وفوجئت السلطات الإسرائيلية عام ٩٨ بدخول ٢٠٦٠ شابا من جماعة «زائيفى» خائفين من يوم القيامة.

جماعة زئيفى ليست خطرة، على عكس «أولاد هارون» أو «الحالمون بالأطياف الأولى».. الذين بدأوا فعلا فى القتل والاغتصاب وإتيان كل الفواحش لعدة أسباب.

القصة عند «أولاد هارون» أن نبى الله موسى عندما استعان بأخيه هارون كى يذهبا إلى فرعون مصر، اتضح أن هارون- بعد مقابلة فرعون- أفضل من أخيه. لذلك طلب الرب من موسى أن يدع النبوة لأخيه، إلا أن موسى رفض

وتعلل بأن هارون ليس مقبولا من قومه، ولا محبوبا.. واستطاع موسى «بطريقة ما».. أن يقنع ربه.

يقول «الهارونيون» إن هارون لم يكن يعلم شيئا، وبعدما عرف.. أصابه «القرف» من أخيه واكتأب وانطوى على نفسه حتى أنه رفض الخروج مع موسى واليهود من مصر أول الأمر.. لكن ملاكا من السماء جاءه وبشره بأنه سيموت وسينزل الأرض من بعد موته وقد دبت فيه الحياة من جديد.. وسيستعيد النبوة والقيادة والمقام المحمود سنة ٢٠٠٠ بعد ميلاد المسيح.

يزعم أولاد هارون أن الملاك الذى نزل قال لهارون إن موسى يجب أن يسقط فى الامتحان.. وسقوطه فى الامتحان يعنى سقوط كل أتباعه فى الخطيئة التى نهى عنها الله.

يعنى أمرين: الأول أن موسى الذى تصدى للدعوة لم يستطع أن يلزم بها الناس، والثانى أن هارون عندما يصعد للسماء لن يتكلم إلا بالخير عن أخيه.. إلى أن يأذن له ربه بالنزول مرة أخرى للأرض.. وتحقيق ما فشل موسى فى تحقيقه.

«أولاد هارون» يعرفون نسبهم حتى جدهم الأكبر هارون.. وكان عليهم قبل مجىء سنة ٢٠٠٠ أن ينشروا الرذيلة والفساد والشذوذ الجنسى بين أتباع موسى.. بعد ذلك يقتلونهم جميعا. لذلك فالجرائم واللواط والسحاق بينهم منتشرة. الشرط الوحيد ألا يمارسوا كل هذا ولا بعضه إلا مع من ليس من ملتهم!!

من مارس الرذيلة منهم مع «هارونى» أو «هارونية» مثله لن يشفع له، ولن يدخل الجنة.. ولن يسلم على هارون يدا بيد عندما ينزل على الارض من جديد.

إنجلترا وحدها شهدت أكثر من ١٠٦ جرائم عام ١٩٧٥ أبطالها «هارونيون»، كل جريمة يفاجأ رجال الشرطة أن المجرم فعل ما فعله من قتل واغتصاب لأجل «هارون».. وعندما يسألونه: هارون من؟!.. يجيب: هارون أخو

موسى بن عمران الذى خرج باليهود من مصر.

أما «الحالمون بالأطياف الأولى» فلا يصدقون أى نبى، ولا يقتنعون بأى كتاب، لأن النبى الوحيد عندهم «شيث» بن آدم.

«شيث» قال للمقربين منه بعد موت آدم إن العالم سينتهى بعد ميلاد المسيح بألفى سنة، وقال أيضا فيما يزعمون إن أحدا لن يصدق كلامه بعد موته.. أى بعد موت «شيث»، وأن المؤمنين به سيصبحون قليلين جدا.. حتى إنه لن ينتظر نهاية العالم عند جبل «أرارات» بتركيا غير مجموعة لا تتعدى الألف شخص.

الشائع بينهم أنه عندما قتل قابيل هابيل.. هرب القاتل وترك المكان بما فيه.. ترك أيضا زوجته وأبناءه يسكنون سفح جبل «أرارات» بتركيا، وقتها كان «شيث» صغيرا.. وعندما كبر تزوج من أخته «راياه».. وسكن معها ومع آدم- الذى لم يكن قد مات بعد- على قمة نفس الجبل.

خلف «شيث» ابن آدم ١٢ رجلا وامرأة، وعاش ما يزيد على ٦٧٠ سنة.. وفى آخر أيامه، كان يترك قمة الجبل كل فترة مع مجموعة من أبنائه بدعوى أنهم سيذهبون ليروا ماذا يفعل أبناء عمهم تحت الجبل.

طبعا لم يكن هذا هو السبب.. لأنه فى الحقيقة، كانت النساء من أبناء «شيث» قبيحات، على عكس النساء من أبناء قابيل.. وطبيعى أن يتسرب الرجال من فوق الجبل طمعا فى الجمال والرقة.

ومات «شيث» بعد فترة، لم يكن معه فيها إلا ابنه «إيراب». على فراش المرض.. قال «شيث» فيما تزعم جماعة «الحالمون بالأطياف الأولى» إن كل البشر من نسل آدم ملعونون إلا نسل «إيراب» الابن، الذى منه سيولد رجال صالحون يقتلون الخاطئين حتى يسلم العالم، وتبرأ الذمم وتستقر الضمائر.

بعد موت «شيث» انزوى «إيراب» وفصل نسله عن نسل الآخرين، وظهر من أولاده النبى «أخنوخ».. أو «إدريس» ومن نسل «ادريس» ولد نوح.. ولما جاء

الطوفان، استقر نوح بالسفينة على جبل «أرارات».. وهناك قال لأبنائه: إن كل البشر ماتوا ما عدا نسله.. وأوصى أنه إذا لقى أحد أولاده أولاد «إيراب» عليه أن يتبعه، لأنهم هم الوحيدون على الأرض الذين يعرفون متى تقوم القيامة.

أوصى نوح أيضا أن يفعل أبناؤه كل ما يأمرهم به أولاد «إيراب».. أما «إيراب» نفسه فقد لقن أبناءه أن العالم سينتهى فى تاريخ معين وأنه عندما يأتيهم الهاتف من السماء مبشرا بقرب النهاية.. عليهم أن ينزلوا فى الآخرين قتلا وسرقة وعذابا حتى يلقوا أباهم «شيث».. أطهارا.

عام ١٩٨٧ ظهر بالولايات المتحدة «أرنست بويان».. وهو أرمنى الأصل هاجر والده للولايات المتحدة.. وأرنست هو الذى اكتشف النهاية التى يقصدها ابن النبى «شيث»، لذلك ألف «أرنست» جماعة من المخلصين اختصهم بالمعلومات عن سنة ألفين التى سينتهى فيها العالم.. وحلف هؤلاء أمام الزعيم «أرنست» ألا يقول أى منهم أى كلمة لأى شخص عن ميعاد قيام القيامة الذى اكتشفه «أرنست» حتى لو كلفه هذا حياته.

بعدها بثلاث سنوات.. قبض البوليس على «أرنست» نفسه بتهمة إثارة الشغب بعدما أمسكوا به سكرانا، ورفض دفع الحساب لصاحب إحدى الحانات.. ولما جاءت الشرطة قام وكسر كل زجاجات الخمور، مؤكدا للضباط أنهم لا يعرفون من سيعتقلون.

ولما سألوه عن هويته.. قال: إنه حفيد «شيث» وابن «إيراب» حفيد آدم.. وبعد استجوابه أبلغ ببساطة عن جماعته، وأفرادها المقربين الذين اختصهم بالمعلومات وحلفهم ألا يخبروا أحدا عنها.

عام ١٩٩٠ حاكمت «أريزونا» ٢١٧ شخصا من «المنتظرين للأطياف الأولى»، وهرب عدد لا بأس به لمناطق متفرقة.

ما أثار الرأى العام الأمريكى وقتها، أن عضوا بالكونجرس جاء اسمه فى التحقيقات.. كما جاء اسم ابن الممثل «أرسون ويلز». وقيل: إن «أرنست

السكران» ذكر أكثر من اسم لضباط بالجيش الأمريكى ضمن أفراد جماعته.

المثير.. أن جماعة متمردى «الكونترا» (جماعة انفصالية بنيكاراجوا) أطلقت اسم «أرنست» فور اعتقاله على إحدى عملياتها العسكرية.. واتضح أن هناك علاقة من نوع ما بين «أرنست» وبين عضو بمجلس الشيوخ، وبين صفقات أسلحة من نوع ما بين الولايات المتحدة ومتمردى نيكاراجوا.

وانتهى الأمر بأرنست فى إحدى المصحات النفسية بالولاية نفسها، وعام ٩٤ حصل على بطولة المصحة فى الشطرنج، ومات سنة ١٩٩٧.. وقيل إنه مات من تأثير المخدرات وقيل إنه مات من جرعة زائدة من «شم البنج».. إلا أن أتباعه قالوا: إنه صعد إلى السماء يستعجل الهاتف!!.

وعندما يأتى الهاتف سيقتل «الحالمون بالأطياف الأولى» كل من يجدونهم فى طريقهم.. وسيصلون جبل «أرارات» منتظرين أن تقوم الساعة!!

■■■

١٩- النفق الذى يشاهده كل الذين ظنوا أنهم ماتوا وعادوا!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)﴾ صدق الله العظيم (سورة الواقعة ٨ - ١٧)

فى الستينيات وصلت نتائج «جاك بيكون» إلى أن هناك ما يسمى «النفق» يشاهده ويحكى عنه كل من وصل لخبرة الموت.. أو مات وعاد لحياة من جديد!! كما يزعمون

أما «سى كا» الذى اكتشف «جاك بيكون» أنه مات وأن نظام الشحنات الكهربائية فى مخه مازال يعمل بطرق مختلفة فقد نزل النفق- على حد قول «جاك بيكون»- فى كتابه «تجربة حياة مع الأموات»

كيف؟!

وجد جاك بيكون أن الشحنات الكهربائية حينما مات «سى كا» ازدادت بسرعة رهيبة، كما لو أن جسد «سى كا» ينحدر من مكان عال لمكان شديد الهبوط وهو ما لاحظه أيضا جهاز الكهرباء الكهرومغناطيسى الموصل لجسد «سى كا» الميت!! ما يعنى أن «سى كا» نزل النفق عندما طبق عدة طرق لإخراج الروح العجوز من جسده، الطرق التى أسر له بها «الفونيون الصينيون».

وعام ١٩٦٩، حكت «جانيت برونداوا» عن أنها شاهدت نفسها فى النفق الذى حكى عنه بيكون، وقتما كانت فى إحدى غرف العمليات بمستشفى

«الونزا بالولايات المتحدة الأمريكية».

فى العام نفسه قال «جوفرى ريمون» فى فرنسا نفس الكلام، وحكى عن تجربته مع نفق الموت، وكشف عن أسرار تتطبق مع نفس أبحاث «بيكون» الذى كان قد مات ذلك الوقت.

القصة المثيرة، قصة «ريان الديمورا»، شابة كانت سنة ١٩٦٩ فى الثالثة والثلاثين من العمر.

وفى النفق شاهدت أختها مورا« التوأم» وهى على طرف النفق الآخر، وعرفت فيما بعد أن «مورا» فى نفس الوقت الذى شاهدتها فيه كانت تعانى من متاعب فى الصدر، وفقدت القدرة على التنفس، إلى أن لحقها بعض الأطباء وأعادوا إليها الانتظام فى وظائف جسمها فعاد قلبها لضخ الدم من جديد لباقى أعضاء الجسم.

والواضح أن «ريان الديمورا» شاهدت أختها على أول طريق النفق فى الوقت الذى كانت أختها بدأت بالفعل تفقد حياتها، بينما كانت «ريان» فى غرفة عمليات بعدما تعرضت لحادثة سير أصابتها بغيبوبة مخية لم يعتقد الأطباء أنها يمكن أن تتخلص منها، فاعتبروها ميتة، لكنها استعادت وعيها بعد ١٦ يوما.. وفى نفس الفترة التى شعرت فيها «ريان» بأنها فى منتصف النفق.

قصة «النفق» من القصص المتعارف عليها منذ خمسينيات القرن الماضى، لكنها حتى نهاية الستينيات لم تخرج فى عرف الكثيرين عن كونها أسطورة من أساطير «المشعوذين» والدجالين. هى «كلام فارغ» عند معظم الأطباء والعلماء، فلا يمكن أن تخضع للبحث، ولا وردت فى كتب الطب كى يشملها منهج.

وقال «البير ريموان» الطبيب بمستشفى مونتبليه الإنجليزى عام ١٩٦٢: «المنهج البحثى هو الذى يتيح لك مراقبة ظاهرة معينة مراقبة يمكن تسجيلها، إضافة إلى أنه يعطى هذه الظاهرة بعد المراقبة الفرصة كى يخرج المراقب لها بقانون عام ينطبق عليها، لهذا ذاكرنا كتب الطب لأنها مليئة بالظواهر

والأبحاث، أو هى مليئة بالمبادئ العامة للأمراض ولوظائف الجسم البشرى، وعندما تراقب المبدأ، يمكنك بسهولة أن تراقب ظاهرة متفرعة منه.

قال «البير ريموان» كلامه بعد أن اشتهرت فى المستشفى قصة أحد الرجال الذى كان يعانى من غيبوبة مخية لعيب خَلقى فى أحد شرايين المخ انفجر فجأة.. وغاب الرجل عن الوعى، وظل ٤١ يوما على محاليل وفيتامينات، بعدما ركب له الأطباء أنبوبة رفيعة فى رأسه لشفط الدماء التى أحاطت بمخه كله.

قال الأطباء إن الحالة «ميئوس منها» وأنهم فى حاجة لمعجزة تنقذه لكن بعد ٤١ يوما عاد للحياة، وبدأ يتكلم بلسان ثقيل، وبدأ يستجيب لنغمات الموسيقى التى قربوها منه.. وهم غاية فى الاستغراب مما يحدث.

ولما أفاق الرجل و«اسمه آدم» من غيبوبته حكى عن تجربتين غاية فى الإثارة.

الأولى- كما يقول آدم فى حديث نشرته إحدى صحف التابلويد الإنجليزية- «فجأة شعرت بأن جسمى قد ثقل، وأنه فى الوقت نفسه بدأ يسرى فيه التنميل الشديد، بدأ التنميل من أخمص قدمى، شيئا فشيئا، بدأ لأعلى، وكلما شعرت بالتنميل فى منطقة بجسدى شعرت بالبرودة الشديدة فيها».

يكمل: «فجأة أيضا وجدت نفسى فى سقف غرفة العمليات، شاهدت نفسى مسجيا على سرير، وكان الأطباء مذعورين ويقولون فيما معناه: إنهم يجب أن يستعيدونى من جديد، وقتها تساءلت يستعيدوننى- كيف؟! ومن أين يستعيدوننى؟!

ولم ألحظ فى ذلك الوقت أنهم يتحدثون عنى أو عن هذا الشخص النائم أمامهم، مع أننى فى الوقت نفسه- أشاهد كل شىء وأسمع كل شىء أيضا فى مكان آخر.. أشاهد نفسى فوق هذا المنظر وهم لا يروننى.. أنا الذى أراهم».

أضاف: محاولاتهم لا تساعدنى وكما أتذكر لم تفلح، وسمعت أحدهم يقول: اسرعوا بالتدليك.. وعرفت أن قلبى توقف عن العمل، نتيجة انفجار شريان ما فى مخى كنت أعرف أنه عيب خَلقى ولدت به، ورأيت وجوه الأطباء شاحبة، والممرضات تجرى من هنا إلى هناك، وكما لو كان جاءنى هاتف يقول

لى: هيا بنا.. وفجأة هبطت النفق؟

النفق.. هو الشىء، الثانى الذى حكى عنه «آدم» عام ٦٢ وقال: «وجدتنى أنحدر بشدة، كانت سرعتى أميالاً، لم أر جسدى.. لكنى كنت أشعر بأن هذا الذى ينحدر هو أنا، إننى لا أستطيع مقاومة هذا الانحدار وربما أنا الذى لا أود مقاومته».. يضيف آدم فى حديثه مع الصحيفة الإنجليزية: «كنت أشعر بأن هناك كثيرين ينحدرون معى داخل النفق، لكننى لم أعرف أشكالهم، ولم أر أجسامهم، بمعنى آخر لم تكن لهم أجسام، سرعتهم فى الانحدار كانت أقوى من سرعتى وأشد».

«بعد فترة شعرت بأن هناك شيئا ما أوقفنى، وبدأت بدلا من أن أنزل أصعد إلى أعلى.. وفجأة عدت مرة أخرى لغرفة العمليات.. وجدت الأطباء سعداء هذه المرة، وهم يقولون: كفى هذا كفى هذا.. ابدأوا بالمنشطات الأمينية، ففتحت إحدى الممرضات أمبولة ووضعتها فى حقنة غرزتها فى وريدى بسرعة، كل هذا وأنا أرى كل شىء، وشعرت بمواء بعض القطط وكأنها معى فى سقف الغرفة.. وبعد فترة لم أع شيئا إلى أن قال لى أحد الأطباء وأنا نائم على سريرى بغرفتى بالمستشفى.. أهلا.. لقد حاولنا كل شىء لاستعادتك من جديد».

قلبت قصة «آدم» الصحافة الإنجليزية، وتهافت كثير من الجماهير على شراء الصحيفة، القصة ليست فقط غريبة، إنما على قدر من الإثارة، وربما حدثت لكثيرين لم يستطيعوا سردها، ولم تتوافر لهم فرصة نشرها. لذلك قال الدكتور «ألبير ريموان»: إنها قصة تفتقد للمنهج، ولا داع للاهتمام بها.. دكتور «ريموان» كان «طبيب باطنة» ضمن فريق الجراحة الذى دخل مع آدم حجرة العمليات ورغم أن آدم حكى فى مناظرة صحفية بعض العبارات التى حدثت بين طاقم الدكاترة وطاقم التمريض، وقال بالحرف الواحد كل ما جرى مع أنه كان تحت تأثير المخدر، لكن د.«ريمون» رفض تصديقه أيضا.

أواخر الستينيات عندما حدثت الوقائع الثلاثية لكل من «جانيت بروندوا»

و«جودفرى ريمون» و«رايان الديمو»، عادت قصة «آدم» وتفاصيل خبرته للسطح. ولعل أهم ما قيل بخصوص ما حكاه من تفاصيل أن الشىء الوحيد الذى يجعله على درجة عالية من الصدق، أنه سمع «مواء» قطط وأنه لم تكن هناك «قطط» فى غرفة العمليات. الأمر الذى عاد ببعض علماء الروحانيات إلى نظرية «الديبرشك» الأمريكية اللاتينية التى تؤكد أن القطط هى المخلوق الوحيد الذى يلتحق بالمنطقة الفاصلة بين الحياة والموت. (!!)

وهى كذلك ايضا فى المفهوم الشعبى. وما دام «آدم» قد حكى كل شىء عن تفاصيل الحوار بين الأطباء وهو غائب عن الوعى، ومادام سمع صوت «مواء قطط»، فالأكيد أنه دخل مرحلة الوسط بين الحياة والموت، ولما دخل النفق فإنه كان أقرب للموت، إلا أنه عاد مرة أخرى للحياة بعدما نجح الأطباء فى استعادته.

لكن الجمعية الإنجليزية (جمعية العائدين) فسرت الأمر بطريقة اخرى، ونشرت عام ١٩٧٠ لأول مرة بحثا يأخذ فى اعتباره القصص الثلاث للسيدات الثلاث اللاتى دخلن النفق عام ٦٩، مؤكدة أن السيدات الثلاث تعرضن لخبرة «الخروج من الجسد»!!

تفاصيل قصة «عائلة الديمورا» محيرة إلى حد كبير، ليس لأنها تتعلق بدخول «النفق»، إنما لأن الأخت الأولى أول ما أفاقت سألت عن أختها الثانية، رغم أنها لم تكن بالفعل تعرف شيئا عن متاعبها الصحية.

السبب الثانى أن الأخت «دورا» عندما شعرت باضطراب فى أجهزتها التنفسية، احتار الأطباء فى السبب، لأنها لم تكن تعانى من أى مرض أو عرض يجعلها مهددة بالوعكة التى ألمت بها.. أما السبب الثالث والأكثر إثارة أن الأختين «الديمورا» توأم، وقال لهما أحد العرافين فى «جواتيمالا» إن روحيهما مرتبطتان ببعض، وأن موت إحداهما يعنى موت الأخرى ولما تعرضت الأخت الأولى «رايان» لحادث سير بعد أن صدمتها سيارة مسرعة بأحد الشوارع بولاية كنتاكى، شعرت الأخت الثانية بزغللة ودوار حاد، فى الوقت الذى كان

الأطباء يحاولون إنقاذ «رايان» وقاربت محاولاتهم على الفشل، فدخلت رايان «النفق» وحدث ما أطلق عليه العلماء «اختلال الميزان الروحى» الأمر الذى ينطبق على المرضى المتخلفين عقليا والأطفال المنغوليين.

ظاهرة الاختلال الروحى ظهرت بشكل حاد عند المراهقة «الينا روبرت»، التى تعرضت لحالة «غيبوبة» عندما قارب أبوها على الموت بثلاثة أيام، كذلك شعرت بنفس الأعراض عندما قاربت أمها على الوفاة عام ٦٣.

قبل وفاة أمها بساعات عام ٦٤ بدأت بالكلام عن «النفق» و«الانزلاق السريع» والظلام الدائم داخله.. نفس التفاصيل التى حدثت للأختين «الديمورا».

ثبت لدى الجماعة الإنجليزية للأرواح.. أن هناك طريقة ما تربط الأرواح ببعضها البعض، وأن هذه الطريقة ليست كيميائية ولا فسيولوجية، إنما مجموعة من الروابط البيولوجية لها علاقة كهربية بين جسد وجسد، ليس بالضرورة أن تكون هذه العلاقات بين التوائم فقط، وليست علاقة بين الأقارب فقط أيضا، إنما هناك صور كهرومغناطيسية تربط الأرواح المتقاربة فى المواد والعناصر.

الجمعية الإنجليزية للأرواح تضم فى عضويتها الأمير تشارلز ولى العهد الإنجليزى والكونت «رونالد» سليل العائلة المالكة الإنجليزية والأمير «فيليب» ابن الأميرة «مارجريت» إحدى أفراد العائلة المالكة السويدية، وكثيرا من الشخصيات العامة الذين يبحثون عن «سر الأرواح».

حددت الجمعية عام ١٩٧٩ مواصفات الأرواح الإنسانية، فيما يسمى بنظرية العناصر المتداخلة. وقالوا: إن الأرواح تنقسم أو تصنف على إما «ترابية» أو «نارية» أو «مائية».. التصنيف نفسه الذى اعتمد عليه الفلكيون فى تصنيف الشخصيات الإنسانية.

ووصلت هذه الجمعية عام ٨١ إلى أن الأرواح ذات العناصر المركبة المختلفة يمكن أن ترتبط ببعضها البعض، وكذلك يمكن أن تدخل النفق مع بعضها.. أيضا!!

٢٠- «ديمترا» التى لا تموت أبداً لم تستطع إعادة ابنتها المخطوفة!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩)﴾ صدق الله العظيم (سورة الأعراف الآية ٢٩)

الديانة الأليوسية كانت تعتقد فى انتقال الروح من جسد لجسد وأنه لا موت لمن يؤمن بها!!

الأليوسية إحدى الديانات الشرقية القديمة. استمدت اسمها من اسم منبعها.. مدينة تبعد عن «أثينا» ستة عشر كيلومترا، ويربط بينها وبين «أثينا» طريق مقدس.. وآلهة تلك الديانة اسمها «ديميترا» مانحة الحياة والنماء، أما ابنتها «برسيفونى» فقد خلقت الخصوبة فيما بعد، بعدما دخلت أمها الخلود، حيث تولت الابنة مقاليد الأمور.. و«حكم الديانة»؟!

الكتب تقول إن الأليوسية بدأت باختطاف الإلهة «بلوتو» برسيفونى ابنة الإلهة «ديميترا»، ولما تمزق قلب الأم «ديميترا» حزنا وكمدا على ابنتها نصحها البعض بالكف عن النحيب، والبحث عن «برسيفونى»، فتجولت الأم فى كل البلاد.. حتى وصلت لمدينة «أليوسين» متنكرة فى زى امرأة عجوز، متشحة بالسواد، مهيبة المنظر.

هناك، عرضت أن تشتغل خادمة فى البلاط الملكى، أو مربية لابن الحاكم فوافق الملك.. وفرحت زوجته وقدمت كل العون لتلك الغريبة الطيبة فى دنيا مليئة بالذئاب.. لذلك فكرت «ديميترا» فى رد الجميل.. بأن تهب الخلود لابن الملك الوليد!!

فى غرفة مظلمة، وضعت «ديميترا» الطفل بين رجليها، وبدأت طقوسها، لتراها الأم الملكة بالصدفة، وتزجرها، فزعة مما تفعله العجوز.. ثم تأمر حراسها بالقبض عليها قبل إيذاء الطفل. هنا كشفت «ديميترا» عن شخصيتها، وطلبت من أهل «أليوسين» أن يبنوا لها معبدا، وأن يعبدوها ولا يشركوا بها شيئا.. ثم تمنح الخلود للرضيع، هو ومن لبّى دعوتها.. وقدسها من أهل المدينة، وانطلقت مرة أخرى للبحث عن ابنتها المخطوفة!!

الاحتفال «بالأليوسية» يتم سنويا حتى اليوم.. ويبدأ ليلة الثانى والعشرين من سبتمبر.. يحمل الكهنة الإلهة الأم «ديميترا» فى شكل تمثال من مدينة «أليوسين» مارين عبر الطريق المقدس الذى سلكته «ديميترا» متخفية حتى وصلت «أليوسين».

وفى اليوم التالى يعلن الكاهن الأكبر بداية الاحتفال، ثم يبدأ معتنقو «الأليوسية» الاغتسال، ليذبحوا خنزيرا صغيرا- رمزا لابن الملك- وينثروا دماءه على أجسامهم، ويبدأوا صياماً قبل نهاية الاحتفال ثلاثة أيام، كانت قد انقطعت فيها «ديميترا» عن الطعام بعد خطف ابنتها.

■ ■ ■

«بوذا» الحكيم له قصة تؤكد أن روحه لا تموت ايضا، وأن البوذيين تتناسخ أرواحهم من جسد لجسد.

أيقن بوذا ذات ليلة، أنه أصبح «بوذا» أى «المخلص» و«الإنسان المستنير» عالم الحق.. وقتها تساقطت عند قدميه هموم الدنيا كلها.. بعدما انكشفت أمامه، وانكشف عنه الحجاب.

واهتدى لطريقة حل جميع المشاكل. الحل فى معرفة الحقائق النبيلة، وقد ركز «بوذا» تلك الحقائق فى هدف واحد.. تتجلى بعده أو عنده كل الحلول الفرعية. الهدف الإيمان. الإيمان الشديد أنه لا حياة دون نظرة عميقة.. ثاقبة، نظرة لكل شىء، وفى كل شىء.. فكرة صحيحة وفهم صحيح وبالتالى عمل

صحيح ثم تأمل صحيح، وأخيرا كلمة صحيحة.

كل هذا لن يتأتى إلا مع الإيمان بأن الحياة فى عمومها تعيسة، مصدر التعاسة شره الإنسان وأنانيته، وحبه لذاته. كل تلك الكوارث لن يستطيع الإنسان الفكاك منها إلا بالزهد.. والرفض.. زهد كل شىء ورفض كل متع الحياة، فمتع الحياة صورة براقة.. خاوية من الداخل.

هنا فقط، يصل الإنسان لما يقترب من الكمال، والتجرد، أصل العالم.. وحقيقة المخلوقات، وبالزهد يصعد الإنسان سلم الخلود.

هناك.. الدرجة العالية من الشفافية، أما حيث تختفى الشهوات والرغبات. هناك أيضا كل شىء «عدم».. كل شىء خاو وفارغ فى أعماقه، أو لا شىء فى أصله.

والخلود يبدأ فى مرحلة طلب اللاشىء.. ورفض أى شىء أو قل ما بدا ماديا من أى شىء.

لذلك زهد بوذا حياته مترقبا «الإيمان الجديد». وما إن بلغ عامه الحادى والعشرين حتى هجر بلدته متفرغا للتأمل والبحث عن الحقيقة.. متحولا لصعلوك محترف.. متجولا.. متسولا.. ومتبولا على نفسه أيضا.

استقر بعد فترة دارسا على يد رجال دين التبت.. هناك اكتشف أن حلول مشاكل خلق الله عنده وليست فى الكتب. والزهد هو الحل الوحيد والأسرع.. أو هو الأفضل.

وهو ما فعله «بوذا» فعلا، فامتنع لسنوات عن الأكل.. إلا القليل، والشرب أيضا، لكنه سرعان ما اكتشف أن ما يفعله لا يفيد فى شىء بقدر ما تفيد دعوة الناس لاكتشاف أخطائهم، ومن ثم ردهم إقناعا وترغيبا للصواب.

فاستقال من إضرابه.. أخذ إجازة بدون مرتب من صعلكته، ومشى مبشرا بين الناس، أو هو «صايع» بين الناس بدلا من «الصياعة» بمفرده.. ووحده.

لم تكد تمر سنوات قصيرة حتى انتشر مذهبه دونما يراه أحد، حتى

تلاميذه لم يعودوا يرونه.. لقد ذهب «بوذا» دون رجوع، قيل إنه رفع للسماوات.. وقيل إنه فى مكان ما على الأرض ينتظر ساعة الخروج!!

ومع أنه اختفى إلا أن كلماته مازالت أعلى معبده بالتبت «إن الحياة تعيسة شاقة.. حب الإنسان لذاته هو الأصل فى تلك التعاسة.. فلتزهدوا.. وليزهد الكل».

بعد الاختفاء الغريب، والمفاجئ، انتشرت البوذية بسرعة فى كل أرجاء القارة الآسيوية تقريبا، إضافة لشعب جزيرة الهند.. وفى القرن الثالث قبل الميلاد، تحول الإمبراطور «أشوكا» الهندى من البنجيبا للبوذية، ما أدى لانتشارها فى سيلان وبورما وجزر الملايو وإندونيسيا ثم أفغانستان والصين.. وبعدها كوريا واليابان.

وظلت «البوذية» الدين الرسمى للتبت.. ودول أخرى كلهم قدسوا «بوذا» وألهوه.. أما عند جماعة «الأبنشوا» و«الدانشوا» (مجموعة من جماعات تناسخ الأرواح) سوف يعود بوذا من جديد بجسده وشحمه ولحمه، ومعجزاته.

■■

بوذا كما تقول الأسطورة ولد من العذراء «مايا» بغير رجل، وقيل إن ملكا صينيا تبناه فى عامه الخامس عشر وجاءت ولادته بعد حلول الروح المقدسة عليه، فنزل فورا من مقعد الأرواح فى السماء ليدخل جسد أمه، التى صار رحمها شفافا كالبللور النقى، وظهر منه بوذا كزهرة جميلة.. تسر الناظرين.

دل على ولادة بوذا نجم فى السماء لم يظهر من قبل.. وفى البوذية فرحت جنود السماء بمولده ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين:

«بوذا اليوم على الأرض»

منقذا متجدد الروح دائما!!

مرسلا النور إلى الفجوات المظلمة

واهبا بصرا للأعمى

شافى السريرة والمرض

شافى أهل الأرض.

وقد عرفه حكماء زمانه وأدركوا أسراره اللاهوتية، ولم تمضى أيام على ولادته، حتى جاء الناس داعية إله الآلهة، مقدمين هدايا عديدة.. ثمينة، مجوهرات وماسات نادرة. ولما وصل خبره للملك «جمارا» سعى لقتله، خائفا على ملكه من أن ينتزعه هذا الغلام إن بقى حيا كما أخبره كهنته، إلا أن أم الطفل هربت به لمقاطعة أخرى وأخفته هناك، لينجو من مكيدة نصبت حوله.. ومؤامرة حاكوها ضده.

ما هى إلا فترة، حتى بدأ بوذا دعوته، لكن مارا «الشيطان» ظهر له محاولا توقيفه وتضليله، ووعده بإمبراطورية العالم لو ترك ما كلفه به ربه.. وساومه رهبة أو رغبة.. إلا أن بوذا زجره ثم رجمه بالحصى حتى ابتعد.

وأمطرت السماء زهرا على الفور، وعبق الهواء بعبير الطيب.. انتصر «بوذا» على «جمارا» وبدأت الدعوة المنتظرة.

وعندما مات دفن، فشق قبره بقوة من قوى ما فوق الطبيعة معيدا نفسه للحياة.. وقتها أوصى أتباعه وتلاميذه بالشفقة والحب.. وأكد لهم أنه سيعود للأرض آخر الزمان، ليواصل دعوته.. ويستعيد مجده، ثم يملأ الأرض سعادة ونعيما، قبل الخلاص.

بعد الخلاص سيوكل لبوذا حساب الناس على أعمالهم، وقد روى عنه بعد قيامه قوله: «إننى أحمل سيئات البشر عنهم ليصلوا إلى السلام» وقوله لتلاميذه: «أخفوا أعمالكم الطيبة، وأعلنوا على إخوتكم سيئاتكم التى ترتكبونها» ثم نادى بعدم الزواج، وشبهه بالاحتراق فى الفحم.. إلا أنه أجازه فقط عند الخوف من الزنا.

هكذا نصح تلاميذه طرح دنياهم جانبا، متنازلين عن غناهم ومالهم وأملاكهم، مؤثرين الفقر ليقبلهم أتباعا فى دعوته.

وكريشنا له نفس القصة عند البراهمة الهنود. فهو لا يموت ايضا، وتبقى روحه تبقى هائمة إلى أن يستدعيها أحد البراهمة. والمؤمن منهم يصل بسرعة إلى ما وصل إليه براهما. فروحه تستطيع أن تنتقل من مكان لمكان ومن جسد لجسد.

ولد كريشنا من سيدة اسمها «ديفاكى».. وقد مجدت الملائكة «ديفاكى» الأم، وابنها كريشنا قائلين يوم ميلاده: يحق للكون أن يفاخر بالابن الحكيم.

حامى الكون!!

منعم الإنسان!!

مخلص روحه من مادتها!!

«كريشنا» عرف يوم مولده من نجم ظهر فى السماء، وسبحت الأرض باسمه، وأنارها القمر بنوره، كما ترنمت الأرواح وغنت.. ورتل السحاب أيضا.

وقد عرفت إحدى البقرات «كريشنا» وعلمت بألوهيته.. فسجدت له! وآمن الناس به بعدها، واعترفوا بلاهوته.. ليقدموا له هو الآخر هدايا من صندل وطيب، وطار الخبر هنا وهناك، حتى وصل أسماع ملك الهنود «نارد».. و«نارد» كما يحكى كان جبارا شقيا، وكان غبيا يعانى عيب عقلى، وصل له الخبر وهو يلعب «الشطرنج» مع وزيره.. وأيقن مما وصف له أنها أيام ميلاد الطفل الإلهى، وأن «كريشنا» ذلك الطفل. فزاره فى مدينة كركول، فاحصا ما فوقه من نجوم ليتأكد من أنه الولد المزعوم.. المنتظر، كما تنبأ حكماء الزمان القديم، لذلك سعى لقتله.

فى ديانة البراهما.. أن «كريشنا» انبثق من الإله براهما، رب الأرباب الذى أوجد نفسه قبل الخلق، وخلق الخلق.. ثم سمى نفسه الخالق.

أما ابنه «كريشنا» فهو الذى خلص الإنسان وأبناءه من المادة وحاول مساعدتهم لمعرفة سر الروح البشرية.

كثير من طوائف البراهما يقولون: إن أى رجل صالح هو «كريشنا» وأن أى

روح صالح هى «كريشنا» ايضا، وكريشنا تعنى «الروح الجيدة» وهى الروح التى لديها القدرة على الانتقال من جسد لآخر، فلا زمن ولا موت!!

الإله البابلى «بعل» صورته رسومات قديمة نُقشت عليها قصة ميلاده ومحاكمته ثم مماته وقيامته من جديد.. القصة بدأت بأسره واقتياده للمحاكمة بعدما نطق بأفكار ترفض الأصنام وعبادة الأوثان.

حاكموه.. وحكموا عليه بالإعدام، لكن الجماهير الغاضبة كان حكمها أعنف وأسرع.

لم تنتظر تنفيذ الحكم فاعتدوا عليه فور خروجه من قاعة المحكمة.. جرجروه على الأرض، مزقوا ثيابه.. فضحوه وجرحوه.. قبل أن يفض الاشتباك جنود الملك.. واقتيد «بعل للسجن». وفى الصباح.. نفذوا فيه حكم الإعدام.. على قمةالجبل.

فعم الظلام وانطلق الرعد.. واضطربت أحوال الناس.

ويقال إن «بعل» استطاع أن يقاوم الموت.. ورأوه يضحك وهو يفصل روحه عن جسده، وفيما كان أتباعه يبكون قال «بعل» إنه سوف يبعث من يعلمهم كيف يفعلون مثلما فعل.. فتظل أرواحهم حية لا تموت. وبعث لهم بعدما مات بشخص اسمه «جينوا» اكتشفوا بعد ذلك أنه هو بعل نفسه، وهو يحمل روح البعل، واستطاع أن يعلمهم كيف يحافظون على أرواحهم حية لا تموت.

تقف جماعة «الأبشوا» فى إحدى الغابات كل عام للتأمل.. يجيئون من مختلف أنحاء العالم.. مرة واحدة للعب «اليوجا» وممارسة تشبيك الأيدى فى دوائر صغيرة تحوى كل منها خمسة أو ستة أشخاص.

اليهود أيضا يفعلون هذا.. يلتفون فى دوائر صغيرة للصلاة على حد ضرورة الصلاة الشرقية. واليهود لا يقيمون صلواتهم إلا إن كان فى مدينتهم عشرة رجال.

أما إن قل عدد الموجودين عن عشرة رجال بالغين فى البلدة كلها، فلا تقام لهم صلاة.

وهناك ١٥٠ سيدة يهودية فى مصر لا يصلين إلا فى منازلهن لأن مصر ليس بها سوى رجلين يهوديين فقط بعدما مات عم «شحاتة» أكبرهم سنا عام ٩٦.

تأمل «الأبنشوا» يتم لساعات طويلة بغابات سيبيريا وغابات حوض الأمازون، وأحيانا يستمر تأملهم صامتين لعدة أيام دون انقطاع. فاتحاد الأرواح بعضها مع بعض لا يتم دون تأمل، فى الوقت نفسه لا خلاص.. أو لن يحدث الخلاص، ولن يكتب له أن يحدث دون اتحاد الأرواح كلها مع بعض، ولا خلاص.. دون تأمل.

كلها دوائر مغلقة على بعضها تبدأ من الاعتقاد فى الطاقة الكامنة، ثم معرفة مصدرها ثم «التأمل». ومحاولات اتحاد الأرواح كلها مع بعضها البعض.. مرورا بطريقة أو أسلوب إخراجها.. ثم أخيرا الرغبة فى الخلاص.

يتأملون.. ويعتقدون ويلعبون «آليوجا» منتظرين.. أى شىء.. خلاصا.. واتحادا روحيا. رغبة فى موت أرواحهم بعد هيام طويل.

كلام عجيب

■■■

«كريشنا».. طلب الخلاص أيضا بالتأمل.. مثلما فعلت ديانات طويلة عريضة منذ احتاج الإنسان لدين، أو اخترع دينا ثم صدق أن دينه ليس من اختراعه.

و«كريشنا» هو إمام أو نبى الديانة «الهندوكية» وهو عند «الأبنشوا» رجل صالح استطاع أن يصل لما أراد، لذلك يحتذون حذوه، ويفعلون كما كان يفعل.

«الأبنشوا» يفعلون ما كان يفعله بوذا، وهم يصومون.. كما صام بوذا وكريشنا، ومنهم نباتيون لا يأكلون اللحم.. كثيرا ما لا يأكل عدد كبير منهم أى روح.. فالروح إله.. أو هى الطريق للإله ولا يجب أن تعامل هكذا!!

٢١- الناس تشبه بعضها في الأرواح أيضاً!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾

صدق الله العظيم (سورة الشورى الآية ٥٢)

عندما صنفت الجمعية الإنجليزية الأرواح الإنسانية كان أساس تصنيفها علم الفلك.

العناصر الأساسية للروح الإنسانية كما وصل لها أفراد الجمعية هى «الماء» و«الهواء» و«التراب» و«النار»، نفس التصنيف الذى وصل إليه الفلكيون فى تقسيمهم للأبراج.

هم يؤكدون أن صفات الإنسان المادية وسلوكه يتحدد بهذه العناصر، وقالت الجمعية الإنجليزية إن تصنيفها أيضا يعتمد على الأرواح، أو تعتمد الأرواح الإنسانية عليه.

كل روح حسب عناصرها المركبة، أما التصنيفات الفلكية فلها دلالات علمية ومنطقية أيضا، فعندما يولد الإنسان، تتشكل العناصر المكونة لجسده حسب أوضاع النجوم والكواكب.

فكرة قريبة الشبه بفكرة المد والجزر، فالقمر له مجال جاذبية مغناطيسية لباقى العناصر فى جسم الإنسان، ويفعل فيها ما يفعله قرب القمر من الأرض، فيسحب ماء البحار للداخل، بينما فى حالة ابتعاده تزيد مياه البحار والأنهار

عن حواف الشواطئ.. وتبدو لو أنها زادت كميتها مع أن الكمية تقريبا واحدة.

وهو نفس ما يحدث للإنسان.. فالمعروف أن الجسم الإنسانى يتكون من أكثر من عنصر من عناصر الحياة، ولديه خواص لها نفس خواص التربة والنبات وأيضا خواص الأرض والجبال والماء وكل العناصر الموجودة فى الكون. ولا يوجد عنصر كونى إلا وداخل جسم الإنسان شكل منه.

فالفوسفات والحديد والقصدير كلها عناصر مركبة داخل أجسام البشر، والإنسان الذى يولد على حسب حركة كواكب معينة وفى أوضاع معينة، يكتسب نفس الصفات لإنسان آخر ولد فى نفس الفترة من العام.

ولو فرضنا أن كوكب المشترى اقترب إلى حد كبير من أقرب الخطوط للأرض، وولد شخصان فى هذا التوقيت فى لحظة واحدة، فإن هذين الشخصين تكون لهما نفس الطباع. فإذا كان كوكب المشترى يجذب مثلا الفوسفات فى الجسم البشرى، وعندما يبتعد يزيد إفراز الفوسفات فيه، وإذا كان الفوسفات نفسه هو المسئول عن تصرفات وسلوك الإنسان الاندفاعى، فالشخصان المولودان فى نفس اللحظة لهما نفس السلوك الانفعالى!!

هذا بالفعل ما أكده الطبيب النمساوى «ديمترى ديلفوك» عام ١٩٩٥. «ديلفوك» أشار إلى نقطة غاية فى الأهمية.. قال إن ٨٠ فى المائة من الرجال والنساء الذين يشبهون بعضهم حول العالم مولودون فى أزمان متقاربة، لا تزيد على دورة فلكية «أقل من ثلاثة أشهر». وأن مولود برج الجدى فى ٨٠ فى المائة أيضا من الحالات يشبه مولود البرج الذى يليه أو الذى يسبقه. وعلى هذه النظرية فإن نصف ما يقوله العلماء بخصوص الأبراج الصينية قد يصح.

ما يهمنا هو «الروح» وعناصرها ومواصفاتها لدى الجمعية الإنجليزية.

الأرواح تتشابه، هذا هو الملخص.. أما كيف تتشابه، فهذا هو آخر تفصيل للجمعية الإنجليزية منشور سنة ٨٨ فى ملخص خاص يحمل شارة هيئة العلماء المعنيين من هيئة علماء الجمعية.

التقرير يشير إلى: «أن الأرواح الإنسانية وفق آخر اعتقاد لهم- مجموعة متناثرة من الموجات الراديوية «الكهرومغناطيسية» لها تردد مختلف. لها فى الوقت نفسه حد أعلى وحد أدنى. لذلك وضعت الجمعية مقياسا اسمه «رون» وهو اسم العالم الإنجليزى الروحانى الذى وضع هذه النظرية، وقالت إن أى روح إنسانية لا يزيد حجم ترددها المغناطيسى على ٢٠٠ «رون» بينما لا تنخفض عن ٥٠ «رون» ».

قال التقرير أيضا «إنه يمكن أن يزيد التردد أو ينخفض لدى الشخص الواحد بما لا يزيد على ٣٠ «رون»، ما يؤثر على حالته الصحية وحالته المعنوية. أما إذا زاد تركيز الشخص العادى واستخدم تمارين روحية، فالزيادة تعلو على ٢٠٠ «رون» وتتعدى الـ ٢٥٠ «رون» احيانا.. ووصل التقرير إلى النتيجة الأكثر إثارة... ففى حالة الزيادة إلى ٢٥٠ «رون» فإن الأشخاص الذين وصلوا لهذه النقطة يمكن أن يتصلوا ببعضهم البعض وأن يتلاقوا عبر الزمن وعبر الأماكن مهما كان البعد ومهما كان الزمن.

وأن الذين يصلون لمرحلة ٢٥٠ «رون» هم «الأصفياء» الذين تكلم عنهم الهنود.. وهم أصحاء النفس الذين حكى عنهم «بوذا» و«زرادشت» وهم الذين ينشدون الروح، فنزكوا الدنيا ومادتها.

وأشارت الجمعية إلى أن الوصول إلى ٢٥٠ «رون» يكسب الجسد والروح مهارات ليست طبيعية ولا يمكن أن تفقد حتى لو هبطت المستويات الرونية إلى الحضيض فيما بعد، مع ملاحظة أن الانخفاض إلى أقل من ١٠٠ «رون» يصيب الروح الإنسانية بالاكتئاب، بينما يصيب هبوط الرونات إلى مستوياتها الأقل كيمياء المخ بالعطل والتخبط.

لذلك فإن «الرونات» التى اكتشفها الإنجليز هى العلاقة الأكيدة «وفق نظرياتهم» عما يحكى من أسرار وألغاز وحول علاقة الروح والجسد. ومع حدث وفاة التوأمتين الإيرانيتين «لاله ولادان» ونظرا للشهرة التى اهتم بها

العالم كله لعملية الفصل بين التوأمتين قال الطبيب الرومانى الهندى «ديهاربيه» بعد وفاة التوأمتين بـ٢٤ ساعة: «هذا هو المنتظر فهما ماتتا لأن الأطباء قتلوا واحدة أولا، ولم يستطيعوا أن يحافظوا على الثانية لأنه كان لابد لها أن تلحق بأختها حسب تقدير التعادل الروحى بين الاثنتين».

كلام «ديهاربيه» لفت أنظار الكثير من الروحانيين، **أولا** لأن كلامه قريب الشبه إلى حد كبير بنظرية «الرونات».

وثانيا: لأن الدكتور ديهاربيه- كان حتى عام ٩٥ من أشد المعارضين لنظرية «الرونات» هذه. لكن «ديهاربيه» نشر مقاله الذى أكد فيه أنه لم يكن ضد نظرية «الرونات» إنما ضد تفاصيل كثيرة فيها. وبعد فترة قال إن النظرية نفسها يمكن أن تؤدى لعدة قوانين تقود إلى صيغة جديدة فى نظريات عالم الأرواح بشكل عام.

قال «ديهاربيه»: «نظرية الرونات تفترض أن الرونات الإنسانية لها مقاييس يولد بها الأشخاص، وأن هذه الرونات تتراوح بين ٢٠٠ إلى ٥٠، لكن هذا يصيب النظرية بالقيد الحاد الذى لا يمكن أن تتخلص منه فيما بعد، لأن العلوم الإنسانية أكدت أن أى درجة موجات ليست لها مقاييس ثابتة، فموجات سرعة الصوت لا حد لها، وموجات سرعة الضوء أيضا لا حد لها، والموجات الكهرومغناطيسية ليست لها هى الثالثة مجال محدد، إنما الإنسان هو الذى صنع لها مقاييس ووضع قواعد لكل مقياس، بحيث يمكن قياس هذه الدرجات من الموجات.

يكمل «ديهاربيه»: «ليس لأننى وضعت مقياسا لشىء، إن هذا الشىء لا يمكن أن يخرج عن المقياس الذى وضعته أنا، فالمقياس الذى أوجدته فى وعيى الخاص، لكن خارج وعيى ليس هناك مقاييس ولا ضوابط، لأننى لا أتحكم فى هذه الموجات، ولأننى أيضا لا أستطيع أن أتحكم فيها، إلا بقدراتى.. وهذا لا يلغى أن لها قدرات خاصة».

وقال «ديهاربيه» الهندى: «الخلاصة التى وصلت لها أنه من المنطقى أن يكون البشر متساوين فى قدراتهم أو استعداداتهم الطبيعية الروحية، والكل يولدون متساوين فى هذه الموجات، لكن الذى يصل إلى أكثر من ١٠٠ «رون» فهو ذلك الشخص الذى استطاع تنمية هذه القدرات، فجعل لها شكلا معينا يستطيع أن يصل بها فيما بعد إلى ٣٠٠ رون».

وقال «ديهاربيه» أيضا إن معنى الوصول إلى «٣٠٠ رون» هو أن تصل الروح إلى مرحلة التنقل الكامل عبر الزمن، وهى مرحلة الخفة الروحية التى أسمتها الديانة البوذية بـ«النيرفانا» وقال «بوذا» عن «النيرفانا»: «إنها التى تتساقط فيها كل أوهام وهموم الدنيا تحت قدميك، فلا تعى لا زمنا ولا وقتا ولا غرضا فى أى شىء، وتنفصل عموما عن الحياة بحلوها ومرها، وتخلق لنفسك عالما جديدا».

عندما سألوا «بون يان اى» أحد رهبان البوذية فى التبت عام ١٣٠٠ ميلادية عن المكان الذى ينام فيه قال: «أبيت أحيانا فوق السحاب، وأحيانا أنزل لباطن الأرض» فقالوا: كيف؟ قال: «لا أعرف معنى واحدا لكلمة كيف ولا أفكر فى كيفية ما افعله.. إن روحى تقودنى».

أما الحكيم البوذى «رانك» فقال: «أرواح البشر تقودهم نحو المادة فيفعلون ما يفعلونه دائما كى يحصلوا على المزيد منه، لكن لا يوجد إلا القليلون الذين يضيفون إلى رصيدهم الروحى مزيدا من الكميات الهائلة من الخبرة الروحية».

الدكتور «ديهاربيه» كان يقصد كل ما قاله هؤلاء الحكماء عندما تكلموا عن عالم الأرواح.

كلامهم ينطبق بصيغة ما على تصوراته واقتناعه الكامل بما يقول وبما وصل إليه. ولأن الإنجليز- على حد قول ديهاربيه- ماديون إلى أقصى الحدود، فهم لم يعرفوا أى نظرية من النظريات القديمة التى تثبت نفسها من آن لآخر بالرغم من تقدم الزمن.

لما ماتت التوأمتان الإيرانيتان قال «ديهاربيه» «إن الجراحين كان يجب أن يعرفوا أن موجتيهما الروحيتين متشابهتان للغاية، بمعنى أن تنمية هذه الموجات لدى كل واحدة فى الاثنتين كان يتم بالتوازى مع الأخرى، ليس لأن الربط فسيولوجى، لكن لأنه ربط «جوار» وربط «دماغى».

أى توأم ملتصق لا يمكن فصله دون «فصل روحى».. لذلك يعتبر التصاق الرأس هو الأصعب، إذ إن الموجات الكهرومغناطيسية تتناقل ذهابا وإيابا بين هذا الرأس والرأس الآخر، ودون أن تعلم الفتاتان أن هذا يحدث.

لا يعنى الكلام أن «التوأمتين» كانتا تمارسان تمارين روحية، لرفع «الرونات» لديهما، لكن الأكيد أنه مهما كانت الرونات لدى كل منهما فى حدها الأعلى أو فى حدها الأسفل فإنهما كانتا مرتبطتين إلى حد التلاصق.

النتيجة التى وصل إليها «ديهاربيه» هو أنه كان من الضرورى فصل الروح عن «لاله» و«لادان»، وكان من الضرورى ايضا أن يوضع فى اعتقاد كل منهما أن أى واحدة يجب أن تواجه الموت وحدها، حتى لا يحدث ما حدث.

قال «ديهاربيه» «إن إحداهما لما توفيت، لم تستطع الأخرى المقاومة، وبالرغم من أن الأخرى تحت تأثير «البنج» إلا أن روحها كانت فى وعى كامل بما يحدث، لذلك لم تقاوم. الأمر الذى أدى إلى تدهور حاد فى الوظائف الفسيولوجية مع عوامل أخرى طبية، لكن العوامل الروحية ساعدت بالفعل على موت الاثنتين وربما دخلت إحدى الفتاتين «النفق».. وشاهدتها الأخرى، ولم تستطع أن تقاوم اصرار «روح» أختها على الاتجاه للنهاية.. نهاية النفق!!

■ ■ ■

٢٢- قالوا إنهم وصلوا لسر الروح!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦) ﴾ صدق الله العظيم (سورة الإسراء الآية ٣٦)

الديانة الهندوسية.. أول من أسس طقوس «التأمل» على الأرض. اعتقد الهندوس أن الروح لا تفنى إنما تتنقل من جسد إلى آخر.. من شخص لشخص.. حتى الخلاص.

وظهر «كريشنا» قبل ميلاد المسيح «عيسى ابن مريم عليه السلام» بأكثر من أربعين قرنا، ونادى بتقديس الروح.. ونبذ المادة«!!» قدس كل كائن حى، واعتقد أن محل القدسية، ليس فى الجسد، إنما فى الروح والنفس.

الروح مقدسة عنده لأنها أبدية.. لا تموت.. كما لا يموت الإله.. الإله فى حد ذاته ليس إلا روحا.. طاقة.. قوة جبارة كتلك التى فى ذات البشر وداخل نفوسهم. أما الجسم البشرى فيفنى، وبفنائه تنتقل الروح لجسم مخلوق آخر تُكَفر داخله عن خطاياها إن كانت قد فعلت خطايا وآثاما فى حياتها الأولى، وتظل تلك الدورة سارية، حتى بعد ممات الجسم، إلى حيث تفنى الحياة بالخلاص.

والخلاص عند كريشنا.. هو خلاص الإنسان من المادة أيضا.. ثم هيام روحه فى اتحاد «كونفدرالى» مع كل الأرواح الأخرى.. تماما كاتحاد الجمهوريات السوفيتية قبل مجىء «بوريس يلتسين».

ويلتسين فقد ثلاثة أصابع من يده اليسرى، أما كريشنا ففقد كفه الأيسر كله.

مع اتحاد الأرواح تعود الحياة مرة أخرى لكل المخلوقات فى دورة جديدة مرة كل ٤٣٢٠ مليون سنة، تلك المدة ليست إلا بضع ساعات فى عمر كبير الآلهة، وعمر كبير الآلهة أكثر من ١٥٠ سنة بمقياسه هو!!

لكن جماعات «الشانوا» الهندية خلاصهم نهائى.. لا رجعة فيه، وكبير آلهتهم مختلف«!!»

ومع اختلافهم مع كريشنا فى فكرة الخلاص، اتفقت معظم طوائفهم مع الهندوس فى ماهية الروح، إذ وصلوا كما وصل «كريشنا» من قبل إلى أن الروح هى الحقيقة الكبرى أو هى الحقيقة الوحيدة المطلقة.

إنها الوراء. خلف كل شىء.

لذلك.. على الإنسان اكتشافها، والسعى إليها بسرعة قبل فوات الأوان.

تعتقد معظم طوائف «الشانوا» كما يعتقد الهندوس ضرورة تحرر الإنسان من قيود الجسم منطلقا للزهد، والتقشف والخلاص من كل الشهوات، وبالتالى التبول فى أى مكان«!!».

لا قوانين فى أى شىء، حتى فى أن يقضى الإنسان حاجته فى المكان المخصص لذلك. لا تحضر.. ولا مدنية، لذلك تتدلى من معظم أعناق «الشانوا» سلاسل وعقود وجماجم وتمائم.. وتطول أظافرهم وقد كفوا عن حلق شعورهم.. أو الاستحمام لفترة طويلة.

والهندوس يرون أربع مراحل يمر بها بنو البشر، البطولة، لطلب العلم والإتقان فى طلبه فريضة.. مرحلة الشباب، للتمتع بما تحمله الحياة والدنيا بأسرها من مسرات وفاكهة.

ثم مرحلة الرجولة.. فهى المسئولية، والالتزام بما تحمله الكلمة من معنى، فالرجل رجل، راع ومسئول عن رعيته، أنثى ومنزل، وأولاد.. ثم طلبات الأنثى والمنزل والأولاد.. واخيرا الشيخوخة للتأمل والتفكر.. والتفكير، والاتصال

بالإله، حتى يتسنى له الخلاص.

«الشانوا» تأثروا بكل الديانات الشرقية القديمة، لكنهم تأثروا بالهندوسية أكثر، لانها أسهل طرق الاتحاد مع الإله، وأسلوب كريشنا فى التأمل أفضل تلك الأساليب.. لذلك كانت تعاليم «كريشنا» أول خطوة فى طريق الخلاص.

و«كريشنا» له كتابان.. «الفيدا» و«الأويندشيند»، وفيهما خطوات الارتقاء للاتصال بالروح الكبرى، حيثما تكون. «كريشنا» لم يتوصل- حتى مات- لمكان هذه الروح ولا أى طريق توجد فى آخره. عاش ومات دون وقوفه على حقيقة مكانها الحقيقى.. ظل يبحث عنها عمره كله، أكثر من ٨٠ عاما.. ولم يجدها.

وجد كريشنا فقط الطريق الموصل لها، وكان ضبط النفس، والتسلط بقوة على الحواس، لأنها ليست إلا مصدر خداع الإنسان وإغرائه. لذلك قال إنه لا اتصال ولا ارتقاء فى وجود حواس.. فعلى المريد أن ينظف نفسه ورداءه وحذاءه ويده وجسده ليصبح بلوريا، وتصبح روحه بلورية نقية هى الأخرى.. أهملت المادة وطردت حواسها الأنانية جميعا.

ببساطة.. لابد للإنسان أن يصبح أنانيا فى طرد أنانيته، بهذا يكون قد حقق الخير.. وبدأ يتوازن.. وسلك أول طريق المعرفة، الذى يسبق الاتحاد.

والروح هى الأساس، بدأت قبل الكون. واعتقد «كريشنا» كما اعتقد «الشانوا» أنها ستظل بعد نهايته، وهى الحقيقة التى تدل عليها جميع الرموز، فالكون كله ليس إلا رمزا لتلك الحقيقة كما جاء فى «الأوبنيشيد»: الروح لما تنفست ظهر الكون.. أى أن العالم، والنجوم والكواكب، كل المجرة والمجرات التى حولها، وما داخل كل تلك المجرات من نجوم ليست إلا رد فعل، صورة للأصل، تماما كزفير المدخن دخان سيجارته فى الهواء، لا يعنى هذا إلا أن الحقيقة جوهر.. فى معناها المطلق.. والروحى.

الفرنسى ديفيديت يصف «كريشنا» بأنه التكامل الروحى لمائة مليون هندى فى ثلاثة آلاف عام.. جسمه نحيل، رفيع، عيناه حادتا النظرة، جاحظتان فى

هدوء عجيب، جبهة صافية، كأنها مرآة تعكس آلاف ومئات الآلاف من المعانى، والقيم والرسائل السماوية التى تحسها.. ولا تراها.

كان كريشنا منسجما بنظريته عن الروح فى كل ومن كل ما يفعله.. يبدو هذا الانسجام فى كل ما قام به من أعمال.

«ديفيديت» قال: «لم يكن هذا الرجل وحده.. إن مثله مثل مئات الألوف حول العالم، لا يسعك أن تسأل كيف حدث هذا؟ كيف بدأ كل هذا الصفاء؟!».

ويقول: «قدرتهم خاصة ومذهلة فى السيطرة على أجسادهم وتطويعها لأفكارهم، ثم اتحادهم مع موسيقى وأناشيد السماوات التى لا يعرفها أحد سواهم».. «!!».

كريشنا ولد فى كلكتا بالهند عام ١٨٣٦، من أسرة فقيرة معدمة. لم يكن لأسرته دين، طفولته كانت بائسة كمعظم أبناء البلد، لا مأكل ولا ملبس.. لا أى شىء، ليس إلا مأوى.. ومأوى فقط هو كل ما يستطيع أو يستطيعون أن يحتموا به. ويبدو أنه اكتشف حقيقة فناء الدنيا من عيشته السوداء، لذلك انصرف للعزلة سنين شبابه الأولى، إما فى البيت.. أو فى المعبد، وأيقن أنه لابد وأن يكون بينه وبين كل الآخرين.. عمار.. وسلام.

يجب أن يعم السلام والمودة والرحمة بين الآخرين وبين أنفسهم فلا نهاية لتلك المأساة.. أو هذا العالم سوى «السلام».

عندما بلغ الثالثة والعشرين من العمر، وقبل الخامسة والعشرين، زوجوه إحدى قريباته، لكنه سرعان ما ترك زوجته تلك «التى وجعت دماغه» وانصرف لشؤون دعوته «المنقذة للعالم من ويلاته وقدره التعيس».

أى أنه تحول من مستقر إلى «صايع» عام، مثله مثل بوذا، الذى تحول من ابن الملك بالتبنى إلى «صايع» هو الآخر، فقد ترك بوذا عيشته المرفهة على يخوت وجياد والده.. وانطلق يبحث عن الحكمة.

«والصيَّع» من هذا النوع كثير، وعمنا بيرم التونسى كان «صايع» هو الآخر، ظل طوال حياته صايعا- شاعرا، كذلك كان العم الكبير عبدالرحمن الخميسى وزكريا الحجاوى، وآخرون.

وفى التاريخ القديم، صاع الإسكندر الأكبر وترك حكمه ونفوذه فى بلده وراح يفتح العالم ولم يرجع حتى مات بعيدا عن بلده. فالإسكندر الأكبر مجنون، ورث الجنون عن أمه، المغرمة بأقاصيص البحر والحب والخرافات لذلك مات «فيليب» أبوه.

أُم الإسكندر حرقت دمه، ودم الذين خلفوه.

ورث الإسكندر جنونها، وعاش ومات «صايع دولى».. محاربا، مؤمنا بفكرة واحدة فحسب.. كذلك فعل كريشنا، قال إنه لا يؤمن إلا بالأصل، أو أصل الأصل، على الأصل دَوَّرَ كريشنا، فالعقول والقلوب تتجه كلها إلى قوة واحدة هدف واحد.. وروح واحدة.. تلك التى سعى منذ بداية حياته لاكتشافها، ومعرفة طريقها.

وكتاب «الفيدا» قال إن لكل شىء ظاهرا وباطنا، الشجرة فى ظاهرها مختلفة عن الوردة، والوردة عن الجمل.. والجمل مختلف فى ظاهره عن الحصان. الشجرة خشب بنى اللون.. صلب، مع بعض الفروع، أما الورود فوديعة مسالمة، غصنا صغيرا تعلوه زهرة.. لكن كل هذه الأشياء.. شجرة ووردة وحصان وجمل.. فى الأصل واحد.. جوهر واحد.. روح واحدة كما قال!!

وكذلك كل شىء.

وكل إنسان، الأب والابن والزوجة والحفيد.. كلهم جوهرهم واحد، روح واحدة.. والعامل المشترك واحد فيما وراء كل ظواهرهم. كريشنا كان غرضه أن كل ما فى الوراء متكامل، أو التكامل مع ما يختفى خلف ما يظهر من كل الأشياء.

وقد حكى أنه كان صاحب مجاهدات روحية عميقة، وغيبوبة باهرة فى

يقظته.. وقيل إنه كان كثيرا ما يغيب عن الوعى وهو يقظ لفترات طويلة«!!».

كان يلعب «اليوجا» ويمارس التأمل مفتوح العينين، حيث يرى ما لا يراه أحد، ويسمع ما لا يسمعه أحد، فتداخله السعادة والحب.. والأمان.

وحكى هو عن غيبوبته قائلا: أشعر معها بالنعيم والرغبة فى الحب والسمو واللهث وراء النور ثم الراحة فى لحظة واحدة.. «أشعر بعد فترة من تأملى أن هناك قوة خفية التحمت بى.. أو تتحدث معى، أو أتحدث أنا معها.. تريحنى، وتدخلنى فى عالم آخر، لا أستطيع الفكاك منها، لا أفارق هذه القوة الخفية أبدا، أقدم لها نفسى كل يوم، فإن لذتى ومتعتى فى الفناء بين أصابعها».

قرر «كريشنا» الانتحار عدة مرات فشلت جميعها، أراد أن يذهب بنفسه سريعا إلى ما وراء الوراء، لكنه لم يستطع أن يفعل.

قالوا إن حكيما هنديا عجوزا هو الذى علم كريشنا كيفية «التأمل» ثم الاتحاد مع الروح الكبير، وقيل إنها تعاليم نزلت من السماء، وقالوا إنه ابتكرها، وتاهت الحقيقة بين كل تلك الإجابات.

طريقة التأمل ليست إلا التركيز فيما بين عينيك.. ثم لأعلى قليلا، ركز كل تفكيرك.. فوق عينيك.. لأعلى، فى تلك المنطقة ستصل عندما تنسى أنك تريد الوصول.. ستصل عندما تنسى أنك تركز تفكيرك.. أو تريد ذلك«!!»

■■■

مثلما فعل كريشنا فعل «البانشوا». التأمل كان.. الطريقة المثلى والسريعة الوحيدة للسيطرة على الروح، ثم الاتحاد مع كل الأرواح.. أينما كانت.

كل محاولاتهم كانت خطوات أولى للاتحاد مع آخرين بالروح فى مواقع مختلفة من الأرض.. «فالديمى بانشوا» جماعة تحاول تجميع طاقاتها الداخلية والاتحاد مع رجل مر على وفاته أكثر من أربعة قرون.

الرجل اسمه فريجيه، قيل إنه عاش ومات عن عمر يناهز أكثر من مائة وعشرين عاما، فيما بين ١٣٦٠ و١٤٨٤. وهم يحاولون بشتى الطرق أن يلتحموا مع روحه، أو أن تلتحم روحه مع أرواحهم، حيث الحكمة ومزيد من القدرة التأملية فى هذا الاتحاد.

الأكيد أن أحداً لم يعرف «فريجيه» ولم يسمع عنه قبل سنة ١٥١٤، عندما ظهر كتاب باللغة اللاتينية القديمة عنوانه: «حكمة الروح» جاء فيه اسم «فريجيه» للمرة الأولى، حيث شرح طريقته فى الوصول للروح، ثم وجهة نظره فى الطرق التى يجب أن تتبع. فقد بدأ فى البحث عن أسرار الكون وبدايته.. العالم على حد قوله «يبدأ من الشرق، أو صنعه الشرق.. والسحر أيضا بدأ من الشرق».

لذلك سافر للصحراء العربية.. وأجرى هناك عدة مقابلات مع عدد كبير من الحكماء، الذين قال إنهم أطلعوه على أسرار الكون الخفية.

لكنه لم يكتف بما قالوه، فزار الأردن ثم إمارات الخليج العربى، ورجع لبلاده ثم زار ألمانيا وجمع حوله عددا لا بأس به من التلاميذ. ومن هناك بدأ الدعوة لنظريته الجديدة التى أسماها «ما وراء الحكمة اللَّدُنِّيَّة».. فالكون كما زعم وحِدَّة لا تتجزأ من فكرة أزلية غامضة لم يكتشفها أحد، هذه الفكرة لابد أنها ارتبطت بأقدم الأشياء على هذا الكوكب، وأقدم الأشياء على هذا الكوكب هى الروح.

■■

مدينة «برن» الألمانية كانت مركز «البانشوا» الجديد.. هناك أيضا التف حوله كثير من المؤمنين، الذين كانت تراودهم نفس الفكرة ولم يستطيعوا نظم أفكارهم فى خيط واحد!!

هناك زعم «فيرجيه» أن العالم أزلى.. والدين أزلى.. والروح أزلية.

وفى برن.. كَوَّن فريجيه مع أتباعه مجلسا روحيا تناقشوا فيه ووضعوا

أساس ديانتهم واكتشافاتهم الجديدة.

هناك علمهم أن أهم ما يجب ألا ينسوه هو أن ينسوا كل شىء، يتناسوا كل ما دخل أدمغتهم عن الدنيا والخلق والدين والرب!! وأن يبحثوا فقط عن الروح بمفهوم جديد.. علمهم كل ما عرفه طوال رحلة بحثه عن الحكمة، وروح الحكمة، وأمرهم أن يذهب كل واحد منهم فى طريق بعد خمس سنوات، معلما وهاديا ومحذرا أيضا.

طمأنهم بألا خوف عليهم ولا يحزنون، فلن يجوع أو يعطش أو يفتك المرض بأحد من تلاميذه ماداموا يسيرون فى طلب الحكمة والتبشير باكتشافاتهم، لكن جاء بعد فترة من قال إن فريجيه شخصية ليست حقيقية، لأن اسمه الصحيح «كروس».. وأن كروس له ديانة أخرى لها فلسفة مشابهة.. تبحث عن سر الروح، وسر الخلود أيضا.

وليد طوغان المعادى- 2009

E-mail: Wtoughan@hotmail.com

فهرس المحتويات

حتى الستينيات من القرن قبل الماضي كانت أوروبا تميل للمادية فقط، الصناعة في كل مكان والثورة الصناعية تعني ميكنة وآلات. تروسا صغيرة وكبيرة تدور في وقت واحد بدقة لتحقيق هدف واحد. لذلك ليس هناك مكان للكلام عن روحيات لا يعلم أحد عنها شيئاً، إضافة إلى أنه ليس هناك وقت للاهتمام بالقبور ولا بأحاسيس أصحابها الذين هم تحت الثَّرَى. فالميت شخص أو أشخاص فقدوا وظائفهم، ولم يعودوا قادرين على ممارسة أدوارهم في ترس الحركة الذي ابتدعته الثورة الصناعية.

ثورة الصناعة كانت كالقمقم الذي حبس الإنسان نفسه داخله فترة طويلة، ولم يستطع أن يخرج خلالها ليقول لنفسه شبيك لبيك.. تطلب إيه.

لكنه اكتشف فجأة أن له مطالب أخرى غير البناء والتروس وزيت الماكينات والسيارات. كان يريد أفكارا أخرى غير (الوقت) و(الخطة) والاختراع.

لذلك بدأت أصوات الجمعيات (الروحانية) في أوربا تتعالَى تدريجيا بعد الحرب العالمية الثانية. فقد اكتشف الإنسان أن العلم هو الذي أوصله لصناعة الديناميت الذي يقتل عشرات النساء والأطفال.

وأن العلم هو الذي أفقد البعض الثقة بالدين. لأن العقيدة التي تسمح للأقوى بأن يقتل الأضعف ويمثل بجثته حفاظا على الإنسانية.. ليست عقيدة وليست ديناً. لذلك كان الاهتمام في البحث عن الروح والروحانيات وكان هذا الكتاب.






I.S.B.N. 977-376-503-3
9789773765033